

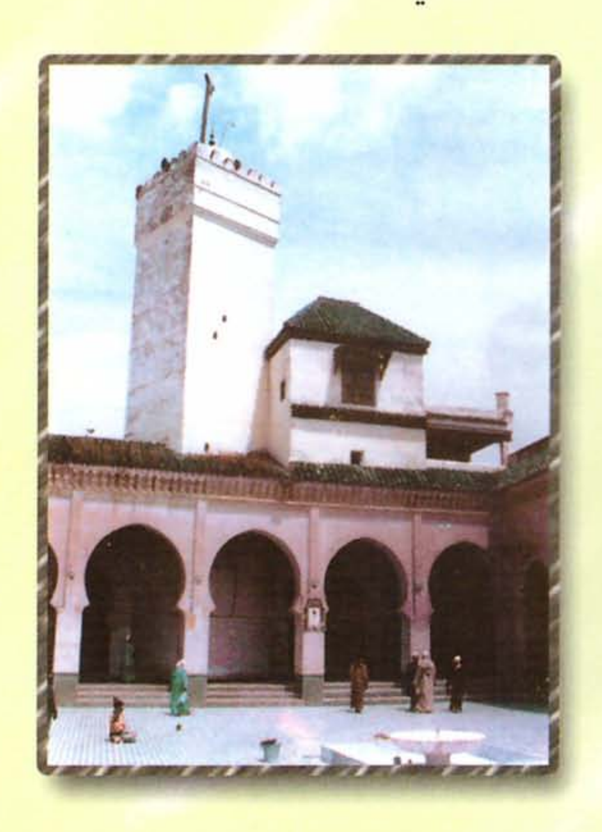
جامعة عبد المالك السعدي
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان
سلسلة الأطاريح الجامعية (4)

المستفاد

في مناقب العُبَّاد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد

لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي

(توفي سنة 603 أو 604هـ)



تحقيق: د. محمد الشريف

أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان

- 2002 -

جامعة عبد المالك السعدي
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان
سلسلة الأطاريح الجامعية (4)

المستفاد

في مناقب العُبَّاد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد

لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي
(توفي سنة 603 أو 604هـ)

(القسم الثاني: النص)

تحقيق: د. محمد الشريف
أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان

- 2002 -



المستفاد

تحقيق : الدكتور محمد الشريف

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان

الطبعة الأولى : غشت 2002

رقم الإيداع القانوني: 2002/1406

ردمك: 9954-0-1709-7

السحب : مطبعة طوب بريس - الرباط . الهاتف 037733121

كلمة شكر

أصل هذا الكتاب أطروحة جامعية تقدم بها صاحبها لنيل دكتوراة الدولة في الآداب، تخصص : تاريخ، بكاية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان أمام لجنة علمية كانت تتكون من السادة الأساتذة:

د. أحمد الطاهري (رئيساً). د. امحمد بن عبود (مشرفاً مقرراً) .د. ابراهيم القادري بوتشيش (عضواً) د. جعفر ابن الحاج السلمي (عضواً) .د. محمد رزوق (عضواً) .د. Virgilio Martinez Enamorado (عضواً)

وبهذه المناسبة أجدد لهم خالص شكري وامتناني لما أثاروه من قضايا وأبدوه من ملاحظات علمية دقيقة خلال المناقشة.

ولا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني من بعيد أو قريب في اعداد هذا العمل. وأخص بالذكر أستاذي الدكتور امحمد بن عبود الذي أعتز بصداقته وأستاذيته. فله خالص شكري وامتناني عرفاناً بأفضاله التي لا تحصى ولا تعد.

وأجدد شكري الجزيل وثنائي العاطر للسيد بنعلي محمد بن بوزيان الذي لم يتردد في السماح لنا بتحقيق هذه القطعة وإجابته عن كثير من استفساراتنا بخصوصها وإفادتنا بملاحظاته القيمة حول بعض مستغلقاتها. أما الأساتذة والإخوة الذين لم يبخلوا علي بتشجيعاتهم أو وفروا لي مصنفاً أو مقالاً، أو نبهوني إلى خطأ، فهم كثيرون ويطول ذكر أسمائهم، وأخص بالذكر الفقيه العلامة محمد بوخبزة والأستاذ عبد العزيز الساوري والدكتور عبد الله الترغي. الذين أمدوني بما احتجته من نصوص ومصادر دفينة ومخطوطات. والشكر موصول كذلك لصديقي وزميلي الأستاذ مصطفى بنسباع الذي وضع رهن إشارتي مكتبته الخاصة وخبرته في مجال المعلوميات.

وأخيراً، إذا كان في هذا التحقيق من جوانب إيجابية فأنا مدين بها في نهاية الأمر للصديقين المحققيْن الثبتين : الأستاذ الدكتور جعفر ابن الحاج السلمي، والأستاذ الدكتور محمد مفتاح. فقد قبلا - بتواضعهما العلمي المعهود، وبصدر رحب واهتمام كبير- أن يراجعا نص المستفاد، ويقوّما ما اعتراه من هفوات نحوية ولغوية وإملائية، قبل تسليمه للطبع.

النهج المتبع في التحقيق

يقوم تحقيق هذه القطعة من «المستفاد» إذاً على نسخة خزائنية وحيدة كانت بمسجد سيدي عبد الجبار بقصر المعيز في فكيك -وهي الآن بيد الأستاذ السيد محمد بوزيان بنعلي بقصر المعيز بنفس المدينة. ويقع المخطوط المبتور البداية والخالي من أي عنوان، في خمس وسبعين ورقة (مائة وخمسين صفحة) ومقياسها هو (28,6 X 21,2) ورقها غليظ، ومسطرة الصفحة خمسة عشر سطراً، في كل سطر عشر كلمات تقريباً، وخطه أندلسي عتيق وجميل، مكتوب بمداد أسود من أول القطعة إلى آخرها، مع تغليظ أسماء المترجم لهم في بداية ترجمتهم. وتشمل الورقة الأخيرة من المخطوط تاريخ الفراغ من النسخ وهو «يوم الأربعاء العاشر من شهر جمادى الأولى عام ثلاثة عشر وثماني مائة» (10ستنبر 1410م). وقد تم ذلك «برسم خزانة القائد المعظم أبي النجاة سالم بن القائد المفدى المرحوم أبي النجمة بن حسان بن مَسعود المغْرَاوي». وبعد ذلك نجد نص تملك المخطوط مكتوباً بخط مغاير : «الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. هَذَا الكتابُ ورثه محمد بن أبي جاج من أبيه الشَّيْخ المرحوم قاسم بن أبي حاج، وتخلفه لبيته أحمد بن أبي حاج الفاسي».

والنسخة جيدة بصفة عامة باستثناء الأوراق الأخيرة من المخطوط التي عبثت الأرضة عبثاً كبيراً بأطرافها. فقد أثرت الرطوبة أو الماء أو تقادم الزمن -أو كل ذلك - على بعض ورقات المخطوط تأثيراً بالغاً فطمست الكلمات طمساً تاماً وأشد ذلك وقع في ترجمة الشيخ أبي يعزى. كما أن محاولة ترميم بعض أوراق المخطوط زادت من طمس معالمه وبتر أعالي ورقاته كما هو الحال في الصفحات 17-18 حسب ترقيمنا.

وقد خلا ظهر الورقة من أي رقاص في أسفلها مما يمكن أن ينبه النساخ إلى تتابع

الصفحات. وقد أدى ذلك إلى اختلاط أوراق المخطوطة اختلاطاً غريباً، خاصة وأنها كانت في أصلها أوراقاً منفردة ولم يتم تجميعها وتخييطها في مجلد إلا حديثاً. أما ترقيمها فهو متأخر عن وقت نسخ المخطوط، ولعله من صنيع بعض من قيض له الاطلاع على المخطوط بعد اكتشافه سنة 1986، ولم يكن صاحب الترقيم موفقاً في اجتهاده، كما يتضح ذلك من الترقيم المثبت على مصورة النسخة.

ولقد اجتهدنا في إعادة ترتيب الأوراق وفقاً لما اقتضاه السياق [1] فأصبحت الورقة الأولى من المخطوط محل الورقة رقم 132، والورقة 11 محل رقم 126 والورقة 21 محل رقم 92 والورقة 56 محل رقم 20 ...إلخ، إلا أننا لم نتمكن من تقدير عدد الأوراق الساقطة من بداية المخطوط بسبب غياب مقدمة الكتاب وفهرسه من جهة، وعدم نهج التميمي قاعدة واضحة أو خطة مضبوطة في إيراد تراجمه من جهة أخرى. وقد تكون أوراق سقطت من وسط القطعة دون أن تخل بسياق تسلسل التراجم.

1- لم نتبع ترتيب العلامة محمد المنوني الذي يبتدئ بترجمة الفقيه المهدوي، ولا بترتيب د. محمد بنشريفة الذي يبدأ بترجمة أبي عبد الله القصري ولا بترتيب الأستاذ محمد بن علي بوزيان. وكلهم جعلوا ترجمة الشيخ أبي مدين آخر تراجم المستفاد. لكن الورقة الأخيرة من المخطوط التي تتضمن بقية ترجمة لا يمكن أن تكون قطعاً لأبي مدين. فهي متعلقة بالشيخ أبي عمران موسى بن ابراهيم حسب ترتيبنا لأوراق المخطوط. وعليه فإن ترجمة الشيخ أبي مدين لا يمكن أن تكون آخر تراجم المستفاد. وأدرجناها في مكانها الطبيعي بعد أن ألحقنا بها ورقتين كانتا حسب الترقيم الأصلي ملحقة بترجمة ابن السكاك. لكن بعد التقصي والبحث تبين لنا أنهما متعلقتان بالشيخ أبي مدين لتضمنهما أقوالاً وحكماً وأخباراً تثبتنا من نسبتها لأبي مدين. وفي آخر الورقتين تبدئ ترجمة الشيخ أبي يدو. وتتوالى التراجم تباعاً إلى حدود ترجمة الشيخ ابن بوبة لتختلط الأوراق من جديد.

-إلا أن الجملة الأخيرة التي وردت في آخر الورقة المتضمنة لبداية ترجمة الشيخ ابن بوبة تحيل على «بعض عباد افريقية». وبعد تثبتنا من أن الكلام مقتبس من «رياض النفوس»، تأكدنا تبعاً لذلك أن الورقة التي تليها هي المتضمنة لبداية ترجمة الشيخ أبي الفضل العباس بن أحمد وما يليها، وليس تلك التي تتضمن بداية ترجمة الشيخ أبي جعفر احمد بن علي الفنكي حسب ترتيب من سبقنا من الباحثين. وتتوالى مرة أخرى ورقات المخطوط إلى حدود الورقة المتضمنة لبداية ترجمة أبي الحسن علي بن السكاك والتي تنتهي بعبارة «أخبرني أبو الزبير طلحة صديقنا». وتليها - حسب الترقيم الأصلي- ورقة تبتدأ بـ «رحمه الله أنه قال : من علامة صدق المريد ...»، وبما أن عبارة الترحم لا يمكن أن تحيل على صديقه المخبر، وبما أننا تأكدنا من أن القولة هي لأبي مدين وليس لغيره، فقد أعدنا ترتيب الورقات ترتيباً يراعي هذه المعطيات ، وبالتالي أصبحت ترجمة ابن السكاك متبوعة بترجمة الفنكي وما يليها.

وحاولنا قدر الإمكان التغلب على ما شاب هذه النسخة الوحيدة من هذا النص الطريف من هفوات الناسخ كالتصحيفات والتحريفات والإسقاطات. فقد ساعدتني معايشتي اللصيقة للنص من تبين مواطن الخلل فيه واستبيان سبل تقويمه بمراجعة المصادر التي نقلت عنه أو احتوت نصوصاً متماثلة مع نصوصه أو تشابهه. وحاولت ملء السقط في المتن الناتج عن وهم الناسخ وغفلته، وجعلته بين معقوفتين [ ] وعمدت إلى تقدير بعض الكلمات التالفة أو غير المقروءة وإلى التنبيه على الفقرات التي لم يستقم سياق قراءتها في النص.

وكذلك تعاملت مع كل تصحيف أو تحريف أو تكرار، فأصلحت ما هو واضح الخطأ دونما إشارة إلى ذلك،لئلا أثقل النص بالإحالات الهامشية. أما تركيب الجمل فقلما تدخلت فيها، ولكنني تركتها على حالها مع اتباعها بإشارة «كذا» بين معقوفتين تنبيها على احتمال الخطأ، ودافعي في ذلك هو ترك النص على طبيعته، خاصة وأن المؤلف أورد كثيراً من العبارات «العامية» أو القريبة من اللغة الشفهية، التي لم أرد أن أصوغها صياغة «عالمة». أما التحريفات التي شابت أسماء بعض الأعلام فقد عمدت إلى تصحيحها على ضوء ما قيض لي الاطلاع عليه من المصادر الأخرى. وبذلك تمكنا من سد معظم الثغرات التي كانت تشتكي منها المخطوطة.

وقد قام الناسخ بشكل بعض الكلمات بالحركات كلياً أو جزئياً، وقد ارتأيت من جانبي شكل النص كاملاً على الرغم مما في هذه العملية من تعب وعنت. وأدخلت في التأليف علامات الوقف ورتبت فقراته تسهيلاً لقراءته. ورسمت كل كلمة لم تكتب بالرسم الإملائي الحديث دون الإشارة إلى ذلك مثل عثمن وعثمان، رجا ورجاء، مونة ومؤونة، نلقا ونلقى، ليلا ولئلا، دينر ودينار. وصححت ما اعتقدت أنه من أخطاء الناسخ، دون أن أشير إلى ذلك، لئلا أثقل هوامش الكتاب. وحددت نهاية كل صفحة

بخطين مائلين هكذا // مع وضع رقم الصفحة داخلهما.

وفي غياب نسخة مخطوطة أخرى من «المستفاد» كان لا بد من الاستعانة بالمصادر التي نقل عنها التميمي وعلى تلك التي نقلت عنه، ولهذا جاءت الهوامش في بعض المواضع مليئة بالفروق في القراءة من تلك المصادر، مع توضيح تماثلها مع مخطوطنا في الخبر الواحد أو تشابهها معه.

ويمكننا تقسيم مصدر معلومات التميمي إلى قسمين أساسيين :

1/ معطيات أوردها التميمي في إطار تشبيهاته ومقارناته لسلوك مترجميه مع سلوك غيرهم في مناطق مختلفة ومن أزمنة أخرى.

2/ معطيات متعلقة بالمترجم لهم

- بالنسبة للقسم الأول لاحظنا أن التميمي قد استقاها من مصادر كتابية في غالب الأحيان. وقد استطعنا إماطة اللثام عن هذه المصادر التي عول عليها التميمي ونقل عنها، ولم تكن هذه العملية يسيرة، لأن التميمي لم يفصح أبداً عن مصادره أو أسماء مؤلفيها، وقد تطلب منا الأمر القيام بقراءات واسعة في متون تصانيف شتى والاستعانة بالأقراص الضوئية المحتوية على بعض المؤلفات الكلاسيكية في الزهد والرقائق للإمساك ببعض تلك المصادر التي اعتمدها صاحب «المستفاد».

أما بخصوص المعطيات المتعلقة بالمترجم لهم، والتي تشكل العمود الفقري للمستفاد، فلم يكن من الممكن التعويل في مراجعتها على المصادر الكتابية، لأنها معطيات أصيلة لا مصدر لها سوى التميمي نفسه والرواية الشفوية التي استقاها من رواته، فهو لم يعتمد على أي مصدر كتابي في جمعه لأخبار عباده، لذلك كان التعويل على المصادر التي نقلت عن «المستفاد».

ونستطيع أن نصنف تلك المصادر، من حيث تعاملها مع هذه القطعة من «المستفاد»

إلى ما يلي :

- المصادر التي أخذت من «المستفاد» ونصّت على ذلك مثل : «الروض العطر الأنفاس» لابن عيشون الشراط و«جذوة الاقتباس» لابن القاضي.

- وتلك التي أخذت من «المستفاد» دون أن تشير إليه مثل : «التشوف إلى رجال التصوف» لابن الزيات التادلي، و«تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية» لمحمد المهدي الفاسي، و«جذوة الاقتباس» في بعض التراجم [2]

- وتلك التي لم تأخذ من «المستفاد» مباشرة مثل : «النجم الثاقب» لابن صعد و«بغية السالك» للساحلي، و«المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى» للصومعي، و«أنس الفقير» لابن قنفذ، و«سلوة الأنفاس» لمحمد بن جعفر الكتاني.

إن مقارنة «المستفاد» مع المصادر الأساسية التي تنص على نقلها من «المستفاد» كشفت إما عن تماثل أو تشابه كبير، يرقى أحياناً إلى درجة التطابق كما هو الحال بالنسبة لابن الشراط في كتابه «الروض العطر الأنفاس»؛ إذ ينقل نقلاً أميناً عن «المستفاد». وفي بعض الأحيان كان ابن القاضي وابن الشراط، يجملان ما يأخذان عن التميمي، ولكن اختصارهما هو في معظمه اختصار عبارات لا إعادة صياغة. ولهذا لا نعثر على تطابق كامل بين نصيهما ونص «المستفاد».

أما التراجم المنقولة عن «المستفاد» والتي لم ترد في قطعتنا المخطوطة، فقد ارتأينا جمعها وجعلها ملحقاً بالنص المحقق، إذ لم نر داعياً لادماجها في النسخة المحققة نظراً لعدم تيقننا من موقعها منها، باستثناء ترجمة دراس بن اسماعيل الذي صدر به التميمي

2- مثل ترجمة العباس بن أحمد وعيسى ابن الحداد (**جذوة الاقتباس**، ص386، 502 على التوالي)

كتابه، وبداية ترجمة أبي الحسن علي بن حرزهم (ست ورقات تقريباً)[3]. وقد ادمجنا هذه الورقات في بداية القطعة لتثبتنا من ذلك، بينما وضعنا ترجمة دراس في الملحق مع غيرها. إن أكثر هذه التراجم إنما وردت في «الروض العطر الأنفاس»[4] وفي «جذوة الاقتباس»[5] التي كان صاحبها ينقل عن نسخة تختلف قليلاً عن نسخة مخطوطنا.

والواقع أن اقتحام موانع نص «المستفاد» ورسم معالم الطريق نحو إحيائه بالتخريج والتحقيق لم يكن بالأمر الهين بالنظر إلى الصعوبات الجمة التي يطرحها التحقيق القائم على النسخة الوحيدة. فالسعي إلى الوصول إلى النص الأصلي الذي يكون قد جف قلم مؤلفه عليه، يعد ضرباً من التمني فقط، إذ على الرغم من توسيع دائرة بحثنا وتنقيبنا الدؤوب عن البدائل في مظان النقول، سواء تلك التي نقل عنها التميمي أو المظان التي نقلت عنه، فإن ما وقفنا عليه هو مجرد نصوص ترجمات لكثير من عباد التميمي مبثوثة في مصادر مختلفة؛ وليس اقتباسات من «المستفاد» أو نقولاً عنه. وبناء على ذلك نبادر إلى القول بأن مضمون تلك النصوص وإن كانت قد أغنت هوامش التعليق من الناحية التوضيحية أو التصحيحية فإنها لم تسعفنا كثيراً في قراءة النص المحقق[6].

إلا أن هذه الصعوبات، وغيرها مجتمعة لم تقف حائلاً بيننا وبين المضي في تحقيق

3- وتأكد لدينا أن ترجمة أبي الحسن علي بن حرزهم كانت مسبوقة بتراجم كل من أبيه اسماعيل وأخيه عبد الرحمان. فمحمد المهدي الفاسي (ت 1109 هـ/1698م) يؤكد بعد كلامه عن شيوخ أبي الحسن علي قائلاً : «وذكر [التميمي] قبل ذلك لسيدي اسماعيل والد سيدي علي وأخيه الشيخ أبي القاسم عبد الرحمان بن اسماعيل والد الشيخ أبي عبد الله كرامات». انظر : **تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية** مخطوط خاص، (مصورة الفقيه بوخبزة)، ورقة 146

4- نقل ابن عيشون عشر تراجم عن المستفاد وليس سبعة كما تقول ذة زهراء النظام في مقدمة تحقيقها لكتاب **الروض العطر الأنفاس**، ص 31 والمرحوم محمد المنوني (**المصادر العربية لتاريخ المغرب** ،ج1، 1983، ص 55

5- نقل ابن القاضي 52 ترجمة من المستفاد، 22 وردت منها في القطعة المخطوطة.

6- مثلاً أوردع أبو عبد الله محمد المدرع الفاسي (ت. 1147هـ/1734) في منظومته في صلحاء فاس (مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 1726 د) أسماء عدد من رجال المستفاد، وخاصة أولئك الذين وردت تراجمهم في كتاب «**الروض العطر الأنفاس**» لابن عيشون. إلا أنها منظومة جافة لم تفدنا في تدقيق نص **المستفاد**.

المخطوط ودراسته، وبخاصة بعدما تأكدت لنا الأهمية التي ينطوي عليها «المستفاد». فهو ليس مصدراً لتاريخ مدينة فاس فحسب بما يطفح به من معلومات دفينة وفريدة في نوعها في كثير من الأحيان حول الحياة الدينية للمدينة من خلال المعطيات المكثفة حول عبادها وسلوكهم وتصوراتهم ومواقفهم وحياتهم اليومية...إلخ، وكذا بما يكشفه من نشاط صوفي كانت تعرفه هذه الحاضرة ممارسة وتحصيلاً وتدريساً، وبما يقدمه حول مجال فاس وجوانبها الاقتصادية والثقافية والمعمارية، وعلاقاتها بنواحيها وصلاتها بالمشرق الإسلامي، وإنما هو كذلك مصدر من المصادر الدفينة لتاريخ المغرب الوسيط عامة. ذلك أن الكتاب لا يسهم في توضيح جانب من خريطة المغرب الدينية منظوراً إليها من فاس فقط، وإنما تتجلى أهميته كذلك من منظور التاريخ الكلي، بما أن النص وثيقة اجتماعية تحوي معطيات ثمينة تخص الجوانب الاجتماعية والثقافية والنفسية للمجتمع المغربي في القرن السادس الهجري أساساً، ويسهم في تسليط الأضواء على زوايا ما تزال خفية من التاريخ الثقافي والاجتماعي والإداري للمدن والأرياف المغربية.

وهذه الجوانب وغيرها هي ما حاولنا إبرازه في القسم الأول من هذه الأطروحة المخصص لدراسة محتويات المخطوط، والذي أردناه أن يكون مرتبطاً أشد ما يكون الارتباط بنصوص «المستفاد» وملتصقاً بها قبل كل شيء. ذلك أن هدفنا هو وضع النص في إطاره التاريخي المناسب وتحليله وتقويمه عملياً، ثم تقديم دراسة عنه بصورة تتمشى مع خدمة النص المحقق.

ولم نر داعياً لتخصيص دراسة تاريخية حول العصر الموحدي، ولا تسطير تاريخ مدينة فاس، وإنما استعضنا عن ذلك برسم الإطار العام لتطور التصوف على عهد الموحدين مع إعطاء الأولوية لموضوع علاقة السلطة برجال التصوف ومحدداتها، وذلك في أفق تحليل معطيات القطعة وضعها في سياقها العام من ظاهرة التصوّف بالمغرب

الموحدي أساساً (وهذا ما اختص به المبحث الأول).

وقد حاولت ابراز البيئة العائلية والعلمية للمؤلف ورصد بعض المؤثرات التي قد تكون أثرت في شخصيته وفكره، وتتبعته طفلاً وشاباً وكهلاً فوجدته افرازاً حقيقياً لعصره وعطاء طبيعياً لمرحلته التاريخية. وكان منطلقي الأساس هو كتاب «المستفاد» نفسه، لكن دون أن أهمل مقابلة شهادته أو تكملتها أحياناً بما أمكنني الاطلاع عليه من نصوص خارجية وبخاصة في كتب التراجم، ومن هنا خرجت برؤية داخلية في أساسها عن حياة التميمي كما يسطرها بنفسه داخل نصوص «المستفاد». وقد هدفت من إقامة هذا التمازج بين الكتاب وبين المؤلف والارتباط العضوي بينهما، إلى ابراز أهمية «المستفاد» باعتباره يمثل في جانب من جوانبه، ترجمة ذاتية للتميمي (وهذا ما أبرزناه في المبحث الثاني).

وانصب اهتمامي في المبحث الثالث على تحليل أهم القضايا المنهجية التي يطرحها كتاب «المستفاد» من قبيل ضبط عنوانه، وتحقيق نسبته، وتبويبه، وتحليل منهجيته، وتحديد مصادره، ومحتوى ترجماته وبنياتها، وعلاقته بالأجناس الأدبية الأخرى. ولقد حاولت تبيان هذه القضايا في غيبة مقدمة الكتاب، وقمت بتحليل «مجهري» لمصادر التميمي الشفهية والكتابية «الخفية» لبيان قيمة الكتاب، متوسلاً في ذلك بالمنهج الإحصائي الذي لا تخفى قيمته في الدراسات التاريخية المعاصرة. وكانت النتيجة أن التميمي بذل مجهوداً علمياً كبيراً في جمع مادته، وحقق عملاً جليلاً بنقله الموروث الشفوي حول أخبار عباد فاس والسمو به إلى مستوى التدوين الكتابي. فالمستفاد يتموقع بين نوعين من الكتابة، كتابة منقبية وكتابة حكائية، سردية، فهو يجسد عملية تدوين للذاكرة الشفهية بكل ما حفظته من حكايات كرامية أو التي يطغى عليها الطابع التسجيلي التوثيقي لبعض الأحداث والوقائع. وقد مكن هذا التقاطع بين الكتابة المنقبية

والرواية الشفهية من حضور معلومات تاريخية وعناصر ومعطيات انطروبولوجية بالغة الأهمية جعلت من الكتاب وثيقة تعبر عن الواقع الذهني واليومي المعيش، أكثر منها تعبيراً عن الواقع السياسي الحدثي كما عودتنا على ذلك النصوص الاخبارية المعروفة. إن النتيجة الأساسية التي يوصل إليها البحث هي أن «المستفاد» مصدر تاريخي أصيل وأساسي، على جانب كبير من الأهمية، لا يستغنى عنه في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي عامة وتاريخ الحياة الصوفية خاصة.

أما المبحث الرابع فخصصناه لضبط الخارطة الجغرافية التي يتحرك داخلها أولياء «المستفاد». ومكنتنا معطيات هذا المبحث من الوقوف على طبيعة العلاقة بين عباد فاس وعباد نواحيها، كما وقفنا على متانة الصلات الروحية التي ربطت بين الأندلس وفاس من جهة، وبين فاس وبلاد المشرق من جهة أخرى. وقد سمحت لنا هذه الدراسة بوضع بعض المسلمات محل تساؤل، ومنها تفنيد تلك الصورة النمطية التي نجد صداها في أدبيات التصوف وكتب المناقب والتي مفادها أن المتصوفة يفضلون الاستقرار بالبادية عوض المراكز الحضرية، والتشكيك في تلك المسلمة التي بمقتضاها يتم التفريق بين التصوف الأندلسي والتصوف المغربي على أساس أن التصوف الأندلسي تصوف معرفي أو تصوف حقائق، والتصوف المغربي تصوف عملي سني؛ أو أن الأول «ممارسة نخبوية» والثاني «ممارسة شعبية» إلى غير ذلك من الثنائيات التبسيطية. وقد أوضحنا كذلك أبعاد الهجرة الأندلسية إلى فاس التي لم تكن علمية صوفية فحسب وإنما اكتسبت بعداً اجتماعياً بما نتج عنها من تزاوج الأسر واختلاطها، كما أن هجرة أولياء فاس إلى بلاد المشرق، بقدر ما تؤشر على أهمية خيوط التواصل الروحي التي كان أولياء فاس ينسجونها مع مختلف مناطق العالم الإسلامي، فإنها في جانب منها كانت تعبيراً ضمنياً عن رفض المتصوفة للنظام الموحدي القائم ببلاد المغرب.

وواضح أن تحليلنا للقطعة لم يركز على التصوف باعتباره منظومة نظرية أو «نسقاً مذهبياً»، وإنما نظرنا إليه كحركة ذات طابع اجتماعي أساساً. ولهذه الأسباب أعطينا الأولوية للبعد السوسيو- ديني لتحرك المتصوفة داخل وسطهم الاجتماعي ولمختلف أدوارهم فيه ولطبيعة العلاقات التي نسجوها مع السلطة المركزية أو مع ممثليها. إن وضع الطابع المذهبي الصرف في مرتبة ثانوية ليس من قبيل الصدفة أو نتيجة اختيار ايديولوجي مسبق، وإنما هو مرتبط بطبيعة مادة «المستفاد» أولاً، وبطبيعة المصادر المناقبية التي تشكل الأساس المصدري لقسم الدراسة من هذه الأطروحة ثانياً. فمن المعلوم أن الإشارات إلى القضايا ذات الطابع النظري تظل هامشية في هذا النوع من المصادر. ولذلك جاء المبحث الخامس مخصصاً لدراسة الأصل الاجتماعي لأولياء «المستفاد»، وثقافتهم ومسلكهم الحياتي وأدوارهم داخل المجتمع

أما المبحث السادس فيبحث في موقف المتصوفة من السلطة الموحدية، ويروم الإمساك بموقف التميمي نفسه من الجهاز الموحدي، انطلاقاً من معطيات «المستفاد».

وعسى أن أكون بتحقيق هذه «الذخيرة» وإبراز أهميتها قد أضفت جديداً للمكتبة «الصوفية» المغربية وقمت بالحد الأدنى المطلوب من أجل خدمة تاريخنا الوطني. وحسبي أنني حاولت وسعيت ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾، والله الموفق.

د. محمد الشريف

1= أَبُو الْحَسَن عَلِيّ بْنُ إسماعيلَ بْنِ حِرزْهِم [1]

[وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ إسْماعيلَ بْنِ حِرزْهِم[2]، نَفَعَنا اللَّهُ بِه] [3] كَانَ خَيِّراً فَاضِلاً دَيَّاناً وَرِعاً زَاهِداً مُتَقَشِّفاً سَالِكاً لِطَريقِ المَلامَتِيَّة [4]، [وَلَمْ يَكُنْ يُعْرفُ ذَلِكَ الطَّرِيقُ بِالمغْرِبِ]، [5] فَكَانَ أَهْلُ البلَدِ يُنْكِرونَ عَلَيْهِ بَعْضَ أَحْوَالِه، ولكِنْ لِصِدْقِه كَانَت

1- الأسماء المرقمة الذي ترد في بداية الترجمة هي من إضافة المحقق.

2- «ابن حرازم» حسبما رأى أبو عبد الله الساحلي (ت. 754 هـ)«بخط بعض أهل العناية بالضبط والتصحيح». إلا أن الساحلي استصْوب : ابن حرزهم (**بغية السالك**، مخطوط، ورقة 131).

3- الأوراق الستة التي تحوي بداية ترجمة هذا الشخصية ساقطة من قطعتنا المخطوطة. ولقد استكملناها من **الروض العطر الأنفاس** لابن عيشون، الذي ينقل حرفياً عن **المستفاد**، (ص 58 وما بعدها).أما ترجمة أبي الحسن علي بن حرزهم فتوجد في كثير من المظان. انظرها مثلاً في : **التشوف**، عدد 51؛ **التكملة**، ط . الهراس، ج 3، ص 243-244؛ **القرطاس**، 265؛ **جلوة الاقتباس**، 508؛ **أنس الفقير**، 12-14؛ **بغية السالك**، ورقة 131-132؛ **تحفة أهل الصديقية**، ورقة 116؛ **الديباج المذهب**، 198؛ **كفاية المحتاج**، 330/1-331؛ **الاستقصا**، 200/2؛ **نيل الابتهاج**، ص 309؛ **سلوة الأنفاس**، 71/3؛ **الإعلام**، ج9/ ص 49؛ **شجرة النور**، 162.

4- الملامتية : طائفة صوفية يرجح أنها ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بنيسابور. وقد نسب أتباعها إلى الملامة لأنهم يظهرون ما يلامون عليه تستراً لأنفسهم وطلباً للإخلاص. ابن عربي، **الفتوحات المكية**، ج181/1، ج35/3: وقال أبو حفص الفتى الخرساني عنهم :«أظهروا للخلق قبائح ما هم فيه، وكتموا عنهم محاسنهم، فلامهم الخلق على ظواهرهم، ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم».

انظر : علي سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ج566/3، عبد القادر محمود، **الفلسفة الصوفية في الإسلام**، **نظرية الملامة**، مصر 1967، ص 403؛ أبو العلاء عفيفي، **الملامتية والصوفية وأهل الفتوة**، القاهرة، 1945

5- يعتقد ذ. أحمد التوفيق (**التشوف**،169، هامش 315) أن الجملة التي وضعناها بين معقوفتين داخل المتن هي عبارة عن تعليق لابن عيشون على سلوك المترجم. لكن ابن عيشون قد أردف ذلك التعليق بقوله: «قال التميمي بعدما تقدم» وهي عبارة يفهم منها أن ذلك التعليق هو من صميم كلام التميمي.

القُلوبُ مَائِلةٌ إِلَيْهِ.[6]

[قالَ محمَّد] [7] : أدْرَكْتُهُ واخْتَلَفْتُ إلَيْهِ. كَانَ رَحِمَهُ اللهُ، مُعَظِّماً للعِلمِ يُوَفِّيهِ حَقَّهُ ودَرَجَتَهُ، مُنْقَبِضاً عَنِ السُّلْطانِ، شَرِيفَ النَّفْسِ، مُتَواضِعاً للفُقَراءِ، ولَمْ أرَ أزْهَدَ منْهُ، اجْتَمَعَتْ فيهِ خِصالٌ مَا اجْتَمَعَتْ في غَيْرِهِ : الفِقْهُ في المَسائِلِ، والفِقْهُ في الحَدِيثِ، وَمَعْرِفَةُ التَّفْسِيرِ [لِلقُرآنِ] [8] والتَّصَوُّفُ. وَأمَّا الكَلامُ عَلَى «الرِّعَايةِ»، وكَلامِ المُحَاسِبِيِّ، فلَمْ يَخْلُفْهُ مِثْلُهُ فِي ذَلِكَ، مَعَ الوَرَعِ والزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، والتَّخَشُّنِ فِي المَلْبَسِ، والسَّمَاحَةِ وحُسْنِ الخُلُقِ. طَلْقَ الوجْهِ، سَالِمَ الصَّدْرِ؛ اجْتَمَعَتِ القُلوبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، يَهابُهُ كُلُّ مَنْ لَقِيَهُ، يُقْبِلُ عَلَى الصَّغيرِ والكَبيرِ، وَيُجيبُ مَنْ دَعَاهُ، لا يَحْقِدُ عَلَى أحَدٍ، ولا يَتَعَاظَمُ عَلَيْهِ. وكَانَ، رَحِمَهُ اللهُ، يَصِلُ قَرابَتَهُ وجيرانَهُ وسَائِرَ النَّاسِ. وكَانَ يُقْصَدُ مِنَ البُلْدانِ لِلقِراءَةِ عَلَيْهِ، وكَانَ، رَحِمَهُ اللهُ، مِمَّنْ تَنَزَّهَ عَنِ الدُّنْيَا وتَرَكَهَا اخْتِياراً .

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّدُ ابْنُ أَخِيه الفَقِيهِ، أَبِي القاسِمِ، وغَيْرُ واحِدٍ مِنْ أَهْلِ البَلَدِ، أَنَّهُ كَانَ سَبَبُ تَرْكِهِ لِلدُّنْيا، وزُهْدِهِ فِيها، [أَنَّهُمَا لَمَّا تُوُفِّيَ والِدُهُ، رَحِمَهُ اللهُ، وَرِثَهُ هُو والفَقِيهُ أَبُو القَاسِمِ المَذْكورُ] [9]، وأَنَّهُمَا اتَّفَقَا عَلَى قِسْمَةِ التَّرِكَةِ المَذْكُورَةِ الَّتِي

6- في كتاب «المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي» لابن الأبار تحقيق ف. قديرة وزيدان، مطبعة روخوس، مجريط، 1885م، ص 272، وعلى هامش ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله الجذامي البرجي المتوفى سنة 509 هـ، توجد حاشية بخط ابن رُشَيْد السبتي المتوفى بفاس سنة 721 هـ/1321م نصها : «ذكر صاحب المستفاد أن أبا الحسن سيد علي بن حرزهم اعتكف على قراءة إحياء علوم الدين في بيته سنة وجرّد المسائل التي تنتقد عليه ثم هم بحرقه فنام فرأى قائلاً يقول : جردوه واضربوه حد الفرية، فجرد وضرب ثمانين سوطاً، وكان يجد الألم الشديد من ذلك فلما استيقظ تاب إلى الله وتأمل تلك المسائل فإذا هي موافقة للكتاب والسنة، نفعنا الله بهما». وقد أورد التادلي هذه الحكاية في التشوف (ص 169) دون ذكر المستفاد

7- في الروض العطر (المطبوع) : قال التميمي بعد ما تقدم

8- زيادة من مخطوط الفقيه المنوني، وهي ساقطة من الكتاب المطبوع

9- زيادة من مخطوط الفقيه المنوني وهي جملة ساقطة من الكتاب المطبوع

وَرِثَاهَا عَنْ أَبِيهِمَا، رَحِمَهُ اللَّهُ. فَلَمَّا قَامَ الفَقِيهُ أَبُو الحَسَنِ بِاللَّيلِ لِوِرْدِهِ، جَالَ خَاطِرُهُ فِي التَّرِكَةِ وَمَا يَأْخُذُ مِنْهَا لِنَفْسِهِ، وما يَتْرُكُ لِأَخِيهِ، حَتَّى لَمْ يَدْرِ ما صَلَّى، واشْتَغَلَ سِرُّهُ بِذَلِكَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ، بَعَثَ لِأَخِيهِ أَبِي القَاسِمِ المذْكُورِ وَقَالَ لَهُ: أَحْضِرْ الشُّهودَ حَتَّى أَتَصَدَّقَ عَلَيْكَ بِمِيرَاثِي فِي أَبِي. فَقَالَ لَهُ: لا تَفْعَلْ. فَقَالَ لَهُ: لَئِنْ لَمْ تَفْعلْ ذَلِكَ، لأَتَصَدَّقَنَّ بِهِ عَلَى الجُذَمَاءِ. فَلَمَّا رَأَى عَزْمَهُ عَلَى ذَلِكَ، أَحْضَرَ الشُّهودَ، وتَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِمِيراثِهِ، وقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ.

[قَال مُحَمَّد][10]: وهَذَا يَدُلُّ عَلى سَعَةِ عِلْمِهِ ومَعْرِفَتِهِ باللَّهِ تَعَالَى، لأَنَّ العَارِفَ بِاللَّه، يُراعِي قَلْبَهُ ويَفْتَقِدُهُ، فَإذا وَجَدَ فِيهِ شَيْئاً مِنَ الاشْتِغالِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، بَادَرَ إِلَى نَزْعِهِ مِنْ قَلْبِهِ، حَتَّى يُقْبِلَ عَلَى صَلاتِهِ ومُنَاجَاةِ مَوْلاهُ، وَهُوَ فَارِغُ القَلْبِ، لِأَنَّهُ قَدْ رُوِيَ فِي الحَدِيثِ (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُقْبِلٌ عَلَى العَبْدِ فِي صَلاتِهِ، ما كَانَ مُقْبِلاً عَلَيْهَا بِقَلْبِهِ)[11]، فإذا سَرَحَ قَلْبُهُ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيا، أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ.

[قَال مُحَمَّد][12]: وكَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، خَشِنَ المَلْبَسِ. كَانَ يَلْبَسُ فِي الصَّيْفِ دُرَّاعَةَ[13] قُطْنٍ مَصْبوغَةً وطَاقِيَة، ومِئْزَراً قَصِيراً عَلَى رَأْسِهِ، ويَزِيدُ فِي الشِّتاءِ دُرَّاعَةً ثَانِيةً مِنْ قُطْنٍ. وكُنتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي بيْتِهِ الَّذِي كَانَ يَسْتَرِيحُ فِيهِ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ فِيهِ الطَّلَبَةُ ومَنْ لَهُ حَاجَةٌ فِي سُؤالٍ، وكَانَ فِي وسَطِ البَيْتِ حَصِيرٌ لا غَيْرُ، وَفِي نَاحِيَةٍ مِنْهُ سَجَّادَةٌ، وعَلَيْها حَصِيرُ حَلْفَاءٍ، وَفَوْقَ الحَصِيرِ عَبَاءَةٌ خَشِنَةٌ جِداً كَانَ يَنامُ فِيها. وتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فَإِذا بِهِ لا يَأْخُذُ مِنَ الدُّنْيا إِلَّا المُهِمَّ الضَّرُورِيَّ، وَلَوْ شاءَ لَكَانَتْ تُعَدُّ لَهُ الفُرُشُ اللَّيِّنَةُ.

10- في الروض العطر (المطبوع): قال أبو عبد الله التميمي بعد ذكر ما تقدم.

11- يوجد معناه في سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب الالتفات في الصلاة، والسنن الكبرى للبيهقي، 1/ ص 191

12- في الروض العطر (المطبوع)ص 59 : قال التميمي

13- الدرَّاعة (أو الدُّراعة) : ضرب من الثياب التي تلبس، وقيل : جبة مشقوقة المُقدَّم (لسان العرب : درع)

لكِنَّهُ، رَحِمَهُ اللهُ، لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ، ﴿ﷺ﴾، كَانَ كَثِيراً مَا يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالتَّصَبُّرِ عَلَى المَكَارِهِ وعَلَى خَشِنِ المَطْعَمِ وخَشِنِ المَلْبَسِ[14]، أَخَذَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ، رَحِمَهُ اللهُ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ[15] : إِنِّي لَمَّا كُنْتُ اجْتَمَعْتُ مَعَ الطَّلَبَةِ فِي مَسْجِدِ أَبِي جَعْفَرٍ بِالقَلْعَةِ، وِيَقْرَأُ عَنِّي، ذَكَرَ بَعْضُ الطَّلَبَةِ أَنَّهُ يَحْضُرُ المجْلِسَ رَجُلٌ أَوَّلَ النَّاسِ؛ لا يَسْبِقُهُ أحدٌ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهُ. يَجْلِسُ ورَأْسُهُ تَحْتَهُ لا يُكَلِّمُ أَحَداً، فَقَالَ لَهُمْ : إِذَا كَانَ فِي المجْلِسِ تُشِيرُوا إِليَّ. فَلَمَّا حَضَرُوا فِي المجْلِسِ عَلَى عَادَاتِهِمْ، أَشَارَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ. فَقَالَ الشَّيْخُ لِمَنْ يَليهِ مِنَ الطَّلَبَةِ : يَقَعُ لِي أَنَّهُ مِنْ مُؤْمِنِي الجِنِّ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَعْرِضُوا لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ كَلامٍ أَوْ غَيْرِهِ. فَلَمَّا انْقَضَى المجْلِسُ، لَمْ يَمْتَثِلِ الطَّلَبَةُ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ الشَّيْخُ، بَلْ كَانَتْ تَوْصِيَتُهُ لَهُمْ إِغْرَاءً. فَقَعَدَ لَهُ بَعْضُهُمْ فِي الطَّرِيقِ عَلَى بابِ المَسْجِدِ، وَوَقَفُوا لَهُ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الطَّرِيقِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ، مَشَى بَعْضُهُمْ أَمَامَهُ، وَبَعْضُهُمْ عَنْ يَمِينِهِ وعَنْ يَسَارِهِ، وبَعْضُهُمْ خَلْفَهُ، واكْتَنَفُوهُ مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ. فَلَمَّا مَشَى قَلِيلاً عَنِ المَسْجِدِ، حُجِبَ عَنْهُمْ، وطَلَبُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، ولَمْ يَعْرِفُوا أَيْنَ أَخَذَ. فَرَجَعُوا إِلَى الشَّيْخِ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى. فَقَالَ لَهُمْ : أَسَأْتُمْ فِي فِعْلِكُمْ، فَلَنْ تَرَوْهُ أَبَداً. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ، جَاءَتْنِي رَفْرُوفَةٌ[16] مِنْ هَذَا المُتَوَفَّى، رَحِمَهُ اللهُ، يَقُولُ لِي : يَا فَقِيهُ ! كَانَ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْ مُؤْمِنِي الجِنِّ يَحْضُرُ مَجْلِسَكَ، وَيَنْقُلُ إِلَيْنَا ذَلِكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَكُنَّا نَنْتَفِعُ بِذَلِكَ. فَتَعَرَّضَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِكَ، وَهُمْ لا يَحْتَمِلُونَ مَنْ يَتَكَشَّفُ عَلَيْهِمْ، فَانْقَطَعَ عَنْ حُضُورِ مَجْلِسِكَ، وانْقَطَعَتْ عَنَّا بَرَكَةُ

14- كثيرة هي الأحاديث حول فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس. أنظر بعضاً منها في رياض الصالحين للإمام النووي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ص 171-190

15- يعني علي ابن حرزهم

16- لم أهتد إلى معناها. وقد ورد ذكر رفروفة في كتاب التشوف (ص 109) للدلالة على منطقة جغرافية كان يقام بها سوق أسبوعية.

مَجْلِسِكَ.

[قَالَ مُحَمَّد][17] : أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ أَخِي أَبِي الحَسَنِ[18] المذْكُورِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّ عَمَّهُ كَانَ مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ الفَقِيهُ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبُّودٍ[19]، وكَانَ مِنْ أَعيانِ مَدِينَةِ فاس، حَرَسَها اللَّهُ، ومِنْ أَهْلِ اليَسارِ، قَالَ : جَاءَ ابْنُ عَبُّودٍ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ فَقَالَ لَهُ : يا فَقِيهُ ! وَصَلَ مِنَ المَشْرِقِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ والفَضْلِ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ، وقَدْ أَخْرَجْتُهُ لِلجِنانِ[20] اليَوْمَ، وأُحِبُّ أَنْ تَحْضُرَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ : نِعْمَةٌ وكَرَامَةٌ، فَمَشَى مَعَهُ إِلى الجِنانِ، وكَانَ الجِنانُ خارِجَ بَابِ بَنِي مُسَافِرٍ[21] مِنْ عُدْوَةِ[22] الأَنْدَلُسِ، وكَانَ ابْنُ عَبُّودٍ لَمَّا وَصَلَ إِلى الجِنانِ مَعَ الرَّجُلِ المَشْرِقِيِّ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ يَمْشِي لِلفَقِيهِ أَبِي الحَسَنِ، ويَرْغَبُ إِلَيْهِ أَنْ يَصِلَ إِلى الجِنانِ ويَجْتَمِعا فِيهِ. فَوَصَلَ إِلَيْهِ، وَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ فَأَجَابَهُ لِسُؤَالِهِ. قَالَ : فَدَخَلَ الفَقِيهُ الجِنانَ، فَلَمَّا فَتَحَ بَابَ الجِنانِ، فَإِذا بِالشَّيْخِ المَشْرِقِيِّ مُسْتَنِداً إِلى شَجَرَةٍ مُقابِلَةٍ لِلبابِ يَنْتَظِرُ وُصُولَ الفَقِيهِ. فَلَمَّا وصَلَ، وَوَقَعَ بَصَرُهُ عَلَيْهِ، جَلَسَ عِنْدَ البابِ وَلَمْ

17- في الروض العطر ، ص 60: قال المؤلف التميمي

18- كذا في الروض العطر المحقق، ص 60، وفي النسخة المخطوطة، ولعله أراد القول : ابن أخي أبي القاسم، وهو الشيخ أبو القاسم عبد الرحمان بن اسماعيل (انظر عنه : تحفة أهل الصديقية،...م.س. ورقة 146)

19- لم أقف على ترجمته. وبيت ابن عبود قديم بفاس. (زهر الآس، 28/2)

20- الجنان = البستان

21- هو باب سيدي بوجيدة الحالي، وكان في بداية الأمر يدعى باب أبي سفيان. ويفترض ذ. عبد الوهاب بن منصور (جنى زهرة الآس،... م. س. ص 120) أن تسمية باب بني مسافر ربما كانت مرتبطة باسم قبيلة أو عشيرة عربية كانت مستقرة هناك، فأضيف الباب إليها.

22- عُدوة (حسب لهجة قريش، عِدوة حسب لهجة قيس، أو عَدوة كما في لهجة المغرب)، بمعنى الشاطئ أو ضفة النهر أو جانب الوادي (لسان العرب : عدا). وفي القرآن الكريم (سورة الأنفال، 42) : العُدوة (إذ أنتم بالعُدوة الدنيا وهم بالعُدوة القُصوى). بالنسبة للمغاربة كانت العُدوة تعني الأندلس. وبالنسبة للأندلسيين كانت العُدوة (أو بر العدوة) تعني لديهم شمال افريقيا باستثناء افريقية

Dozy. *Suplèment*.. op.cit. II, p. 105 أما في متن المستفاد فالإشارة إلى عُدوة الأندلس (مقابل عدوة القرويين) أو العدوة الشرقية من فاس التي نزل بها الأندلسيون الذين أجلاهم الحكم بن هشام عن الأندلس.

يَدْخُلْ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبُّود : أُدْخُلْ يا فَقِيهُ ! فَقَالَ لَهُ : لا أَدْخُلُ وَلا أَمْشِي إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَنِي وَيُسَلِّمَ عَلَيَّ. فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى ابْنُ عَبُّودٍ وَقَالَ لَهُ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ غَرِيبٌ لا تَصِلُ إِلَيْهِ؟! فَقَالَ لَهُ : هُو رَجُلٌ حَلَالٌ. قَالَ : فَقَامَ الرَّجُلُ المشْرِقِيُّ ومَشَى إِلى الفَقِيهِ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وقَبَّلَهُ بِرَأْسِهِ وَبِيَدَيْهِ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ وتَفَرَّسَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ رَجُلٌ حَلالٌ. فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ. فَقَالَ : بِأَيِّ شَيْءٍ أَرَدْتَ أَنْ تَتَحَلَّلَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ لَهُ : بِعَمَلِ الكِيمِيَاءِ. فَقَالَ ابنُ عَبُّود : كَمْ نَوَيْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ فِي ضِيَافَتِهِ؟ فَقَالَ : عَشَرَةَ دَنَانِير. قَالَ لَهُ : أَضْعِفْهَا لَهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وأَعْطَاهَا لَهُ، وانْصَرَفَ الرَّجُلُ بَعْدَ اعْتِرَافِهِ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا تَفَرَّسَ فِيهِ الفَقِيهُ، وأَخْبَارُهُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنا مِمَّنْ يُوثَقُ بِهِ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الفَقِيهِ أَبِي الحَسَنِ يَوماً، فَجاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِكْنَاسَةَ، فَقَالَ لَهُ : يَا فَقِيهُ ! عِنْدِي صَبِيٌّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَعْوامٍ ولَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ بِكَلِمَةٍ، فَادْعُ اللّهَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ : أَطْلَقَ اللّهُ لِسانَهُ. وكَانَ ذلكَ بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ. فَرجعَ الرَّجُلُ المذْكُورُ إلى مِكْنَاسَةَ ثَانِيَ يَوْمٍ بِدُعائِهِ. فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ يُهَنُّونَهُ بِكَلامِ ابْنِهِ أَمْسِ بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ. فَقَالَ لهُمْ : فِي ذَلِكَ الوَقْتِ دَعا لَهُ الشَّيْخُ، رَحِمَهُ اللّهُ.

وَجَاءَهُ إِنْسانٌ فَقَالَ لَهُ : يا فَقِيهُ ! فُلانٌ تَوَعَّدَنِي بِشَرٍّ، وأَخْشَى أَنْ يُؤْذِيني عِنْدَ أَهْلِ الأَمْرِ. فَقَالَ لَهُ، رضِي اللّهُ عَنْهُ : أَشْغَلَهُ اللّهُ بِنَفْسِهِ. فبَقِيَ ذَلكَ الرَّجُلُ المدْعُوُّ عَلَيْهِ نَحْواً مِنْ خَمْسٍ وعِشْرِينَ سَنَةً مَا تَزولُ عَنْهُ نَكْبَةٌ حَتَّى يَقَعَ فِي أُخْرى، مُعْتَلُّ[23] الجِسْمِ حَتَّى تُوُفِّيَ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو الحَجَّاج، يُوسُفُ بْنُ عَلِيٍّ -صَدِيقُنَا- وَالرَّجُـلُ الصَّالِحُ الفَاضِلُ

23- في الأصل : مُعْلَلٌ

الخَطيبُ، أَبُو عِمْرانَ، مُوسَى بْنُ إِبْرَاهِيم[24]، رَحِمَهُما اللهُ، قالا : سَمِعْنا الشَّيْخَ أبا الحَسَنِ، رَحِمَهُ اللهُ، يَقُولُ : رَأَيْتُ الحَقَّ سُبحانَهُ فِي المنامِ وعَليهِ مُسُوحٌ، وَرَأَيْتُ بالحَضْرةِ جَمَاعَةً، مِنْهُمْ مَنْ أعْرفُ. فَكَانَ يَقْطَعُ مِنْ تِلْكَ المُسُوحِ ويُلقِي لِكُلِّ مَنْ حَضَرَ، وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ. فَيَقَعُ بِقَلْبي أَنَّ ذَلِكَ الَّذي يُعْطِي هِي الدُّنْيا الَّتِي حُجِبَتْ عَنْهُ، فَيَقْطَعُ مِنْ تِلْكَ المُسوحِ لِيُعْطِيَنِي فيَقُولُ لِي : يا فَقِيهُ ! فَنَقُولُ : يَا رَبُّ، كَفَانِي [مِنْكَ][25] أَنْ سَمَّيْتَنِي فَقِيهاً. لا أَحْتَاجُ إلى غَيْرِ ذَلِكَ. كَفَانِي مِنْكَ ذَلِكَ يا رَبُّ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّدُ ابْنُ الفَقِيهِ أَبِي القاسِمِ ابْنِ حِرزْهِمَ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إلى الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ فَقالتْ لَهُ : سُرِقَ بَيْتِي، ولَمْ يَبْقَ لِي فيهِ شَيْءٌ. فَقَالَ لهَا : أَعْرِفُ السَّارِقَ؛ أَنَا تَقولي لِي ذَلِكَ [كذا]. فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ قُلْتُ لَكَ ذَلِكَ. فَقَالَ لها : فَاسْمَعي مِنِّي مَا أَقُولُ لَك. إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ، فَنامي عَلى طَهَارةٍ بَعدَ صَلاةِ العِشاءِ، فَمَا رَأَيْتِ فِي النَّومِ فَأَخْبِرِينِي بهِ غَداً إِنْ شَاءَ اللهُ. فَلَمَّا أَصْبَحَتْ، وَطَلَعَ النَّهارُ، جاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : رَأَيْتُ كأَنَّ دِيكاً نَقَرَنِي، فَقَالَ : المُؤَذِّنُ أَخَذَ مَتَاعَك. فَبعَثَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : مَا مَعَنا ثَالِثُ الآدَميِّينَ، فَرُدَّ مَتاعَها فِي خِفْيَةٍ وَإِلاَّ كَتَبْتُ لِلقَاضِي فِي أَمْرِكَ. فَاعْتَرَفَ المُؤَذِّنُ بِمَتَاعِ المَرْأَةِ وَرَدَّ ذَلِكَ إِلَيْها.

أَخْبَرَنِي أَبُو إِسْحَاق، إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّرِيشِيِّ، رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ : سَمِعْتُ الفَقِيهَ أبا الحَسَنِ، -يَعْنِي ابْنَ حِرزْهِم- يَقُولُ : كُنْتُ حِينَ كَوْنِي أَعْمَلُ المَجْلِسَ بِمَسْجِدِ أَبِي جَعْفَرٍ لَيْلَةً، وخَبرْتُ نَفْسِي مِنْ دَقَائِقِ العُلومِ وَأَسْرَارِهَا وَقُلتُ : أُسْمِعُ النَّاسَ غَداً إِنْ شَاءَ اللهُ، كَلاماً لَمْ يُسْمَع مِنْ أَحَدٍ قَبْلي، وتَأَهَّبْتُ لِذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، احْتَبَسْتُ عَنِ المَجْلِسِ حَتَّى عَلِمْتُ أَنَّ المَجْلِسَ قَدْ غَصَّ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ قَدِ احْتَفَلَ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ،

24- انظر ترجمته لاحقاً (رقم 81)

25- زيادة من النسخة المخطوطة، وهي ساقطة من «الروض العطر» المطبوع

لَمْ أجِدْ فِي نَفْسِي حَرْفاً وَاحِداً مِمَّا كُنْتُ قَدْ رَوَيْتُهُ، والنَّاسُ قَدْ أوْمَأوا إِلَيَّ بِأبْصَارِهِمْ. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي، وَضَعْتُ جَنْبِي كَأَنِّي أَخَذَنِي وَجَعٌ، ثُمَّ فَكَّرتُ فِي السَّبَبِ فِي ذَلِكَ. فَإِذا هُو مَا خَطَرَ بِبالِي. فَتُبْتُ إلى اللهِ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ نَظَرْتُ إلى النَّاسِ، فَوَقَعَتْ عَيْنِي عَلَى شَخْصٍ ورَأْسُهُ تحتَهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ونَظَرَ إِلَيَّ ونَظَرْتُ إِلَيْهِ[26] /1/، ثُمَّ عادَ إلى حَالَتِه. قَالَ الفَقِيهُ : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلى نَفْسِي، فَفُتِحَ عَلَيَّ جَمِيعُ[27] مَا كُنْتُ أَعْدَدْتُهُ وَرَوَيْتُهُ، وَتَمَّ المجْلِسُ، فَقامَ الرَّجُلُ الَّذِي نَظَرْتُ إِلَيْهِ، وكَانَ الخَضِرَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَخْبَرَنِي أَبُو القَاسِمِ، عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ عُمرَ عَنْ مَنْ حدَّثَهُ[28] أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ فاسَ سَأَلَ مِنَ الفَقِيهِ أَبِي الحَسَنِ [ابْن حِرزِهِم][29] أَنْ يَبِيتَ عِنْدَهُ، فَأَجَابَهُ الفَقِيهُ لِذَلِكَ، وبَاتَ عِنْدَهُ. وكَانَ فِي الدَّارِ الَّتِي باتَ فِيهَا الفَقِيهُ، امْرَأَةٌ لها مُدَّةُ أَعْوامٍ مَرِيضَةٌ، مَقْعُودَةٌ[30] مِنْ أَوْجَاعٍ بِوَرِكَيْهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ، خَرجَ الفَقِيهُ وَشَيَّعَهُ صَاحِبُ الدَّارِ. فَلَمَّا رَجَعَ صَاحِبُ الدَّارِ مِنْ تَشْيِيعِهِ، ودَخَلَ مَنْزِلَهُ، وَجَدَ المَرْأَةَ المَرِيضَةَ المَقْعُودَةَ قَائِمَةً عَلَى قَدَمَيْهَا. فَقَالَ لها : مَا هَذَا؟ وما السَّبَبُ فِي عَافِيَتِكِ؟ فَقَالَتْ لَهُ : لمَّا سَمِعْتُ بِالفَقِيهِ أَبِي الحَسَنِ أَنَّهُ بَاتَ فِي مَوضِعِنَا، رَفَعْتُ يَدِي إلى اللهِ، وقُلتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكَرامَةِ هَذَا الفَقِيهِ عِنْدَكَ أَنْ تُعافِيَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، وجَدْتُ فِي نَفْسِي خِفَّةً، فَقُمْتُ وتَصَرَّفْتُ ولَيْسَ بِي أَلَمٌ، والحَمْدُ لِلّه.

قَالَ مُحَمَّدٌ : ويُشْبِهُ هَذِهِ /2/ القِصَّةَ ما حَدَّثَنا بِهِ تاجُ الدِّينِ، أَبُو سَعِيدٍ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَانِ الخُراسانِيِّ، مِنْهُ عَلَيْنا بِدُوَيْرَةِ الصُّوفِيَّةِ مِن مِصْرَ، حَرَسَها اللهُ تَعَالى، قَالَ :

26- هنا ينتهي النقل من الروض العطر لابن عيشون وتبدأ القطعة المخطوطة من المستفاد

27- في الروض العطر، ص 62 : ففتح الله علي كل

28- في الأصل : حدثني

29- ساقطة من الأصل، والزيادة من الروض العطر، 63

30- في الروض العطر،...م.س. ص 63، : مقعدة

حدَّثَنا أَبُو المحَاسِن، مَسْعُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ، [عَنِ] الأُسْتاذِ أَبِي القاسِمِ القُشَيْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الشِّيرازِيَّ[31] يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الواحِدِ بْنَ بَكْرٍ الوَرْثَانِيَّ[32] يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ المَغْرِبِيَّ[33] بِطَرَسُوس[34] يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ الجَلَاءِ[35] يَقُولُ: اشْتَهَتْ والِدَتِي عَلَى وَالِدِي يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ سَمَكاً، فَمَضَى والِدِي إِلى السُّوقِ وأَنَا مَعَهُ، فَاشْتَرَى سَمَكَةً، وَوَقَفَ يَنْظُرُ مَنْ يَحْمِلُها [له]. فَرأى صَبِيّاً وَقَفَ بِحِذائِهِ فَقَالَ: يَا عَمُّ! تُرِيدُ مَنْ يَحْمِلُها لَكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَحَمَلَها[36] ومَشَى مَعَنا. فَسَمِعْنا الآذانَ، فَقَالَ الصَّبِيُّ: أَذَّنَ المُؤَذِّنُ، وأَنَا أَحْتاجُ إِلى أَنْ أَتَطَهَّرَ وَأُصَلِّيَ، فَإِنْ رَضِيتَ، وإِلاَّ فاحْمِلِ السَّمَكَةَ. وَوَضَعَ الصَّبِيُّ السَمَكَ[ـةَ] ومَرَّ. قَالَ: فَقَالَ أَبِي: نَحْنُ أَوْلَى أَنْ نَتَوكَّلَ فِي السَّمَكَ[ةِ عَلَى اللهِ][37]. فَدَخَلْنا المَسْجِدَ وصَلَّيْنا، وجَاءَ الصَّبِيُّ وَصَلَّى. فَلَمَّا خَرَجْنا فَإِذا

31- هو أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي (276-371 هـ/ 890-982 م) شيخ المشايخ في وقته، وعالماً بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق. صحب رويماً والجريري وأحمد بن عطاء، وغيرهم، ترجمته في: **طبقات الصوفية**، 462؛ **الرسالة القشيرية**، 420؛ **حلية الأولياء**، 385/10

32- فوق هذا الإسم علامة «صح». والصحيح أنه الورثاني بالثاء. وهو أبو الفرج عبد الواحد بن بكر، الصوفي. كتب الكثير ودخل جرجان سنة 365 هـ وسمع وحدث بها وتوفي بالحجاز سنة 372 هـ . انظر: **طبقات الصوفية**، ص 72

33- أبو عبد الله المغربي، كان من المعمرين، صحب عليا بن رزين، قيل إنه توفي عن مائة وعشرين سنة وقبره بجبل طور سينا عند قبر استاذه علي بن رزين. انظر: **حلية الأولياء**، ج10/ص 335

34- طرسوس: مدينة بالشام تقع بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، يشقها نهر البردان، تقع الآن في تركيا (قيليقيا): الحميري، **الروض المعطار**، ص 388-389؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 526/3-528

35- أبو عبد الله بن الجلاء، احمد بن يحيى، أصله من بغداد أقام بالرملة ودمشق، وكان من أكابر مشايخ الشام، صحب أباه، يحيى الجلاء، وأبا تراب النخشبي وذا النون المصري وغيرهم. ترجمته في: **طبقات الصوفية**، ص 176؛ **الرسالة القشيرية**، 403؛ **حلية الأولياء**، 314/10؛ **طبقات الشعراني**، 1/ 152

36- في الأصل: فحمله

37- ما بين المعقوفتين زيادة من **روض الرياحين في حكايات الصالحين** لعفيف الدين اليافعي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط 1، 2000، ص 118.ص 215

السَّمَكُ مَوْضُوعٌ مَكَانَهُ. فَحَمَلَهُ وَمَضَى مَعَنا إلى دارِنا. فَذَكَرَ والِدي ذَلِكَ [والدي] إلى والِدَتي، فَقالَتْ : قُلْ لَهُ يُقِيمُ عِنْدَنا[38]. فَقُلْنا لَهُ /3/ ذَلِكَ، فَقالَ إنِّي صائِمٌ، فَقالَتْ : فَتَعُودُ إلَيْنا بِالعَشِيِّ، فَقالَ : إذا حَمَلْتُ مَرَّةً في اليَوْمِ لا أَحْمِلُ ثانياً، فَأَدْخُلُ المَسْجِدَ إلى المَساءِ، ثُمَّ أَدْخُلُ عَلَيْكُمْ، فَمَضَى. فَلَمَّا أَمْسَيْنا، دَخَلَ الصَّبِيُّ وأَكَلْنا. فَلَمَّا فَرَغْنا، دَلَلْناهُ عَلَى مَوْضِعِ الطَّهارَةِ، وَرَأَيْنا فيهِ أَنَّهُ يُؤْثِرُ الخَلْوَةَ. فَتَرَكْناهُ في بَيْتٍ، فَلَمَّا كانَ في بَعْضِ اللَّيْلِ، كانَ بِقَرِيبٍ مِنَّا بِنْتٌ[39] زَمِنَةٌ، فجاءَتْ تَمْشِي، فَسَأَلْناها عَنْ حالِها. قالَتْ : قُلْتُ يا رَبُّ ! بِحُرْمَةِ ضَيْفِنا أَنْ تُعافِيَنِي، فَقُمْتُ. قالَ : فَمَضَيْنا لِنَطْلُبَ الصَّبِيَّ، وإذا الأَبْوابُ مُغْلَقَةٌ كَما كانَتْ، وَلَمْ نَجِدِ الصَّبِيَّ[40]. فَقالَ أَبِي : «مِنْهُمْ صَغِيرٌ وَمِنْهُم كَبِيرٌ»[41].

أَخْبَرَنِي أَبُو القاسِمِ، عَبْدُ الرَّحْمانِ بْنُ عُمَرَ أَنَّ امْرأَةً جاءَتْ لِلفَقِيهِ أَبِي الحَسَنِ، فذَكَرَتْ لَهُ أَنَّ وَلَداً لَها أُخِذَ مَعَ أَقْوامٍ وسُجِنُوا جَمِيعاً، وخافَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُضْرَبَ، فَلَعَلَّكَ تُكَلِّمُ القاضِيَ في ذَلِكَ، فَقالَ لَها : أَفْعَلُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى. فَلَمَّا كانَ مِنَ الغَدِ، أُخْرِجَ وَلَدُها وَمَنْ كانَ مَعَهُ في السِّجْنِ، وَضُرِبَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ. فَلَمَّا جاءَتِ النَّوْبَةُ إلى وَلَدِها، أُطْلِقَ بِلا ضَرْبٍ، فَجاءَتِ المَرْأَةُ لِلفَقِيهِ تَشْكُرُهُ عَلَى ذَلِكَ. وَما كانَ كَلَّمَ القاضِيَ في ذَلِكَ، /4/ ولا كانَتْ عادَتُهُ، وإنَّما سَأَلَ اللهَ تَعالَى في ذَلِكَ.

38- في روض الرياحين (م. س.، ص 215) : قل له يقعد حتى يأكل معنا

39- في روض الرياحين : امرأة

40- انظر الحكاية في روض الرياحين في حكايات الصالحين...م.س.ص 118؛ وفي مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثامن، إصدار المجمع الثقافي أبو ظبي، 2000، ص 130؛ ووردت كذلك في صفوة الصفوة، ج2/ ص 500 (مع اختلافات بسيطة)

41- نفس العبارة استعملها ابن عربي في نهاية ترجمته لعبد الله الخياط في كتابه «روح القدس في محاسبة النفس» م. س. ص 116. وفي روض الرياحين : «منهم الصغار ومنهم الكبار» ويضيف (ص 215) : «ومنهم العبيد ومنهم الأحرار، ومنهم النساء ومنهم الرجال، ومنهم المجانين ومنهم العقلاء»

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ الزَّرْهُونِيُّ[42] قَالَ : لَمَّا كَانَ بِإِثْرِ دُخُولِ[43] مَدِينَةِ فاس، كَانَ الفَقِيهُ أَبُو الحَسَنِ يَجْلِسُ فِي الجَامِعِ[44] مِنْ عُدْوَةِ القَرَوِيِّينَ، فَجاءَهُ مُحْتَسِبُ البَلَدِ فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا وَقْتُ جُلوسِكَ فِي الجَامِعِ، [فإِنَّا] نَخَافُ عَلَيْكَ. فَقَالَ لَهُ الفَقِيهُ أَبُو الحَسَنِ : لَوْ نَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّماءِ لَنَجَوْتُ مِنْهَا، لأَنِّي رَأَيْتُ رُؤيَا أَمَّنَتْنِي. فَسُئِلَ عَنِ الرُّؤيا، فَقَالَ : رَأَيْتُ كَأَنَّ القِيَامَةَ قَدْ قامَتْ، وحُشِرَ النَّاسُ لِلحِسَابِ، فَنُودِيَ بِاسْمِي وَقِيلَ لِي : قَدْ فَعَلْتَ كَذا، لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ، فَلَمْ أُجِبِ المُنادِيَ حَتَّى نَادى ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقُلْتُ : مَا لِلسُّكوتِ مَعْنى، فَقُلْتُ : يا رَبُّ ! ما فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ اسْتِخْفافاً بِحَقِّكَ ولا مُتَهاوِناً، وإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِغَلَبَةِ القَضَاءِ السَّابِقِ. فَقَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ، فَقُلْتُ لَهُ : أَسْأَلُكَ العَفْوَ والعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا والآخِرَةِ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ فَعَلْتُ[45].

أَخْبَرَنِي أَبُو القاسِمِ، إِسْحَاقُ [بن]إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِي[46]، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى، قَالَ : سَمِعْتُ الفَقِيهَ، [يَعْنِي ابْنَ حِرْزِهِم][47]، رَحِمَهُ اللَّهُ، يَقُولُ : كُنْتُ مَاراً فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ[48]، وصِبْيانٌ يَلْعَبُونَ، فَضَرَبَ صَبِيٌّ /5/ مِنْهُمْ رِجْلِي، فَعَظُمَ عَلَيَّ، فَصِحْتُ عَلَيْهِ، وَأَغْلَظْتُ لَهُ فِي القَوْلِ، ثُمَّ سِرتُ وتَرَكْتُهُ. وَإِذا بِسَائِلٍ سَأَلَ شَيْئاً لِلَّهِ، فَنَزَعَ الفَقِيهُ مِئْزَرَهُ مِنْ أَعْلَى رَأْسِهِ، وَدَفَعَهُ إِلى السَّائِلِ. فَسَأَلَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ غَيْرُهُ. قَالَ :

42- سيترجم له التميمي لاحقاً (رقم 78)

43- فيالروض **العطر** : دخولي

44- في الروض **العطر** : المسجد الجامع

45- يبدو أن الدعوة بالعفو والعافية قد أضحت من بين أدعية أبي الحسن بن حرزهم المفضلة. انظر كذلك : **التشوف**، ص 171 و **الروض العطر**...م.س.ص ، 66

46- في الأصل : دلي، وفي **الروض العطر**، ص 63 : علي

47- ساقطة من الأصل، والزيادة من: **الروض العطر**...م.س. ص 63

48- في الروض العطر(ص 63) : الطرق، واستعمل التميمي عبارة «في بعض الطريق» في مكان آخر(ترجمة ابن معلى)

فَقَالَ الفَقِيهُ، رَحِمَهُ اللّهُ : لا يَجْمَعُ اللّهُ فِي مُؤْمِنٍ سُوءَ الخُلُقِ والبُخْلَ.

أَخْبَرَنِي الفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ، قاسمُ الشَّرِيفُ عَنِ الفَقِيهِ أَبِي الحَسَنِ، أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو الحَسَنِ : فَمَشَيْتُ إِلَيْهِ يَوْماً لِلجنانِ، فَدَخَلْتُ الجِنانَ حَتَّى أَتَيْتُ الخَيْمَةَ، فَرَأَيْتُ شَخْصَ امْرَأَةٍ مَا رَأَيْتُ أَقْبَحَ صُورَةً مِنْهَا. فَقُلْتُ : اللّهُمَّ أَقْلَعْها، فَأَقَامَتْ أَيَّاماً وَتُوُفِّيَتْ وإذا هِي ابْنَةُ الرَّجُلِ صَدِيقِي.

قَالَ أَبُو الحَسَنِ : وكُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَدْخُلُ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُ يَوْماً مِنَ الأيَّامِ مَعَ امْرَأَتِهِ صَبِيَّةً صَغِيرَةً، فَقَالَتْ لِي : أَمْهِل[49] يا فَقِيهُ ! لا تَدْعُ عَلَيْها عَسَى تَعِيشُ تَفْلِي لِي رَأْسِي.

وَأَخْبَرَنِي غَيْرُ واحِدٍ مِنْ أَهْلِ البَلَدِ مِمَّنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ، أَنَّ إِجابَةَ الدُّعَاءِ فِي أَجْدَادِهِ وَقَرابَتِهِ مِنْ أَبِيهِ مَعْرُوفَةٌ فِيهِمْ، وكانُوا كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ وَالصَّلاحِ والدِّينِ وَالوَرَعِ[50].

وكَانَ /6/ الفَقِيهُ أَبُو الحَسَنِ يَقُولُ : [فِي] الشَّهْرِ الفُلانِيِّ، مِنْ عَامِ كذا أَمُوتُ. وَسَمِعْتُ أَنا ذَلِكَ مِنْهُ. وَتُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى، بِمَدِينَةِ فَاس، عَامَ تِسْعَةٍ وخَمْسِينَ وخَمْسِمائَةٍ[51].

وَأَخْبَرَنِي غَيْرُ واحِدٍ مِنْ أَهْلِ البَلَدِ أَنَّ اليَوْمَ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، كَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ دَعَاهُ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَتَغَذَّى عِنْدَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، ودَخَلَ الحَمَّامَ عَلَى عَادَتِهِ. وكَانَ مِنْ

49- في الأصل : أمها

50- لا يفيد كتاب المستفاد بتوارث الصلاح أو تركزه في أسرة معينة سواء بمفهومه التبركي أو بمفهومه الديني - الاجتماعي (انظر قسم الدراسة من هذه الأطروحة، ص 199)، وربما مثلت أسرة ابن حرزهم حالة خاصة أو استثناء حسبما يستشف من الفقرة أعلاه والتي نقلها صاحب «**تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية**، م. س.، ورقة 146

51- في الأصل : تسعة وتسعين وخمس مائة وهو خطأ (انظر : **الروض العطر** ...م.س.، ص 64 ، **التشوف**، ص 168-169؛ ابن قنفذ، **شرف الطالب في أسنى المطالب**، ضمن كتاب، **ألف سنة من الوفيات**، تحقيق د. محمد حجي، الرباط، 1976، ص 63؛ **بغية السالك**، ورقة132(يقول أن قبره معلوم بفاس «واتخذه أهل فاس مزاراً يتبركون به ويستنجحون»

عَادَتِهِ أَنْ يَدْخُلَ الحَمَّامَ فِي كُلِّ يَوْمٍ. ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الحَمَّامِ، وأَتَى مَنْزِلَهُ، فدَخَلَ بَيْتَهُ، واسْتَلْقَى عَلَى فِراشِهِ. فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ صَلاةِ الظُّهْرِ، أَتَى إِلَيْهِ بَعْضُ الطَّلَبَةِ لِيُوقِظَهُ لِلصَّلاةِ، فَوَجَدَهُ مَيِّتاً، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، تُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَرَثَاهُ الأُسْتاذُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ ابْنُ الجِرَاوِيِّ[52] بِمَرْثِيَةٍ حَسَنَةٍ أَنْشِدْتُها عَنْهُ :

[الوافر]

أَلاَ مَنْ لِلقِيَاسِ عَلَى الأُصُولِ # وَتَرْتِيبِ المَقَاصِدِ والفُصُولِ
أَلاَ مَنْ لِاحْتِجَاجٍ بِالدَّلِيلِ # مِنَ القُرآنِ أَوْ لَفْظِ الرَّسُولِ
وَمَنْ ذَا يَبْتَغِي تَأْوِيلَ رُؤْيَا # تَحَامَاهَا[53] أَخُو الذِّهْنِ الصَّقِيلِ
أَلاَ يَا طَالِبِينَ العِلْمَ نُوحُوا # فَمَا لَكُمُ إِلَيْهِ مِنْ سَبِيلِ
فَعُنْصُرُهُ أَبُو الحَسَنِ المُعَلَّى # تَعَذَّرَ مِنْهُ تَبْرِيدُ الغَلِيلِ
/7/ أَتَتْ لِوَفَاتِهِ أَرْسَالُ رَبِّي # بِحَظٍّ[54] مِنْ كَرَامَتِهِ جَزِيلِ
فَيَالَكَ مِنْ سِرَاجٍ غَيَّبَتْهُ # عَنِ الأَبْصَارِ لَمْحَةُ عُزْرائِيلِ[55]
فَمَاتَ بِمَوْتِهِ فَهْمُ المَعَانِي # وَآذَنَتِ الغَوَايَةُ بِالنُّزُولِ
وهُدَّ بِهِ[56] مِنَ الإِسْلامِ رُكْنٌ # ثَبَاتٌ[57] لِلعَوَاصِفِ والسُّيُولِ
وَبَدْرُ الدِّينِ بَادَرَهُ أُفُولٌ # وَلَيْسَ بِطَالِعٍ بَعْدَ الأُفُولِ
حَكَى البَصْرِيَّ فِي وَرَعٍ وَزُهْدٍ # وَفِي الإِخْلاصِ والصَّبْرِ الجَمِيلِ

52- لم أقف على ترجمته.

53- في الأصل : تحماها. وفي جذوة الاقتباس، (ص 466) :تحاماها، وبها يستقيم الوزن

54- في الأصل : بخَطٍ والتصحيح من جذوة الاقتباس...م.س.ص 466

55- هكذا في الأصل، ولعلهاعزرئيل ليستقيم الوزن.

56- كلمة ساقطة من الأصل، ومثبتة في جذوة الاقتباس (ص 466) وبها يستقيم الوزن

57- في الأصل : تَبدّتْ، والتصحيح من الجذوة

مَخَافَتُهُ الرِّيَا والشَّرُّ يُبْدِي # وَيُخْفِي الخَيْرَ حِرْصاً فِي القَبُولِ
وَلَكِنْ شَرُّهُ البَادِي صَلاحٌ # يَلُوحُ لِكُلِّ ذِي فَهْمٍ نَبِيلِ

2= أَبُو يَعْزَى يَلَّنُورْ [58]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو يَعْزَى، وَاسْمُهُ يَلَّنُور[59]. عُمِّرَ طَوِيلاً، زَائِداً عَلَى المِائَةِ سِنِينَ كَثِيرَةً، فِيما ذُكِرَ[60]. شُهْرَتُهُ بِالمَغْرِبِ بِالانْقِطَاعِ عَنِ الخَلْقِ، وَإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ، والفِرَاسَةِ الصَّادِقَةِ الجَادَّةِ، أَغْنَتْنَا عَنِ التَّعْرِيفِ بِجَمِيعِ أَوْصَافِهِ الَّتِي شُهِرَتْ عَنْهُ، وَشُوهِدَتْ مِنْهُ. وإِنَّمَا أَذْكُرُ فِي هَذَا البَابِ مَا شَاهَدْتُ أنا مِنْهُ إِلَّا حِكَا[يَتَيْنِ] /8/ عَنْ غَيْرِي. وكَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، الشَّيْخُ شَيْخَ المَغْرِبِ، واللَّهُ أَعْلَمُ. وقَدْ كَانَ مِنَ الأَبْدَالِ. وكَانَ لا يَأْكُلُ شَيْئاً مِمَّا يَأْكُلُهُ

58- انظر ترجمته في : **دعامة اليقين في زعامة المتقين**، ...م.س.؛ أحمد التادلي الصومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى** ، م.س. (كل الكتاب)؛ **السر المصون**، ص 94-95؛ **التشوف**، عدد 77 ص 213-222؛ **الذيل والتكملة**...م.س.،س،8/414؛ **أنس الفقير**، 15، 16، 21، 25... **جذوة الاقتباس**، ص 564؛ **القرطاس**، 267؛ **النجم الثاقب** ...(مخ) ج 8، ورقة 105-111؛ العباس بن ابراهيم، **الإعلام**... 406/1؛ **سلوة الأنفاس**، ج1/ 172-174،ج 216/3.

59- يلنور : كلمة بربرية مركبة من مقطعين: إيلا والنور، ومعناها : ذو النور أو ذو الحظ. ومعنى إيعزى : العزيز أو المحبوب حسبما يورده أحمد التوفيق في تحقيقه لكتاب **التشوف** (ص213، هامش 475) وفي تحقيق **دعامة اليقين**، ص 1 هامش 2

60- ذكر طاهر الصدفي (**السر المصون** ، ص 94) «عمره الآن مائة سنة وخمسة وعشرون سنة»، وذكر التادلي أنه «مات وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين سنة» (**التشوف**، 214)، وكذلك الصومعي، كتاب **المعزى**...م.س، ص 136

النَّاسُ، كَانَ أَكْلُهُ أَشْيَاءَ مِنَ الحَشِيشِ تَعَوَّدَ أَكْلَهَا، وسُكْنَاهُ بِأَرْجَان[61]، فِي جَبَلٍ مَعَ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، لا يُجَاوِرُهُ بِمَوْضِعِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

رَأَيْتُهُ بِمَدِينَةِ فَاس[62]، وَصَلَ إِلَيْهَا، وأَنَا إِذْ ذَاكَ صَغِيرٌ، فَحَمَلَنِي إِلَيْهِ والِدي[63] ودَعَا لِي، وَجَرَّ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي. ثُمَّ لَمَّا كَبِرْتُ، سَافَرْتُ إِلَيْهِ إِلَى مَوْضِعِهِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ المُرِيدِينَ. ومَوْضِعُ سُكْنَاهُ عَلَى مَسَافَةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ مَدِينَةِ فاس، حَرَسَها اللَّهُ. فَمَا مَرَرْنَا عَلَى مَوْضِعٍ فِي الطَّرِيقِ فِيهِ دارٌ أَوْ مَنْزِلٌ، إِلَّا تَلَقَّوْنَا وقَالُوا : أَضْيَافُ الشَّيْخِ. فإِنْ كَانَ فِي آخِرِ النَّهارِ، أَنْزَلُونَا وبِتْنَا فِي ضِيَافَةٍ، وإِنْ كَانَ فِي أَوَّلِ النَّهارِ، أَسْقَوْنَا اللَّبَنَ. فَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ حَتَّى وَصَلْنا إِلَيْهِ[64]، رَحِمَهُ اللَّهُ. فَرَأَيْتُ لَهُ كَرَامَاتٍ وفَضَائِلَ حَسَنَةً. [والمُتَوَاتِرُ عِنْدَ]

61- كتبها ابن عبد الملك المراكشي إيروتان (**الذيل والتكملة**، س.8/ص 414) وفي **التشوف** (ص231، 231): إيروجان، ومعناها -حسب ذ. أحمد التوفيق- البخار بصيغة الجمع (**التشوف**، ص 213، هامش 476). وعاد ذ. التوفيق ليحدد معنى الكلمة أكثر (**دعامة اليقين**... م.س.، ص 2، هامش 6) قائلاً : «وإذا كانت بكاف معترقة مخففة فتكون من فعل أرگ الذي يعني بارك، وقد تكون منه إيروگان بمعنى البركة أو المبروكين»

62- كان مستوطناً بها بحومة البليدة (**سلوة الأنفاس**، 1/ 174)

63- تعكس زيارة الناس لأبي يعزى من الحواضر الكبرى كفاس وسبتة ومراكش، وكذا من البوادي المكانة الروحية الكبيرة لهذا الشيخ وتقديس العامة له. وبعد وفاته ترسخت عادة زيارة قبره بتاغية. ويقدم الحسن الوزان وصفاً طريفاً لعادة أهل فاس بهذا الخصوص والتي كانت قد أصبحت موسمية ومنظمة في القرن السادس عشر الميلادي، يقول : «يخرج أهل فاس لزيارة هذا الضريح بعد عيد الفطر من كل سنة، في جموع كثيرة رجالاً ونساء وأطفالاً وكأنهم جيش زاحف، يحمل كل واحد خيمته على ظهر دابته، بحيث تكون جميع البهائم محملة بالخيام والأشياء الأخرى الضرورية للمعاش. تتألف كل مجموعة من مائة وخمسين خيمة، وتستغرق الرحلة خمسة عشر يوماً ذهاباً وإياباً، لأن تاغية تقع على مسافة مائة وعشرين ميلاً من فاس» (الحسن الوزان، **وصف افريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2. 1983، ص 205)

64- يقول أحمد الصومعي بهذا الصدد : «ويُحكى عن الشيخ أبي يعزى أنه كان كل من يأتيه يطعمه من عنده، ويعلف دوابه، وأن الفتوحات ترد عليه من إخوانه في الله، وأن أهل القرى المجاورين إليه كانوا يُضيفون الواصلين لزيارة الشيخ أبي يعزى، ويتبركون بهم»، **كتاب المعزى** ... م. س. ص 134

النَّاسِ مِنْ كَرامَاتِهِ أكْثَرُ وَأشْهَرُ مِمَّا أذْكُرُ[65]، وصَارَ [بِذِكْرِها الرُكْـ]ـبَانُ. وَإنَّمَا أذْكُرُ فِي هَذَا المَوْضِعِ ما شَاهَدْتُهُ /9/ عَلَى ما شَرَطْتُه قَبلَ هَذَا.

فَمِنْ ذَلِكَ أنَّ دَارَهُ الَّتِي فِيهَا عِيَالُهُ، لَمْ يَكُنْ لَهَا بَابٌ ولا غَلَقٌ، وَالْمَسْجِدُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ أمَامَ بَابِ الدَّارِ، وَالشَّعْرَاءُ[66] قَرِيبَةٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّه، وكَانَ الزُّوَّارُ يَجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ كَثِيراً. وكَانَ مِنْ عَادَتِهِ فِي مَسْجِدِهِ إذَا صَلَّى العِشَاءَ الآخِرَةَ، دَخَلَ المِحْرَابَ مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ جَمَاعَةً فِي المَسْجِدِ، وَهُوَ عامِرٌ بِأهْلِهِ، ويُصَلِّي مَنْ لَمْ يدْخل المَسْجِدَ خَارِجاً مِنَ المَسْجِدِ بُرْهَةً مِنَ اللَّيْلِ. ثُمَّ يَخرجُ الإمَامُ وَيَنْصَرِفُ النَّاسُ. فَمِنْهمْ مَنْ يَنامُ فِي المَسْجِدِ، وبَعْضُهُمْ خَارجَ المَسْجِدِ حَوْلَهَا وَبِالبُعْدِ مِنْهَا.

وكَانَ الشَّيْخُ، رَحِمَهُ اللهُ، يَصْعَدُ فِي أعْلَى الجَبَلِ يَدْخلُ فِي الشَّعْراءِ، وكُنْتُ أنَا مَعَ أصْحَابِي نَرْقُدُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَمْشِي فِيهِ الشَّيْخُ إذَا نَزَلَ مِنَ الجَبلِ، وَيَكونُ مَنْ حَضَرَ ذَلِكَ المَوْضِعَ تَكُونُ مَعَهُمْ دَوَابُّ، فَيَرْبِطُونَها حَيْثُ شَاءُوا خَارِجَ دارِ الشَّيْخِ. وَلَقَدْ شَاهَدْنا

65- قدم أبو العباس العزفي لكلامه عن كرامات أبي يعزى بالقول : «فأما الإخبار بالغيوب وأنواع المكاشفات وإبداء الأسرار وإبراء المجانين والمرضى وشفاء ذوي العاهات على يديه والزمنى والاقتيات بشجر الدفلى، فثابت بالتواتر الظاهر على لسان العدد الكثير، والجم الغفير، الذي يستحيل تواطؤهم على الكذب في مستقر العادة. فإن المئين من الوافدين والزائرين والقاصدين، أخبروا بذلك، وشاهدوه أفواجاً بعد أفواج، وزُمراً بعد زمر». دعامة اليقين، م. س. ص 36

66- الشعراء : الأرض ذات الشجر الكثيف، والشعراء أيضاً : الأجمة

السِّباعَ[67] عِنْدَ إِقْبَالِ المَسَاءِ تَقْرُبُ حَتَّى يَراها مَنْ يَكُونُ عِنْدَ المَسْجِد، وتَتَراءَى، ولاَ تَصِلُ إلى النَّاسِ، ولا يُخَافُ مِنْهَا.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَشَاهَدْتُ مِنْ[ـها وَقَدْ] كُنْتُ مَعَهُ فِي المَسْجِدِ انْتَظِرُ صَلاَةَ [المَغْرِبِ والمَسْجِدُ غَاصٌّ بِالنَّاسِ]/10/ حَتَّى رَدَّ رَأْسَهُ لِلنَّاسِ، وَقَالَ لَهُمْ : قُومُوا تَلْقَوْا عَابِداً مِنْ سَبْتَةَ. فَخَرَجَ النَّاسُ مِنَ المَسْجِدِ، وخَرَجْتُ فِيمَنْ خَرَجَ، وكَانَ المَسْجِدُ فِي عُلُوٍّ مُشْرِفٍ عَلَى الطَّرِيقِ والشَّعْرَاءِ، فَهَبَطَ النَّاسُ فِي الوِطَاءِ، وَدَخَلُوا فِي الشَّعْرَاءِ، وأَبْطَوا شَيْئاً، ثُمَّ أَتَوا وَمَعَهُمْ شَخْصٌ، فَتَأَمَّلْتُهُ، فَإِذا هُوَ الفَقِيهُ صَاحِبُنا، أَبُو الصَّبْرِ، أَيُّوبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الفِهْرِي[68].

وحَضَرْتُ أَيْضاً مَعَهُ فِي المَسْجِدِ المذكورِ لِصَلاةِ المَغْرِبِ، فَجَلَسْتُ بِإزَائِهِ أَنْتَظِرُ

67- يورد أبو العباس العزفي كثيراً من كرامات أبي يعزى يدور موضوعها حول الحيوانات المفترسة وخاصة السبع (دعامة **اليقين**، ص 51، 54، 56، 57،61، 63، وانظر فهرس أسماء الحيوانات، ص 110). وفي القرن السادس عشر، كتب الحسن الوزان في كتابه «**وصف افريقيا**»، عن مدينة تاغية قائلاً : «وبها عرين لأسود كاشرة» وعلى الرغم من تشكيك الحسن الوزان في صحة كرامات أبي يعزى واعتقاده «أن الرجل كان يتصرف بفن سحري أو باستعمال بعض الأسرار التي كانت له ضد الأسود»، فإن ذلك لم يثنيه عن زيارة ضريحه في تاغية مرات للوفاء بنذور نذرها عندما تعرض لخطر الموت بسبب الأسو، حسب اعترافه الشخصي. الحسن الوزان، **وصف افريقيا**، ص204-205

68- أبو الصبر أيوب الفهري السبتي : اشتهر بالورع والزهد وملاقاة الصالحين، توفي شهيداً في معركة العقاب بالأندلس سنة 609 هـ/1212م. ترجمته في : **التشوف**، 415؛ **التكملة**: 202/1 (ص 167 ط. الهراس)؛ **جذوة الاقتباس**، ص 168؛ **نفح الطيب**، ج 7/ص 136 ، الصومعي، **كتاب المعزى**، ص 175؛ **أنس الفقير**، 32؛ **شجرة النور**، 184؛ **الإعلام** للمراكشي، ج3، ص 71؛ أحمد العزفي، **دعامة اليقين** (ذكر في عدد من الصفحات) وفي الصفحة 37 نقرأ ما يلي : «سمعت الشيخ الفقيه الزاهد المحدث أبا الصبر أيوب بن عبد الله [رضي الله عنه] الفهري صاحبنا رحمه الله يقول : رحلت إلى لقائه والرغبة في دعائه غير مرة، فقلما وصلت إلا عرفني من أصادف لديه أنه عرفه بوصولي وأني في الطريق، وأني ربما بوأني المنازل بأن يقول إني وأصحابي بمنزل كذا، وربما عرف بيوم وصولي، وربما حمل الحاضرين على لقائي، فتلقوني غير مرة وعرفوني بجملتهم أنه عرفهم أني أصل إليه في ذلك اليوم. فهذه كرامة من أنواع المكاشفات والاطلاع على غيب الكائنات».

الصَّلَاةَ. وكَانَ لَهُ دُكانٌ بغَرْبِيِّ المَسْجِدِ فِي الرُّكنِ القَبْلِيِّ[69] فِي الصَّفِّ الأوَّلِ، بِمِقْدَارِ مَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ، ويُصَلِّي عَلَيْهِ وَحْدَهُ، وَأَنَا بِإِزَائِهِ فِي الأَرْضِ، إذْ جَاءَهُ رَجُلٌ بأغْصَانٍ مِنَ الدِّفْلَى الخَضْرَاءِ، فَأَخَذَهَا الشَّيْخُ مِنْ يَدِهِ، وَوَضَعَهَا بِإِزَائِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ أذانَ عِشَاءِ المَغْرِبِ، أَخَذَ قَضِيباً مِنْهُ، وجَعَلَ يَأكُلُ أَوْرَاقَهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلاَ يُمْعَرُ[70] مِنْ ذَلِكَ وَجْهاً، فَخَطَرَ بِبالِي أَنَّها حُلْوَةٌ، فَسَقَطَتْ مِنَ الغُصْنِ الَّذِي كَانَ بِيَدِهِ وَرَقَةٌ فَأَخَذْتُها، وَجَعَلْتُها تَحْتَ ثِيابِي، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ. [وَلَمَّا قُـ]ضِيَتِ الصَّلَاةُ، وخَرَجْنَا لِدَارِهِ لِلعَشَاءِ عَلَى العَادَةِ، أَخَذْتُ [تِلْكَ الوَرَقَةَ وَوَضَعْتُها فِي فَمِي] فَإِذا هِيَ كَمَا عُهِدَ مِنَ الدِّفْلَى، فَعَلِمْتُ أَنَّها كَرَامَةٌ لَهُ[71].

/11/ قَالَ مُحَمَّدٌ : ومَشَيْتُ مَعَهُ يَوْماً لِحُضُورِ صَلاةِ الجُمُعَةِ فِي مَنْزِلٍ بِمَقْرُبَةٍ مِنْ مَوْضِعِهِ. فَلَمَّا وَصَلَ الجَامِعَ، قامَ إِلَيْهِ جَمِيعُ مَنْ كَانَ فِي المَسْجِدِ الجَامِعِ، وَشَكَوْا إِلَيْهِ القَحْطَ واحْتِبَاسَ المَطَرِ، وَأَنَّ الزَّرعَ يَحْتَاجُ إِلَى المَاءِ، وكَانَ ذَلِكَ الوَقْتُ فِي زَمَنِ الرَّبِيعِ. فَسَكَتَ الشَّيْخُ. فَلَمَّا صَلَّى النَّاسُ وانْصَرَفُوا مِنَ الجُمُعَةِ، قَامَ القَوْمُ إِلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ وكَلَّمُوهُ، فَخَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ ووَقَفَ، وكَانَ عَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَسْوَدُ خَلَقٌ مُرَقَّعٌ يَصِلُ إلى تَحْتِ رُكْبَتَيْهِ،

69- أي الركن الجنوبي.

70- يقال : غضب فلان فتمعَّرَ لونُه ووجهه : تغيّر، وعلَته صُفرة، ومَعَّر وجهه : غَيَّره. انظر : لسان العرب، مادة : معر.

71- قال أبو العباس العزفي : أما أكل الشيخ أبي يعزى لعيون الدفلى فهو «مما شاهده الجم الغفير والعدد الكثير»، دعامة اليقين، 39. ،كذلك، الصومعي، كتاب المعزى، م. س. ص 117 وأردف قائلاً «فهي من أكبر كرامات الشيخ رضي الله عنه في خرق العوائد وانقلاب الأعيان الشاهدة بعظيم البرهان على ولاية هذا الإمام رضي الله عنه»، وفي قريب من هذا ما يورده ابن عربي عن أبي علي حسن الشكاز من أنه «كان يمد يده إلى ما وجد من نبات الأرض من أعظمه مرارة فيطعمك إياه كأنه حلواء»، رسالة روح القدس، 95

وَعَلَى رَأْسِهِ شَاشِيَّةٌ[72] مِنْ عَزَفٍ، وجُبَّةٌ[73] مِنْ تلّيسٍ[74] مُطرَّقٍ[75]، هَكذا كُلُّهُ كَانَ لِبَاسَهُ، رَحِمَهُ اللّهُ. فَنَزَعَ البُرْنُسَ عَنْ رأسِهِ والشَّاشِيَّةَ، وكَانَ شَعْرُ رَأسِهِ أبْيَضَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَالنَّاسُ خَلْفَهُ، وكَانَ لا يُحْسِنُ العَرَبِيَّةَ، فَفَهِمْتُ مِنْ كَلامِهِ أنَّهُ قَالَ : يا سَيِّدِي ! هَؤُلاءِ المَوالِي يَسْأَلُونَ هَذَا العَبْدَ أنْ يَسْأَلَكَ الغَيْثَ، ومِثْلِي يَسْأَلُكَ فِي ذَلِكَ، وَأَجْرَى دُمُوعَهُ مِنْ عَيْنَيْهِ، ويَتَضَرَّعُ ويَبْكِي. فَمَا رَجَعْنا إلى مَوْضِعِهِ، ولاَ بَرِحْنا مِنْ ذَلِكَ المَوضِعِ حَتَّى نَزَلَ الغَيْثُ، ونَزَعْنا مَا كَانَ بِأَرْجُلِنا مِنَ النِّعَالِ والأَقْرَاقِ[76] بِجَرْيِ المَاءِ، وعَمَّتِ الرَّحْمَةُ بِبَركَةِ دُعاءِ الشَّيْخِ، رَحِمَهُ اللّهُ[77].

/12/ قَالَ مُحَمَّدٌ : وَأَمَّا كَلامُهُ عَلَى الخَاطِرِ، وإِخْبَارُهُ عَنْ أَفْعالِ النَّاسِ، فَقَدِ اشْتُهِرَ

72- الشاشية = القلنسوة. انظر : د. عبد العزيز الأهواني، **ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة**، مجلة معهد المخطوطات العربية -مدريد، المجلد الثالث، ج1- ص 293

73- الجبة : ثوب سابغ، واسع الكمين، مشقوق المقدم، يلبس فوق الثياب.(ابراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص 104) ويقول دوزي إن الجبة هي رداء مفتوح يوضع فوق الرداء الأول وهو القفطان وردنّا الجبة قصيرتان، بالنسبة لردني القفطان.

74- تليس ج تلاليس و تلالس (بالإسبانية terliz) عبارة عن قطعة كبيرة من نسيج خشن من صوف أو من شعر الماعز أو من الخوص، يستعمل كبساط أو غطاء أو لباس، وقد يتم يخبيطه ليعمل منه أكياس لحمل المزروعات.، (**لسان العرب**، (مادة تلس)، M. Benchaneb, Observations sur le mot "Tellís", son origine, in *Revue Africaine*, 1912, N 287, p. 566 sqq
Dozy, *Supplèmet*.. op.cit. I. p. 150; E. Lévi-Provencal, *Textes arabes de d'Ouargha (dialecte des Jbala)*, Paris, 1922, p.182

75- المطرق : الوضيع، وثوب طراتق :خلَق (**لسان العرب** مادة : طرق)
Dozy, *Supplément*.. op.cit. II, p. 41

76- قرق، ج. أقراق. (باللاتينية cortex، وبالإسبانية alcorque) يطلق على نوع من الخفاف نعله من الفلين، صانعه قراق، وما يزال سوق القراقين معروفاً في فاس. Dozy, *Supplèment*... op. cit. II, p. 342؛ **ألفاظ مغربية**..م.س. ص 305

77- انظر كذلك، الصومعي، **كتاب المعزى**، ص 128؛ **التشوف**،217-218؛ **النجم الثاقب**،مخ، 8/108-109

ذَلِكَ عَنْهُ واسْتَفَاضَ، فَأَغْنَى عَنْ ذِكْرِهِ[78].

وكَانَ، رَحِمَهُ اللهُ، قَدْ حَجَبَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهواتِ، وامْتَنَعَ مِنَ اللذَّاتِ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهَا، والوُصُولِ إِلَيْها، يُطْعِمُ النَّاسَ اللَّحْمَ والعَسَلَ[79]، وَيَنْفَرِدُ هُوَ بِأكْلِ مَا تَعَوَّدَ أكْلَهُ. شَاهَدْتُ مَعِيشَتَهُ، وَرَأَيْتُ الخَادِمَ تَصْنَعُ لَهُ ذَلِكَ؛ كَانَتْ تَأْخُذُ قُدَيْرَةً صَغِيرةً مِثْلَ الَّتِي تُصْنَعُ لِلأَطْفَالِ الصِّغَارِ، فَتَجْعلُ فِيهَا قَليلاً مِنَ الّلبْلابِ[80]، فَإذا طُبِخَ ذَلِكَ، حَفَنَتْ بِيدَيْها حَفْنَةً منْ دَقيقِ البَلُّوطِ الشَّعْري، وتَخْلِطُ ذَلِكَ. فَإذا جَاءَ بعْدَ صَلاةِ المَغْرِبِ، قَدَّمَتْ إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ مِلْعَقَةً ولَعَقَ بِها مَا فِي القُدَيْرَةِ، فَكَانَ يَكْتَفِي بِذَلِكَ. ولَعَمْري ما

78- اشتهر عن الشيخ أبي يعزى مكاشفته لأحوال الناس وبواطنهم فوصلته رسالة من آزمور من شيخه أبي شعيب أيوب المعروف بالسارية «يلومه على كشف أسرار المسلمين وينهاه عن هتك أستارهم [...] فلما قرئ عليه الكتاب وقال للحاضرين عنده من الزوار الوافدين : مولاي الشيخ أبو شعيب يلومني على إخراج أسرار الناس وفضيحتهم لقبيح أعمالهم ! وهل هذا في قدرة بشر أو وسع أحد أن يعرف أسرار الناس وأفعالهم في الغيب حتى يفضحهم بها بين الأشهاد ؟ إنما هو شيء يلقى إلي وأوخذ بقوله، ويقال : إنما أنت آية من آية الله تعالى، والمراد منك أن يتوب الخلق على يدك» **دعامة اليقين**، 63-64. وانظر كذلك، الصومعي، **كتاب المعزى**، ص 115؛ **التشوف**، 214

79- كان الشيخ يطعم زواره «أطيب الطعام والعسل ولحوم الضأن والدجاج والفواكه الطيبة ولا يأكل هو شيئاً من ذلك لأنه كان لا يشارك الناس في معايشهم». انظر الصومعي، **كتاب المعزى**.. م.س. ص 117

80- اللبلاب : من فصيلة القرنيات (Leguminosae) وهو المعروف في اللغة الفرنسية بـ Dolique d'Egypte. وهو اسم «يقع على كل نبات يتعلّق بالشجر ويلتوي عليها وينثني، لكن الأخص بهذا الإسم القريولة» انظر، أبو القاسم بن محمد الغساني، **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 ص 160؛ عبد السلام بن محمد العلمي الحسني، **ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس**، مكتبة التراث، الرباط، 1986، ص 116 : **الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي : مدخل ونصوص**، تقديم واختيار وتحقيق محمد العربي الخطابي، بيروت، 1990، ص 624. وفي الوقت الراهن يقدم في تونس غذاء شعبي يسمى «اللبلابي» يتم تحضيره بخلط قطع الخبز اليابس مع الحمص والمرق والبيض.

كَانَ مَجمُوعُ ذَلِكَ نِصفَ رِطلٍ[81].

قَالَ مُحَمَّدٌ : واجْتَمَعْتُ بِهِ أَيْضاً بِمدِينَةِ مُرَّاكُشَ؛ كَانَ بُعِثَ فِيهِ، فَنَزَلَ فِي صَوْمَعَةِ الْمَسْجِدِ الجامِعِ[82]، وكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَأَزُورُهُ. وكَانَ وَصَلَ مَعَهُ بِأَقْرَاصٍ مَطْبُوخَةٍ مِنْ دَقِيقِ البَلُّوطِ كَانَ يَتَقَوَّتُ بِها. وَهِيَ سُودٌ مِثْلُ الأَقْرَاصِ الَّتِي تُحْرَقُ لِعَمَلِ المُورِي[83]. فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ رجُوعِهِ لِمَوْضِعِهِ، طَلَبْتُ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَقْرَاصِ، فَأَعْطَانِي قُرْصاً وَاحِداً. فَوَصَلْتُ بِهِ إِلَى مَدِينَةِ /13/ فاسٍ، حَرَسَها اللَّهُ تَعَالَى، فَكَانَ ذَلِكَ القُرْصُ تِرْيَاقاً، فَكُلُّ مَنْ أَخَذَهُ

81- الرَّطل أو الرِّطل اسم لما يعاير به الموزونات وقد يكون اسماً لما يكال به مثل المدّ والصاع، وزنته ست عشرة أوقية. ويقول العزفي إن «تقديره بالعُرف لا بالوضع». انظر : أبو العباس أحمد العزفي، **إثبات ما ليس منه بدّ لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والمد**، تخريج ودراسة محمد الشريف، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، السلسلة الأندلسية، رقم 6، 1999، ص 142

82- يؤكد أحمد التادلي الصومعي أن عبد المؤمن بن علي قد حبس الشيخ أبي يعزى «في صومعة الجامع، أعني -يقول الصومعي- جامع الكتبيين في الصومعة السفلى التي كانت للمترنيين، إذ هم الذين بنوها، وأما الكبرى إنما بنيت في آخر أيام يعقوب المنصور في حدود أربع وتسعين من القرن السادس» (**المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تحقيق علي الجاوي، الرباط، 1996، ص 69)

وحول الوظيفة الأمنية لصوامع الجوامع بمراكش الموحدية، انظر : محمد رابطة الدين، «**جوانب من خصوصيات ووظائف الصوامع بمراكش على عهد الموحدين**» ضمن كتاب،

Actes du Colloque International *"La Koutoubia : Art- Archéologie -Histoire"*, Marrakech, 1991, pp. 52-53

83- المورى أو المرّي : إدام كالكامخ يتّخذ من الشعير أو القمح والسمك ونحو ذلك.(**الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي**... م.س. ص 589 (وكذلك ص 90)) ويشير مؤلف مجهول للمري «الذي تصنعه العامة من العسل المحروق والخبز المحروق» (مجهول، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، نشر أمبروزيو أويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان التاسع والعاشر، مدريد، 1961-1962، ص 82.) والمري هو أنواع. حول وصفات تحضيره : انظر : ابن رزين التجيبي، **فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين (فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان)**، تقديم وتحقيق د. محمد ابن شقرون،الرباط، 1981، صص 179-183

وجَعٌ أوْ حُمّى أعْطيتُهُ مِنْهُ مِقْدارَ رُبُعِ دِرْهَمٍ[84]، فَيَأكُلُهُ، فَما هُو إلاَّ أنْ يَحْصُلَ بِجَوْفِهِ، فَيُعافِيَهُ اللّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ الألمِ الّذِي يَجِدُ مِنْ سَاعتِه.

وشَاهَدْتُ مِنْهُ فِي وَقْتِ إِقَامَتِي عِنْدَهُ بموضِعِ سُكْنَاهُ، أنَّهُ كَانَ إِذَا صَلّى الصُّبْحَ فِي مَسْجِدِه، اجْتَمَعَ النَّاسُ لِقِراءَةِ القُرْآنِ. فإذا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ دَعَا الأنَامِ، ثُمَّ يَقولُ لِلّذي عَلَى يمِينِهِ يَدْعُو، ثُمَّ الّذِي يلِيه كَذَلِكَ، ومَنْ لاَ يُحْسِنُ ذَلِكَ يَجُوزُهُ لِغَيْرِهِ حَتّى تَصِلَ الدَّوْلَةُ[85] لِلشَّيخِ أبِي يَعْزَى، رَحِمَهُ اللّهُ، وَيَكونُ فِيمَنْ حَضَرَ ذَلِكَ الجَمْعَ نَاسٌ فُضَلاءُ، وأشْيَاخٌ مِنْ بُلْدانٍ شَتّى، فَما يَتَحَرَّكُ أحَدٌ لِدُعَاءِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. فَإِذا وَصَلَتِ الدَّوْلَةُ لِلشَّيخِ، وَأخَذَ فِي الدُّعَاءِ بِاللِّسانِ الغَرْبِيِّ، بَلْ العَجَمِي[86]، لاَ يَبْقَى أحَدٌ فِي المَسْجِدِ إلّا خَشَعَ وبَكَى، وَأخَذَتْهُ حَالَةٌ شَرِيفَةٌ وَحُضُورُ قَلْبٍ وَرِقَّةٌ لا يُوجَدُ مِثْلُها عِنْدَ دُعَاءِ غَيْرِه. وكُنْتُ أجِدُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي مَعَ أنّي لاَ أفْهَمُ مَا يَقُولُ، لَكِنْ لِتَضرُّعِهِ واسْتِكانَتِهِ وَإخْلاصِهِ فِي دُعائِهِ تَرِقُّ القُلوبُ، /14/ وَتَحْضُرُ النِّياتُ الصَّادِقَةُ. وَلَقَدْ ذَكَّرَتْنِي حَالَةُ الشَّيْخِ وحَالي، بِقَوْلِ[87] القَائِلِ[88] :

[الرَّمَل]

رُبَّ وَرْقَاءَ هَتُوفٍ فِي الضُّحَى # ذاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ

84- حول الدرهم الموحدي وأجزائه، انظر : «تدقيقات حول المسكوكات الموحدية من خلال تقييد جديد حول النقود ...» ضمن كتابنا **الغرب الإسلامي، نصوص دفينة ودراسات**...م.س. ص 98-101

85- سيستعمل لاحقاً لفظ «نوبة» للدلالة على الدور

86- أي اللسان الغربي، ويقصد به لسان الأمازيغيين (البربر)

87- في الأصل : لقول

88- تنسب هذه الأبيات لأبي الحسين النوري وقد وردت مع اختلافات طفيفة في العبارات وفي ترتيب الأبيات وعددها في كتاب «**تهذيب الأسرار**» (م. س. ص. 350.) و في كتاب **المعزى في مناقب أبي يعزى** .. م. س. ص 88 وفي **احياء علوم الدين**، ج 2 ص 299، و في **كتاب الاستقامة**، ص 389، وفي **مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار**، للجهني ، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم د 1027، ورقة 83ب

هَاجَــها ذِكْرُ إِلْـفٍ فَـقَــدتْ # شَـخْصَهُ وَهْـناً فَـهاجَــتْ حَــزَنِــي
فَـإذا مَـا ابْـتَـدَأَتْ أَسْعِـدُها # وإذا ما ابْــتَـداها تُـسْــعِـدُنِــي
ولَـقَـدْ تَشْكــو فَما أَفْـهَمُها # ولَـقَـدْ أَشْـكو[89] فَـمـا تَـفْـهَمُـني
غَيْــرَ أَنِّـي بالجَــوَى أَعْرِفُــهَـا # وَهْـــيَ أَيْضاً بـالجَــوَى تَعْرِفُنِي
فَــبُـكـائِـي رُبَّــمَـا أَرَّقَـــهَــا # وبُــكـاهَـا رُبَّــمَا أَرَّقَـــنِـــي

قَالَ مُحَمَّد : وَصلَّيْتُ مَعَهُ يوماً صَلاةَ الفَجْرِ[90] فِي مَسْجِدِه، وَقَعَدْتُ مَعَهُ حَتَّى صَلَّى الصُّبْحَ. فَلَمَّا خَرَجَ منْ باب المَسْجِدِ، إذَا بِامْرأةٍ بِإزاءِ بَابِ المَسْجِدِ قَدْ صَرَعَها الجِنُّ، وَهِيَ تَتَخَبَّطُ. فَقَالَ لَهَا بِكَلامٍ فَهِمْتُ مِنْهُ أَنَّ[هُ] قَالَ : فِي هَذَا المَوْضِعِ تَصْرَعُها؟ أُخْرجْ مِنْ هَذَا المَوضعِ ! فَقَامَتِ المَرْأةُ، وَخَرجَتْ عَنْ حرم[91] المَسْجِدِ، ووَقَعَتْ تَتَخَبَّطُ كَمَا كَانَتْ عَلَى بابِ المَسْجِدِ. ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَيْهَا، فَقَامَتْ وَلَيْسَ بِها أَلَمٌ، وغَطَّتْ وَجْهَها حَياءً مِنَ النَّاسِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَشَاهَدْتُ فِي وَقْتِ إِقَامَتي/15/ عِنْدَهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَتِه أَنْ يَأْتِيَ لِلمَسْجِدِ آخرَ اللَّيْلِ، وقَدْ بقِيَ مِنَ اللَّيْلِ الثُّلُثُ فَأَقَلُّ، فَيَجْتَمعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، ويُوقِظَ مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ، ويَتَقَدَّمَ الإِمَامُ أَوْ غَيْرُهُ مِمَّنْ حَضَرَ، فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ مَا قُدِّرَ لَهُ؛ ثُمَّ يَقُولَ الشَّيْخُ بِلِسَانِهِ مَا نَفْهَموا [هكذا] مِنْهُ : كَفى! قَرُبَ الصَّباحُ. فَيُوجِزَ الإِمَامُ فِي صَلاتِهِ ويُسَلِّم، فَيَخْرجَ المُؤَذِّنُ بَعْدَ دُعاءٍ قَلِيلٍ، فَيَجِدَ أَوَّلَ الوَقْتِ قَدْ بَدا[92]. شَاهَدْتُ هَذَا مِنْهُ أَيَّاماً، وكُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيْخَ يَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ يَرْقُبُ ذَلِكَ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي : هَكَذا عَادَتُهُ، ويَكُونُ ذَلِكَ فِي شِدَّةِ الظَّلامِ أَوِ الغَيْمِ، فَيَنْكَشِفَ وَيَبْدُوَ فِي أَوَّلِ

89- في الأصل : نَشْكوا
90- في الأصل : الصبح
91- في الأصل : حَرِيم
92- قارن مع ما يقوله الصومعي، كتاب المعزى..ص 116

الفَجْرِ، والشَّيْخُ فِي كُلِّ هَذَا لا يَتَحَرَّكُ مِن مَوْضِعِهِ، ولا يَتَعَرَّفُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِه[93].

وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ[94] و[حِلمُـ]ـهُ واحْتِمَالُهُ وصَبْرُهُ، ونُزُولُهُ لِلعَوَامِّ واسْتِجابَتُهُ لِمَا يُريدونَ، [فَقَدْ] شَاهَدْتُ مِنْهُ مَا أَقْطَعُ قَطعاً أَنَّهُ لا يُوجَدُ عِنْدَ غَيْرِه. [فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ] لَمَّا كَانَ يَوْمُ سَفَرِي مِنْ عِنْدِه، وكَانَ من عَادَتِهِ أَنَّهُ [لا يُسَافِرُ] مَنْ يَكُونُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِه، وَمَتَى سَافَرَ مِنْ غَيْرِ إِذْنِه [اعتَرَضَ سَبِيلَهُ]عَائِقُ مَرَضٍ أَوْ سَبُعٌ أَوْ عَقْرَبٌ تَلْدَغُهُ أَوْ خَوْفٌ /16/ يَأْخُذُهُ حَتَّى يَرْجِعَ[95]. فَسأَلَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ فِي السَّفَرِ والرُّجوعِ إلى مَوَاطِنِهِمْ؛ وكُنَّا عِنْدَهُ مِنْ بُلْدانٍ شَتَّى، فَصَنَعَ طَعاماً وَاسِعاً، وأَمَرَ[96] لِلنَّاسِ إِذْناً عَاماً، فَدَخَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي بَيْتِ سُكْنَاهُ جَمَاعَةً، بَعْدَ جَمَاعَةٍ يَأْكُلُونَ ويُسلِّمونَ وينْصَرِفونَ. فَقَعَدْتُ فِي نَاحِيَةِ البَيْتِ أَنْظُرُ سَلامَ النَّاسِ عَلَيْهِ، وكَيْفَ يُودِّعُهُمْ عَلَى حَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، فَرأيتُ فِيهِمْ مَنْ جاءَهُ بِإِناءٍ فِيهِ زَيْتٌ يَرْقِيهِ لَهُ، فَفَعَلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَأَلَهُ عَقْدَ خَيطٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ لِجَمَاعةٍ. ثُمَّ جَاءَ بَعْضُهُمْ بِعُشْبٍ مِنْ أَعْشَابِ الأَرْضِ يَرْقِيها لَهُ، فَفَعَلَ. ثُمَّ أَخَذَ بَعْضُهُمْ مِنَ الطَّعَامِ بَقِيَّةً فَسأَلَهُ أَنْ يَرْقِيَها لَهُ، فَفَعَلَ. فتَتَابَعَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى نَفِذَ الطَّعَامُ الَّذِي كَانَ بينَ أَيْدِيهِمْ. ثُمَّ قَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ : عَسَى شَيءٌ مِنْ شَعْرِ رَأْسِكَ، فَنَزَعَ شَاشِيَّةَ العَزَفِ عَنْ [رَأْسِه]، وكَانَ شَعْرُ رَأْسِهِ أَبْيَضَ كَالقُطْنِ، وَأَبْدَى لَهُ رَأْسَهُ. [فَأَخَذَ] الرَّجُل مِقْراضاً، وَقَصَّ مِنْ شَعْرِه، ثُمَّ تابَعَ النَّا[س يَقُصُّونَ مِنْه] حَتَّى فَنِيَ شَعْرُ رَأْسِه، وَأَخَذُوا يَسْتَأْصِلونَ [أَصْلَهُ] حَتَّى قَطعوا جِلْدَةَ رَأْسِهِ فِي مَوَاضِعَ [عِدَّةٍ وَهُوَ جَالِسٌ في مَكَانِه لا يَشْكُو أَوْ يَتَبَرَّمُ][97]، /17/ وكَأَنَّهُ، رَحِمَهُ

93- انظر كذلك، كتاب المعزى، ص 116، ويعلق العزفي على ذلك بقوله : «وهذه كرامة عظمى وبيان أن له من مقام الصديقين المقام الأسنى» دعامة اليقين، 38

94- يقول أحمد الصومعي بهذا الصدد : «وكان من جلالة قدره كثير التواضع»، المعزى.. م. س. ص 135

95- يذكر طاهر الصدفي كرامة لأبي يعزى تؤكد قول التميمي بهذا الخصوص.(السر المصون، ص 95)

96- هكذا. ولعله : وأذنَ

97- كل ما ورد بين معقوفتين في هذه الترجمة، ممحو في الأصل

اللَّهُ، جَمَادٌ لا يَتَحَرَكُ، وَلا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ، حَتَّى تَنَاهَى مَنْ حَضَرَ ذَلكَ، وكَانَ مِنْ قِبَلِهِمْ لا مِنْ عِنْدِهِ [98].

وَرَأَيْتُ فِي بيْتِهِ رَجُلاً قَدْ أَخَذَتْهُ فِي وجْهِهِ أَكلَةٌ [99] -عَافَانا اللَّهُ مِنْ ذَلكَ- وذَهَبَتْ بِأَحَدِ خَدَّيْهِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ لِي : إِنَّهُ لَمَّا أَصَابَنِي مَا تَرى، دُلِلْتُ عَلَى الشَّيْخِ، فأَتَيْتُ إِلَيْهِ، وَلِي عِنْدَهُ مُدَّةٌ يَرْقِينِي فِي غَداةِ كُلِّ يَوْمٍ، وَيَمْضَغُ وَرَقَ الزَّيْتُونِ وَيَتْفُلُ [100] ذَلِكَ عَلَى مَوْضِعِ العِلَّةِ. فَلَقَدْ تَوَقَّفَتْ زِيادَةُ العِلَّةِ، وأَرْجو إِنْ شَاءَ اللَّهُ العَافِيَةَ. وسَافَرْتُ وتَرَكْتُهُ هُنَاكَ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَفِي وَقْتِ إقامَتِي عِنْدَهُ، أَخَذَتْني حَالَةٌ، فَبُغِّضَت إِلَيَّ الدُّنْيا، وكَرِهْتُ الرُّجوعَ لمَوْطِني، وقُلتُ لا أَدْخُلُ مَكاناً عَصَيْتُ فيهِ رَبِّي، وعَزَمْتُ عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ لِي الشَّيْخُ : لا يُمْكِنُكَ ذَلِكَ، لأَنَّ لَكَ وَالِدَةً، وَالْمُقَامُ مَعَهَا وَبِرُّكَ بِها أَفْضَلُ، فَامْتَنَعْتُ مِنْ ذَلِكَ، وبَكَيْتُ، فَعَزَمَ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ.

قَالَ مُحَمَّد : وكَانَ ذَلِكَ مِنْ وادي عَجَائِبِهِ. الفَضَائِلُ لاحَتْ ثُمَّ زالَتْ، فَيا طُول كَمداه عَلَى طولٍ.

98- يورد أحمد بن ابراهيم الأزدي القشتالي كرامة للشيخ أبي مروان اليحانسي (من القرن السابع الهجري) تفيد بتجذر عادة التبرك بشعر الأولياء عند سكان جبال الأطلس ببلاد المغرب. انظر: «**تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان**»، نشر وتحقيق فرناندو دي لا جرانخا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السابع عشر، مدريد، 1972-1973، ص 172

99- أكلة : هي القرحة التي تأكل لحمها، ويطلق عليها الغنغرينا في اللغة الفرنسية Gangrène. انظر : محمد العربي الخطابي، **الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي**...م.س.، ص 543

100- أوصى الرسول «ﷺ» بالتفل والتعوذ دفعاً لمضرّة رؤيا : «إذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتفل عن يساره وليتعوذ، فإنها لن تضرّه» (القشيري، الرسالة، ص 175) وليست لدينا معلومات تاريخية دقيقة عن كيفية تحول التفل (أو استعمال الريق) إلى نوع من الطقوس الشفائية الأساسية عند الأولياء.

/18/[ ][101] [أخبَرَني الشَّيْخُ أبُو إسْحَاقَ]، إبْرَاهِيم بْنُ علي، رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ الشَّيْخِ أبِي يَعزَى، رَحِمَهُ اللهُ، أنَّهُ سَمِعَهُ يَقولُ : خَدَمْتُ نَحْواً مِنْ أرْبَعينَ وَلِيّاً لِلهِ تَعَالَى؛ مِنْهُمْ مَنْ سَاحَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أقَامَ بينَ النَّاسِ حَتَّى تُوفِّيَ، رَحِمَهُ اللهُ[102].

أخْبَرَني أبُو عَلِيِّ، حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ[103] أنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُهُ بِجامِعِ فَاسٍ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وجَلَسْتُ إلَيْهِ. فَلَمَّا قُضِيَتِ[104] الصَّلَاةُ، قُلْتُ لَهُ : يا سَيِّدِي ! ما الَّذِي اعْتَرَاكَ فِي رِجْلَيْكَ ؟ فَقَالَ لِي : الثَّلجُ قَطَعَها. وكَانَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، أسْوَدَ اللَّوْنِ. ثُمَّ انْقَطَعَ ولَمْ أعْرِفْ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ خَبَراً. وتُوُفِّيَ الشَّيْخُ أبو يَعْزَى فِي أوَّلِ شَوَّالٍ، عامَ اثْنَيْنِ وسَبْعِينَ وخَمْسِمائَةٍ[105].

101- بتر في الأصل مقداره سطر

102- أورد ابن الزيات هذه القولة دون إسنادها لأحد؛ (**التشوف**، 215)

103- هو حسن بن محمد بن الفتح الغافقي الصواف، من كبارأصحاب الشيخ أبي مدين شعيب الأنصاري، لازم شيخه ثلاثين سنة وحضر احتضاره بالعُبَّاد، ويظهر أنه نزل مراكش بعد ذلك. انظر، **أنس الفقير**، 36-37؛ **التشوف**، ص 321؛ الصومعي، **كتاب المعزى**، م.س. ص 140

104- في الأصل : أقيمت، والتصحيح من جذوة **الاقتباس**، (ص 564)

105- الموافق ليوم السبت ثاني أبريل 1177م . وذكر الكتاني أنه توفي بتاغية بالطاعون شهيداً. وقد أقيمت له زاوية بفاس في مكان إقامته بها حين وفد عليها مستقراً لبعض الوقت. وقد أصبحت من بين أشهر المزارات بالمدينة. ويضيف الكتاني قائلاً : «وزاويته المذكورة هي التي بأقصى الدرب المشهور به من حومة البليدة، وعليها أوقاف، وبها قبر مزار لم أعرف الآن صاحبه، والكثير من الناس ينسبه لسيدي أبي يعزى المذكور ويقول إنه ذو قبرين. وبعضهم ينسبه لسيدي أبي يعزى بن ريان، من أصحاب سيدي مسعود الشراط دفين باب الجيسة، ولا صحة لذلك». انظر : **سلوة الأنفاس**، 174/1

ولست أدري ما سند ذ. أحمد التوفيق حينما يقول : «لم يذكر صاحب المستفاد تاريخ وفاة أبي يعزى، ولربما أغفل ذلك اقتداء بالنوع الغالب من مناقب صلحاء المشرق...».« **التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى**»...م.س.، ص 86

3= أَبُو مَدْيَنَ شُعَيْبٌ[106]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ، شَيْخُ الشُّيوخِ[107]، أَبُو مَدْيَنَ، شُعَيْبُ بْنُ الحُسَيْنِ[108]، رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى. أَصْلُهُ مِنْ حِصْنٍ مِنْ حُصُونِ مَدِينَةِ إِشْبِيلِيَةَ[109]. كَانَ كَبِيرَ الشَّأْنِ؛ لَمْ يَكُنْ فِي وَقْتِهِ نَظِيرٌ لَهُ

106- توجد ترجمة أبي مدين في عدد كبير من المصادر، انظرها مثلاً في : **أنس الفقير وعز الحقير** (في مواضع شتى من الكتاب إذ خصصه صاحبه، ابن قنفذ، للتعريف بأبي مدين وشيوخه)، **الفتوحات المكية** بجميع أجزائها؛ **التشوف**، ص 319-326؛ **التكملة**، رقم 2015 **الذيل والتكملة**؛ 127/4، **القرطاس**، 269؛ **المعزى في مناقب أبي يعزى**،137-171 **البستان**، 108-130 **نفح الطيب**، 136/7؛ **جذوة الاقتباس**، 530-531، 609 **سلوة الأنفاس**، 364/1؛ **النجم الثاقب**؛ مخ. المكتبة الداودية، م. س، ورقة،81-98 ؛ **شجرة النور**، 164/1؛ أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، اشراف وتقديم عبد الحميد الهرامة، ليبيا، كلية الدعوة الاسلامية، 1989، 193؛ نفسه، **كفاية المحتاج**، 1/ 219-224؛ ابن الطواح، **سبك المقال لفك العقال**، تحقيق محمد مسعود جبران، دار الغرب الاسلامي، 1995، ص 64-76؛ **عنوان الدراية**، 22-23؛ العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، السفر الثامن، أبو ظبي،2000، ص 8/ 317 والمصادر المذكورة هناك. وانظر دراسة :

Alfred Bel "Sidi Bou Madyan et son maître Daqqaq", in *Mélanges R. Basset*. Paris, 1923 pp. 1-31,

Halima Ferhat, "Un maître de la mystique maghrébine au XIIè siècle : Abu Madyan de Tlemcen", in *Le Maghreb aux XIIè et XIIIè siècles* , op. cit. pp. 55-78

107- اشتهر بـ«شيخ الشيوخ» (أو شيخ المشايخ) لأنه «تخرج على يده ألف شيخ من أولياء الله تعالى كلهم ظهرت لهم كرامة أو كرامات وعرفوا بإجابة الدعوة» حسب بعض المعتنين بأخباره، راجع، **التشوف**، 324؛ الصومعي، **المعزى**، 138؛ البستان، 108

108- في الأصل : الحسن

109- هو حصن قَطْنِيانة (أو قَنْطِيانة أو قطيانة) Cantillana شمال شرقي اشبيلية وتبعد عنها بحوالي ثلاثين كلمتراً. وفي بعض المصادر المتأخرة ينعت أبو مدين بـ «القَطْنِيانيّ».(**تحفة أهل الصديقية**، ورقة، 116)، ابن مريم، **البستان**...م.س. ص 71

فِي الزُّهْدِ والوَرَعِ والصِّدْقِ. وكَانَ عَاقِلاً كَيِّساً مُتَحَرِّياً[110] فِي عُلومِ القَوْمِ، سَالِمَ الصَّدْرِ، مُقْبِلاً عَلَى كُلِّ مَنْ يَأْتِيه./19/ أَدْرَكْتُهُ وصَحِبْتُهُ طُولَ إقَامَتِهِ بِفاسَ.

كَانَ، رَحِمَهُ اللّه، كَثِيرَ الأدَبِ، بَعِيدَ الغَضَبِ، جَمَعَ العِفَّةَ والوَقَارَ، وَسِمَةَ المُتَّقِينَ الأبْرَارِ، مَقْبولَ القَوْلِ، مُعَظَّماً فِي القُلوبِ. لمْ أرَ مَجْلِساً أنْفَعَ مِنْ مَجْلِسِه. وَفِي أوَّلِ اتِّصَالي بِه، أَتَيْتُهُ فِي مَنْزِلِه، فَوجَدْتُهُ وَحْدَهُ، فَأدْخَلَني فِي البَيْتِ، فأخْرَجْتُ كِتابَ «الرِّسالَةِ» للقُشَيْرِيِّ فَقُلْتُ لَهُ : يا سَيِّدِي ! أُريدُ أنْ أقْرأَ عَلَيْكَ هَذا الكِتاب. فَقَالَ لِي : أنْتَ صَغِيرٌ، ويَطُولُ عَلَيْكَ الكِتابُ، لكِنْ اعْمَلْ بِحَديثٍ واحِدٍ، وَقَدْ حَصَلَ لكَ جَميعُ الكِتَابِ والعَمَلُ بِهِ. فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا ذاك؟ فَقَالَ لِي : قَالَ النَّبِيُّ، ﴿ﷺ﴾ : «حُبُّ الدُّنْيا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، فَازْهَدْ فِيها، واتْرُكْها تَنَلْ فَضِيلَةً»[111]؛ هَذا الحَديثُ إنْ عَمِلْتَ بِهِ كَفاكَ. فَقُمْتُ.

كَانَ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى، فِي ابْتِداءِ أمْرِهِ كَثِيرَ السِّياحَاتِ، وكَانَ يَخْرُجُ فِي سِياحَتِهِ بِلا رَكْوَةٍ ولا عَصاً، نَفَعَ اللّهُ به.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الفَقِيهُ الخَطيبُ أبُو عِمْرانَ، مُوسَى [بْنُ إبْرَاهِيمَ] صَدِيقُنَا، وكَانَ مِنْ خَواصِّ أصْحَابِ الشَّيْخِ أبِي [مَدْيَن، وكَانَ يُـ]ـصلِّي بِهِ إذَا حَضَرَ؛ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَهُ يَوْماً فَقِيلَ /20/ لَهُ : إنَّ مِنْ عَادَةِ مَنْ يُسافِرُ لِلسِّياحَةِ أنْ يَكُونَ مَعَهُ رَكْوَةٌ وعَصَا، وأنْتَ لا تَحْمِلُ ذَلِكَ. فَقَالَ، رَحِمَهُ اللّهُ : رَكْوَتِي الذِّكْرُ، وعَصايَ التَّوْحِيدُ.

110- في الأصل : متحركا

111- حديث ضعيف أخرج مقطعه الأول «حُبُّ الدُّنْيا رأس كُلِّ خَطِيئَةٍ» ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، والبيهقي في شعب الإيمان (احياء علوم الدين، 202/3، 413؛ وقيل إنه تواتر عن السلف أن حب الدنيا رأس الخطايا وأصلها. وقد روي فيه حديث مرفوع لا يثبت، ولكنه يروى عن المسيح. (دعوة الصابرين، ج 1، ص 185)؛ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 18/ ص 123. «...أما عن النبي،(ص) فليس له إسناد معروف») إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ج 3، ص 131، ج 7، ص 354، ج 8، ص 81؛ الترغيب والترهيب للمنذري ،ج 3، ص 257...

قَالَ مُحَمَّد : وهَذِهِ طَرِيقَةٌ يُخْتَصُّ بِها وَحْدَهُ.

رُوِيَ فِي بَعْضِ الأخْبَارِ أنَّ أحْبَارَ بَنِي إسْرائيلَ، الصَّغير مِنْهُمْ والكَبِير، كانوا يَعْمَدُونَ عَلَى العَصَا، لا يَمْشي أحَدٌ مِنْهُمْ إلَّا بِعَصَاهُ مَخَافَةَ الاخْتِيَالِ [112].

وَقِيلَ لِحَكِيمٍ كَانَ يُدِيمُ لُزومَ العَصَا، وَهُو غَيْرُ كَبِيرٍ ولا مَرِيض، [لِمَ تُلازم العَصا؟]، قَالَ : لأذْكُرَ أنِّي مُسافِرٌ.

قَالَ يُونسُ، رَحِمَهُ اللّهُ : وَمِنْ سِيَرِ الغُرَبَاءِ والسَّائِحِينَ، لُزُومُ العَصا، وَذَلِكَ قِيلَ مِنْ سِيَرِ الأنْبِياءِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي، وَلِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [113].

أخْبَرَنِي أبُو عِمْرانَ الخَطِيبُ [114]، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى، أنَّهُ سَمِعَ الشَّيْخَ، رَحِمَهُ اللّهُ، يَقُولُ : المُرِيدُ إذَا أتَاهُ شَيءٌ مِنَ الدُّنْيَا، أخَذَهُ بِالعِلْمِ والرِّضا وَدَفَعَهُ بالزُّهْدِ والسَّخَاءِ، وكَانَ بَيْنَهُمَا بِخَطَر [115].

أخْبَرَنِي الشَّيْخُ الفَقِيهُ أبُو بكرٍ مُحَمَّدُ [..] وفَّقَهُ اللّهُ تَعَالَى، قَالَ : أخْبَرَنِي أبُو

112- في الأصل : الاختمال. وانظر هذه القولة في : حلية الأولياء، ج 5/ ص 238

113- سورة طه، 16-17

114- سترد ترجمته لاحقاً(رقم 81)

115- لم نعثر على هذه القولة فيما رجعنا إليه من أقوال أبي مدين. انظر مثلاً : حِكم أبي مدين، مخ. خ. ع. بالرباط، ضمن مجموع ، رقم 1019 د ؛ أبو مدين شعيب، نصيحة للمريد، مخ. خ. ع. بالرباط، ضمن مجموع ، رقم 305 ق؛ ابن عجيبة التطواني، شرح على رائية أبي مدين في التصوف، مخ. خ. ع. بالرباط، ضمن مجموع ، رقم1736 د؛ أنس الفقير، 18-19؛ الصومعي، المعزى، م. س. 145-146، البستان،113-114؛ ابن صعد، النجم الثاقب، مخ، الجزء 8/ ورقة80-89؛ ابن عربي، محاضرة الأبرار...، م. س.، ج1/ ص146-147،157-158،171،231-232؛257258؛300-301، 344، 370,371،393-394، 412، 475-476؛ ج2, 225- 258؛ 296-267

مُحَمَّدٍ المَرْوَزِ[يُ عَنْ أَبِي مَدْيَن] /21/ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أَنَّهُ قَالَ : «مِنْ عَلامَاتِ[116] صِدْقِ المُرِيدِ [في] إِرَادَتِهِ، فِرَارُهُ عَنِ الخَلْقِ، ومِنْ عَلامَاتِ صِدْقِ فِرَارِهِ عَنِ الخَلْقِ، وُجُودُهُ لِلْحَقِّ، وَمِنْ عَلامات صِدْقِ وجُودِهِ لِلْحَقِّ، رُجوعُهُ للخَلْقِ»[117].

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو مُحَمَّد، عَبْدُ الخَالق بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنُ القَطَّانِ التُونُسِي[118] وكُنتُ مَعَهُ مُنْفَرِداً بِمَسْجِدِ الخَضِر، عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ بِمَقْرُبَةٍ مِنْ مَدِينَةِ سُورَة[119]، بِمَقْرُبَةٍ مِنْ افْرِيقِيَةَ، وقَدْ جَرى ذِكْرُ مَنْ رَأَيْنا مِنَ الصَّالحِينَ، فَقَالَ : أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو مَدْيَنَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ : كُنْتُ أُخْبَرُ عَنْ رَجُلٍ يُسَمَّى مُوسَى، أَنَّهُ يَمْشِي عَلَى المَاءِ، وغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الكَرَامَاتِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مَدْيَنَ : وكَانَ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ انصِدَاعِ الفَجْرِ يَأْتِينِي رَجلٌ يَسْأَلُنِي عَنْ مَسَائِلَ لا يَفْهَمُها النَّاسُ، فَوَقَعَ لِي لَيْلَةً أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ يأْتِينِي هُوَ مُوسَى[120] الَّذِي ذُكِرَ عَنْهُ ما ذُكِرَ. فَطَالَ عَلَيَّ اللَّيْلُ. فَلَمَّا انْشَقَّ الفَجْرُ، ضُرِبَ عَلَيَّ البَابُ. فَخَرَجْتُ، فإذا بِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يَأْتِينِي [فيَسْأَلُني. فَسَأَلَنِي عَنْ مَسْأَلةٍ، فَأَجَبْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَنْتَ

116- في الأصل : علامة

117- أورد محيي الدين بن عربي هذه القولة، ونسبها لشيخه أبي مدين. انظر: **الفتوحات المكية**، ج 1ص 379-380

118- ورد باسم أ بي محمد عبد الخالق التونسي.(انظر : ا **لتشوف**، ص 327.) وذكر ابن قنفد (**أنس الفقير**.. ص 100) أنه من أصحاب الشيخ ابي مدين، انظر، **كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**. م. س. ص 159 الذي يورد اسمه كالتالي : أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق بن موسى التونسي. ويقول إن كلا من صاحب **النجم الثاقب**، وابن قنفذ وابن الزيات [دون ذكرر التميمي] يروون عنه هذه الحكاية.

119- كذا في الأصل، ولم نعثر على مكان بهذا الإسم بالمغرب الأدنى فيما رجعنا إليه من المصادر، ولعلها سُرْت : مدينة على ساحل البحر بين برقة وطرابلس (**وصف افريقيا**، ص 155؛ **معجم البلدان**، 5/ 62؛ وقد تكون سوسة المدينة الساحلية المشهورة بافريقية والمجاورة للمنستير. أما مسجد الخضر فقد ورد ذكره بكتاب **رياض النفوس**، ج2/ ص 139،

120- هو أبو عمران موسى الصدراتي الطيار، انظر : **التشوف**، ترجمة 163، ص 326-327 ؛ ابن صعد، **النجم الثاقب**، مخ، ج8/ ورقة 89؛ الصومعي، **المعزى**، م.س.، ص 159 ؛ ابن مريم ، **البستان**، 112

مُوسَى؟] [121] قَالَ : نَعَمْ. وكَانَ يَخْتَلِفُ إليَّ فِي أَكْثَرِ الأَوْقَاتِ. فَجَاءَنِي يَوْماً وَمَعَهُ آخَر، فَقَالَ لِي : كُنتُ مَعَ صَاحِبِي هَذَا بِبَغْدادَ، وَصَلَّيْنا الصُّبْحَ، ثُمَّ أَتَيْنا مَكَّةَ، فوَجَدْناهُمْ يُصَلُّونَ تِلْكَ /22/ الصَّلاةَ، فَأَعَدْنا مَعَهُمْ، وَأَقَمْنا بِمَكَّةَ حَتَّى صَلَّيْنا الظُّهْرَ، ثُمَّ أَتَيْنَا بَيْتَ المَقْدِسِ، فَوَجَدْناهُمْ يُصَلُّونَ الظُّهْرَ الَّذِي صَلَّيْـنا بِمَكَّةَ. فَقَالَ لِي صَاحِبِي هَـذَا : نُعِيدُ مَعَـهُمْ، فَقُلْتُ لَهُ : لا نُعِيدُ، فَقَالَ لِي : لأيِّ شَيْءٍ أَعَدْنا بِمَكَّةَ ولا نُعِيدُها هُنا؟ فَقُلْتُ لَهُ : هَكَذا أَدْرَكْتُ شَيْخِي يَفْعلُ وبِهَذا أَمَرَنِي. فَاخْتَلَفْتُ أَنَا وَهُوَ، فَجِئْنا نَسْأَلُكَ. فَقُلْتُ لَهُ : الصَّوابُ مَعَكَ، فَقَالَ لِي صَاحِبُهُ : كَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ : لأَنَّكُما صَلَّيْتُما بِبَغْدادَ عِلْمَ اليَقِينِ، وصَلاتُكُما بِمَكَّةَ عَيْنُ اليَقِينِ[122]، وصَلاتُكُما لِعَيْنِ اليَقِينِ أَوْلَى مِنْ عِلْمِ اليَقِينِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ مَكَّةَ أُمُّ القُرَى. ومَا صُلِّيَ فِي الأُمَّهاتِ لا يُعَادُ فِي البَنَاتِ. فَقَنِعْنا بِذَلِكَ وانْصَرَفْنا.[123]

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَشُهْرَةُ الشَّيْخِ وكَرَامَاتُهُ مَعْرُوفَةٌ. فلِهَذا لَمْ أُشْبِعِ القَوْلَ فِي ذَلِكَ، ولِشَرْطِنا المُقَدَّمِ فِي الاخْتِصَارِ.

121- سطر ساقط من الأصل. وقد نقلناه عن **التشوف**، ص 327

122- للمتصوفة فهم خاص لمصطلحات «علم اليقين» و«عين اليقين» و«حق اليقين» : «فعلم اليقين ما كان ناشئاً عن البرهان»، وعين اليقين «ما نشأ عن الكشف والبيان» وحق اليقين «ما نشأ عن الشهود والعيان». فعلم اليقين «لأرباب العقول من أهل الإيمان»، وعين اليقين «لأرباب الوجدان من أهل الاستشراف على العيان» وحق اليقين «لأهل الرسوخ والتمكين في مقام الإحسان»؛ (رسالة **القشيري** ص 85). ويعطي ابن عجيبة الحسني كمثال لذلك «كمن سمع بمكة مثلاً ولم يرها فعنده علم اليقين بوجودها فإذا أشرف عليها ورآها ولم يدخلها فعنده عين اليقين. فإذا دخلها وعرف طرقها وأماكنها فهذا عنده حق اليقين». ابن عجيبة الحسني، مصطلحات التصوف من واقع كتابه «**معراج التشوف إلى حقائق التصوف**» إعداد وتقديم د.عبد الحميد صالح حمدان،مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999، ص 13

123- أورد الحكاية كذلك ابن صعد، **النجم الثاقب**، مخ. المكتبة الداودية – تطوان، رقم 53 ص ع ن، ورقة 89؛ و ابن مريم في **البستان** ، ص 112-113

4= أَبُو يَدُّو يَعْلَى[124]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو يَدُّو، واسْمُهُ يَعْلَى. كَانَ فَاضِلاً خَيِّراً زَاهِداً مُتَبَتِّلاً مُنْقَبِضاً عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، مُتَصَرِّفاً بِنفْسِهِ فِي مَرَافِقِ النَّاسِ مِنْ حَفْرِ بِئْرٍ فِي البادِيَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ،/23/ طُولَ إِقَامَتِهِ بِالمغْرِبِ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ، قاسمُ بْنُ مُحَمَّدٍ القَيْسِيّ[125]، قَالَ: اجْتَمَعْتُ لَيْلَةً مَعَ الشَّيْخِ أَبِي يَدُّو، فِي دارِ أَبِي العَبَّاسِ، أَحْمَدَ الخَضَّارِ، عِنْدَ جَامِعِ عُدْوَةِ الأَنْدَلُسِ مِنْ فَاسَ، ومَعَنا ابْنُ الهَزَّالِ، وكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَمَعَنَا غَيْرُهُ مِنَ الاخْوانِ الفُضَلاءِ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: فَتَقَدَّمْتُ للصَّلاةِ بِهِمْ. أَعْنِي صَلاةَ النَّافِلَةِ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي الصَّلاةِ، إِذْ صَاحَ الشَّيْخُ أَبُو يدُّو، وسَقَطَ إِلَى الأَرْضِ. فَلَمَّا فَرَغْنا مِنَ الصَّلاةِ، قَالَ أَبُو يدُّو لأَحْمَدَ الخَضَّار: مَا لِي رَأَيْتُكَ وَوَجْهُكَ قَدْ صُرِفَ عَنِ القِبْلَةِ وَأَنْتَ تَقُولُ: بَرْنُوسي! بَرْنُوسي! فَلَوْلا أَنَّ الخَضِر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَمَرَ فُلاناً أَنْ يَرُدَّ وَجْهَكَ لِلقِبْلَةِ لَبَقِيتَ كَذَلِكَ. فَقَالَ الخَضَّارُ: كَانَتْ مِنِّي التِفاتَةٌ لِلشَّرِيطِ الَّذِي عُلِّقَ عَلَيْهِ البَرْنُس[126] فلَمْ أَرَه، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَنْ أَخَذَهُ؟ حَتَّى تَذَكَّرتُ أَنَّ أَخِي أَخَذَهُ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ، قاسمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الشَّيْخِ أَبِي عِمْرانَ، -عُرِفَ بابْن

124- انظر ترجمته في: جذوة الاقتباس، ص 562 ويسميه أبو يد. وهو ينقل عن المستفاد مع بعض الاختلافات الطفيفة

125- انظر ترجمته لاحقاً (رقم 71)

126- البرنوس (أو البرنس): «كان يعني قديماً -حسب دوزي- نوعاً من الطاقيات (غطاء الرأس) ثم تطور معنى البرنس إلى البرنوس في العصور الحديثة ليدل على ما يشبه المعطف. (انظر: محمد رابطة الدين، البرنس، معلمة المغرب، ج1197/4)

تَانْدَلْسِت[127]- وكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ : أَدْرَكْتُهُ وصَحِبتُهُ، ولَمْ أَسْمَعْ هَذَا مِنْهُ.

قَالَ أَبُو عِمْرَانَ : لَمَّا كُنْتُ بالإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فِي وَقْتِ إِقَامَتِي بِها، وَصَلَ مَرْكَبٌ مِنَ المَغْرِبِ. فَخَرَجْتُ لأَلْقَى مَنْ يَصِلُ مِنَ المَغْرِبِ /24/ مِنْ أَهْلِ المَغْرِبِ، فَإِذا بِالشَّيْخِ أَبِي يَدُّو، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَعَلَيهِمْ، وحَمَلْتُهُ لِمَوْضِعِي، وَقَرَّبْتُ إِلَيْهِمْ ثَرِيدَ فُولٍ[128] كَانَ حَاضِراً. فَلَمَّا قَدَّمْتُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، رَأَيْتُهُمْ يَتَحَدَّثُونَ ويُكْثِرونَ التَّعَجُّبَ. فقُلْتُ لَهُمْ : مَا لَكُمْ ؟ فَقَالُوا لِي : لَمَّا كُنَّا فِي البَحْرِ، قَالَ الشَّيْخُ أَبُو يَدُّو : إِنَّكُمْ تَصِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَدِينَةَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، عَلَى عَافِيَةٍ وسَلامَةٍ. فَإِذَا نَزَلْنَا مِنَ المَرْكَبِ، يَلْقانَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا وَيَحْمِلُنا لِمَوْضِعِهِ، وَيُقَدِّمُ لَنَا ثَرِيدَ فُولٍ. فَلَمَّا وَصَلْنَا وجِئْنَا لِمَوْضِعِكَ، وقَدَّمْتَ لَنَا مَا قَالَ الشَّيْخُ، تَعَجَّبْنا مِنْ حِدَّةِ خَاطِرِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ : وكُنْتُ أَجْتَمِعُ مَعَ أَبِي يَدُّو عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، بِمَدِينَةِ فاس، حَرَسَها اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مَدِينَةِ فَاسَ إِلَى المَشْرِقِ لأَداءِ حَجَّةِ الفَرِيضَةِ، فَأَدَّاها، ثُمَّ اسْتَوْطَنَ بِمَدِينَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ. فَلَمَّا مَشَيْتُ إِلَى المَشْرِقِ، اجْتَمَعْتُ بِهِ وكُنْتُ أَزُورُهُ. وَتُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، بِالإِسْكَنْدرِيَّةِ وحَضَرْتُ جِنَازَتَهُ، وَذَلِكَ فِي عَامِ سَبْعَةٍ وسَبْعِينَ وخَمْسِمِائَةٍ، أَوْ بعْدَ ذَلِكَ، أَشُكُّ فِي ذَلِكَ.

127- انظر ترجمته لاحقاً (رقم 62)

128- الثريد : «كلمة عربية وتعني المكسور من المواد الغذائية لحماً أو خبزاً وعليه مرق»، وأصل الكلمة : ثَرْد أي هشم. ولقد جانب الأستاذ محمد حجاج الطويل الصواب حينما اعتبر أن «أولى الإشارات عنه وردت في كتاب التشوف... » (محمد حجاج الطويل ، مادة ثريد، **معلمة المغرب**، المجلد السابع، ص 2783.) وقد يكون الثريد باللبن (**التشوف**، 368، مجهول، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، م.س، ص 185) أو باللحم (**التشوف**، 290) أو بالفول والسمن (**التشوف**، 103).أو بالحوت (مجهول، **كتاب الطبيخ** ، م.س.، ص 75). كما اشتهرت بعض المناطق بتحضير أنواع خاصة من الثريد(نفسه، 182، 183)

5= أَبُو الْعَبَّاس،أَحْمَدُ الخَشَّاب[129]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ الخَشَّابُ./25/ أَصْلُهُ مِنَ الأَنْدَلُسِ، وَاسْتَوْطَنَ مَدِينَة فَاس، حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى، حَتَّى مَاتَ بِها، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

كَانَ شَيْخاً فَاضِلاً عَابِداً زَاهِداً كَثِيرَ السِّيَاحَاتِ وَالانْقِطَاعِ، لَهُ رُتْبَةٌ عَالِيَةٌ فِي المُكَاشَفَةِ. أَدْرَكْتُهُ وجَالَسْتُهُ كثيراً، وانْتَفَعْتُ بِكَلامِهِ. وكَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، دائِمَ الصَّمْتِ والمُراقَبَةِ.

سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ، عَبْدَ اللهِ -عُرِفَ بِخَتَنِ شاكوا[130]- يقُولُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبا مَدْيَنَ يَقولُ : كُنْتُ فِي ابْتِداءِ إِقَامَتِي بِفَاسَ[131] لَيْسَ لِي مَأْوَى إلاَّ فِي جَامِعِ عُدْوَةِ الأَنْدَلُس. وكُنْتُ فِي زَمَنِ الاجْتِهادِ ورِيَاضَةِ النَّفْس، فَأَتَى عَلَيَّ عِيدُ فِطْرٍ. فَلَمَّا صَلَّيْتُ مَعَ النَّاسِ صَلاةَ العِيدِ، قُلْتُ لِنَفْسِي : إِنِّي أَمْنَعُكِ اليَوْمَ مِنَ الأَكْلِ، وَأَكُونُ فِي مَوْضِعٍ لا يَعْرِفُ بِي أَحَدٌ. فأَتَيْتُ الجَامِع. فَقُلْتُ : قَدْ يَأتِي مَنْ يَطْلُبُنِي، فَيجِدُنِي فِي الجَامِعِ، لِأَنَّهُ قَدْ عُرِفَ أَنِّي آوِي إِلَيْهِ. فَأَتَيْتُ إِلَى بَيْتِ المِنْبَرِ، فَدَخَلْتُ فِيهِ، وَأَغْلَقْتُ عَلَيَّ بَابَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِيهِ، إِذْ بِضَارِبٍ يَضْرِبُ عَلَيَّ بَابَ البَيْتِ، فلَمْ أُجِبْهُ، فَانْصَرَفَ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : ومَا كَانَ عَلَيَّ لَوْ أَجَبْتُهُ؟ لَعلَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ أُدْخِلُ عَلَيْهِ سُروراً بِإِفْطارِي عِنْدَهُ. ونَدِمْتُ عَلَى تَرك إِجَابَتِهِ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذَا الخَاطِرِ إِذَا بِالضَّارِبِ /26/ قَدْ رَجَعَ، فَضَرَبَ وَقَالَ لِي : لِأَيِّ شَيْءٍ حَلَلْتَ العَقْدَ الَّذِي كُنْتَ عَقَدْتَ وَبَدا لَكَ؟ أُخْرُجْ يا أَبَا مَدْيَنَ ! فإذا بِهِ الخَشَّابُ،

129- انظر عنه كذلك : سلوة الإنفاس، 176/3؛ الفتوحات المكية، ج 11، ص 374 حيث يصنفه ضمن «المحدَّثين»، أي الذين يحدثهم الحق سبحانه وتعالى»

130- سماه في مكان آخر (ترجمة 8) : ختن شاكر

131- حول وصف أبي مدين لظروف نزوحه من الأندلس واستقراره بفاس ولزومه جامعها، انظر : التشوف، ص320

رَحِمَهُمَا اللَّهُ، قَالَ : فَانْصَرَفْتُ مَعَهُ وَأَفْطَرْتُ عِنْدَهُ.

وَأَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّد عَبْدُ اللَّهِ المذكورُ، قَالَ : بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ الشَّيْخ أَبِي مَدْيَنَ مَعَ الإخْوانِ، عَلَى حَسَبِ العَادَةِ. وكَانَ مِنْ عَادَةِ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ العِشَاءَيْنِ فِي بَيْتٍ فِي دارِهِ مَعَ مَنْ يَأْتِي إِلَيْهِ مِنَ الإخْوانِ بِلا مِصْبَاحٍ. فَإذا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ الوِرْدِ، جَاءَ بِالمصْباحِ فَجَعَلَهُ فِي البَيتِ. فَلَمَّا تمَّ الورْدُ، فَإذا بِأَبِي العَبَّاسِ الخَشَّابِ فِي زَاوِيَةٍ مِنَ البَيْتِ. فَقِيلَ للشَّيخِ أَبِي مَدْيَنَ عَنْهُ، فَقَالَ : أتْرُكُوهُ. وكَانَ مِنْ عَادَةِ الشَّيْخِ أَبِي العَبَّاس الخَشَّابِ أَنْ يُوجَدَ فِي البَيْتِ مَعَ الإخْوانِ، وَبَابُ الدَّارِ مُغْلَقٌ لا يَفْتَحُهُ لَهُ أَحَدٌ، ويَتَصَرَّفُ فِي المَسْجِدِ قَبْلَ أَنْ يُفْتَحَ البَابُ. فَبَاتَ مَعَنا تلكَ اللَّيْلَةَ إِلى صَلاةِ الصُّبْحِ، ولَمْ يَنْصَرِفْ، وَلَمْ تكُنْ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَغِيبَ[132] عَنِ المجْلسِ. فَحَضَرَ ذَلِكَ اليَوْمَ المجْلسَ الَّذِي كَانَ أن يَكُون[133] عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ. فَلَمَّا انْصرفَ عَامَّةُ النَّاسِ، [و] لَمْ يَبْقَ إلاَّ الخَاصُّ مِنْ أَصْحَابِ الشَّيْخِ، قَالَ أَبُو العَبَّاسِ /27/ لِلشَّيْخِ : تُبْ يا شُعَيبُ ! فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : أَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وحِينٍ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَلَكِنْ عَرِّفْنِي مِمَّا أتُوبُ مِنْهُ الآنَ. فَقَالَ لَهُ : لأيِّ شَيْءٍ أَدْخَلْتَ يَدَكَ فِي الدَّقِيقِ؟ رَزَّاقٌ أنتَ أَوْ أَش[134] أَنْتَ إِلَّا مِنْ جُمْلَة العِيَال[135]، فَمَا لَكَ ولِذَلِكَ؟ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مَدْيَن : وكَانَ [فِي] ذَلِكَ اليَوْم خَرَجَتِ العَجوزُ مِنَ الدَّارِ لِبَعْضِ شَأْنِهَا، وجَاء وَقْتُ خُروجِي لجَامعِ القَرَويِينَ، لأنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فِيهِ، فَخَرجْتُ مِنَ المَنْزِلِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَقُلْتُ : إنْ كَانَتْ العَجُوزُ عَجَنَتْ عَجِينَها، أُعْطِيهِ لمنْ يَطْرَحُهُ. فَدَخلْتُ الخَيْمَةَ الَّتِي كَانَتْ العَجُوزُ تَتَصَرَّفُ فِيهَا، فلَمْ أَجِدْ عَجِيناً، فَقُلْتُ : لعلَّها مَا وَجَدَتْ دَقِيقاً

132- في الأصل : يجلس

133- هكذا في الأصل. ويبدو أن هناك سقطا

134-كذا في الأصل. ولعلها : أيش

135- إن استعمال اللغة الدارجة هو من الأمور العادية في النصوص المناقبية (انظر الفقرة المخصصة لأسلوب المستفاد في قسم الدراسة من هذه الأطروحة)

تَعْجِنُهُ، فَعَجِبْتُ لِقِلَّةِ الدَّقيقِ. فَأَدْخَلتُ يَدي فِيهَا، فَإذا فِيهَا قَليلُ دَقيقٍ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَتَى جاءَتْ، عَجنَتْ مِنْ هَذا الدَّقيقِ قُوتَها. فَهَذا كَانَ الأَمْرَ الَّذي كُوشِفَ بِهِ. وما أَعْلَمْتُ بِذَلِكَ أَحَداً.

سَمِعتُ أَبا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللهِ يَقولُ : سَمِعتُ الشَّيْخَ أَبا مَدْيَنَ يَقولُ : كُنْتُ جَالِساً فِي جَامِعِ القَرَوِيينَ، مُسْتَقْبِلاً لسَارِيَةٍ، والخَشَّابُ مِنْ خَلفِي مُسْتقْبِلاً لِسَارِيَةٍ أُخْرى. فَخَطَرَ بِبَالي نُفَارِقُ المَرْأَةَ الَّتِي عِنْدِي أَمْ لا؟ فَقَام أَبُو العَبَّاسِ الخشَّابُ، وَقَالَ لِي : يَا شُعَيْبُ ! / 28/ (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوجَكَ)[136]. [فـ]تكلَّمَ بِخاطِري فِي الحِينِ[137].

قَالَ مُحَمَّدٌ : وسَمِعْتُ أَنَا مِنْ لفظِ أَبِي العَبَّاسِ أَشْياءَ مِنْ نَحْوِ هَذا. [و] فِيما ذَكَرْنا كِفايَةٌ لِشَرْطِنا أَنْ لا نُجَاوِزَهُ. ومَقَامُهُ فِي هَذا مَعْروفٌ مَشْهورٌ.

6= أَبُو الحَسَن الحايك

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو الحَسنِ الحَايِكُ. كَانَ شَيْخاً فَاضِلاً خَيِّراً مِنْ أَهْلِ التَقَشُّفِ،

136- إحالة على سورة الأحزاب، الآية :37 ؛ وانظر الحكاية في البستان، ص 112

137- أورد هذه الحكاية محيي الدين بن عربي في «محاضرة الأبرار، ومسامرة الأخيار»...م. س. ج 2/ ص 416-417 مسندة إلى عبد الله ابن الأستاذ المروزي. وذكرها الساحلي بقوله : «يُذكر أن أبا مدين دخل عليه بعض أصحابه وعليه غفارة فيها مكتوب : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ اللَّهَ). فأمره الشيخ بإمساك زوجه وقد كان عزم على فراقها» ، واعتبر الساحلي هذه الحكاية من «كرامات منزل الطمأنينة» التي منها «النطق بالكوائن قبل أن تتكون، وإخباربعض الغيوب قبل حصول أعيانها في الوجود .. لصدق الخاطر ولصفاء الباطن . .بغية السالك، ورقة 116؛ وانظر كذلك : ديوان أبي مدين شعيب ، جمع وترتيب العربي بن مصطفى الشرار، مطبعة الترقي، دمشق، 1938، ص 9؛ البستان، ص 112

مُخْتَصرا[138] فِي أحْوَالِهِ، مُتَصَرِّفاً فِي حِرْفَتِهِ، مِنْ أَهْلِ المُكاشَفَةِ والكَلامِ عَلَى الخَاطِرِ. صَحِبْتُهُ مُدَّةً، فَرأيْتُ شَيْخاً مُتَّبِعاً لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ، صَدُوقاً فِي أحْوَالِهِ، كَثِيرَ الشَّفَقَةِ عَلَى إخْوانِهِ وعلى عامَّةِ أَهْلِ الإسْلامِ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الفَقِيهُ أَبُو عَلِيٍّ، عُمَرُ، أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا إِسْحَاقَ، إبْرَاهِيمَ النَّفْزَاوِيَّ -وكَانَ مِن خَواصِّ أَصْحَابِهِ - قَالَ : أَرَدْتُ السَّفَرَ إِلى مُرَّاكُشَ، حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَجِئْتُ أُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَأُوَدِّعُهُ، وأنَالُ بَرَكَةَ دُعَائِهِ، فَقُلْتُ لَهُ : تُوصِي بِشَيْءٍ؟ فَقَالَ لِي : تُبلِّغ سَلامِي لِلشَّيْخِ الفَقِيهِ الخَطِيبِ، أَبِي مُحَمَّدٍ، عَبْدِ اللَّهِ المالَقِيِّ[139]، وتَقُولُ لَهُ : يَسْتَمِرُّ عَلَى مَا عَقَدَ فِي نَفْسِهِ وعَزَمَ عَلَيْهِ ولا يَحُلُّهُ. فقُلْتُ لَهُ : إنْ سَألَنِي عَنْ ذَلِكَ مَا أَقُولُ لَهُ ؟ فَقَالَ : إنَّهُ عَقَدَ فِي نَفْسِهِ /29/ ألَّا يَأكُلَ ولا يَتَصرَّفَ فِيما يُخْتَصُّ بِهِ إلاَّ مِنْ غَلَّةِ ما وَرِثَ عَنْ أَبِيهِ بِمدِينَةِ فَاسَ مِنْ رَبْعٍ. فَقَالَ لِي : وَفِي الوَقْتِ مَنْ يَكْشِفُ عَلَى مِثْلِ هَذَا، واللَّهِ مَا حَدَّثْتُ بِهَذا الَّذِي خَطَر لِي أَحَداً وَمَا خَرَجَ مِنْ قَلْبِي لأحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ. وَأَخَذَ يَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ. وَقَالَ : مَا ظَنَنْتُ أَنَّ فِي الوَقْتِ مَنْ يَكُونُ فِي هَذَا المقامِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : أَشْبَهَتْ هَذِهِ الحِكَايَةُ مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ البُسْتَانِي[140]، أَنَّهُ كَانَ إذَا

138- كذا في الأصل. ولعلها : مقتصداً

139- من المرجع أن يكون هو عبد الله بن محمد بن عيسى الأنصاري، المعروف بابن المالقي المتوفى بمراكش سنة 574 أو 573هـ. وقد أخذ في صغره عن أبي الحكم ابن برجان.(**التكملة** (ج2، ص 272 ط. الهراس) ؛ **نيل الابتهاج**، ترجمة رقم 224، ص 211 ؛ **الإعلام**193/8

وهناك شخص آخر له نفس الإسم هو : أبو محمد عبد الله بن ابراهيم المالقي، روى عن أبي الصبر الفهري ويصفه ابن عبد المالك المراكشي بأنه «كان شيخاً متخلقاً معيناً على المصالح صاحب كرامات، إمام الصوفية ببلده». لكن لا يبدو أنه استقر بمراكش. انظر : **الذيل والتكملة**، بقية السفر الرابع، ص 178 ترجمة رقم 325

140- كذا في الأصل. ولعله السبائي كما ورد في **رياض النفوس**، (ج2/ص451) ويبدو أن التميمي ينقل عنه هذه الحكاية دون ذكره. وقد توفي سنة 356 هـ . انظر ترجمته في : **المدارك**، ج376/3.**رياض النفوس**، ج2/ص 469-507؛ **الديباج**، ج262/1-264

ذُكِرَ أَبُو الفَضْلِ الغَدَامِسِيُّ[141] يَقولُ : «ذاكَ سَيِّدُ العابِدينَ، أَخْبَرَني بِشَيْءٍ ما اطَّلَعَ عَلَيْهِ إلاَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ[142] : قُلْتُ لأَبِي مُحَمَّدٍ الجُبَّي[143] : مَا هُوَ؟ قَالَ : زَعَمُوا أَنَّ أَبا إِسْحَاقَ البُسْتانِيَّ أَرادَ الرَّحِيلَ مِنَ القَيْرَوانِ، وَلَمْ يُخْبِرْ أَحَداً[144] هُرُوباً مِنْ سَلاطِينِ البَلَدِ فِي [ذلك][145] الوَقْتِ، وكَانَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الغَدامِسِيُّ مِنَ المُنَسْتِيرِ : لا تَتَحَرَّكْ، فَلَيْسَ لِلْقَوْمِ إِلَيْكَ سَبيلٌ ولا طَرِيقٌ»[146].

قَالَ مُحَمَّدٌ : أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ حَكَم، قَالَ : أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ الفَرَجِ، أَنَّ قَوْماً مِنَ الصَّالحِينَ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ وَصَلوا إِلَى فَاس. قَالَ : فَصَنَعْتُ /30/ لَهُمْ طَعاماً، وكَلَّمْتُهُمْ أَنْ يَصِلوا إِلَى مَنْزِلِي لِيُفْطِروا عِنْدِي. فَوَعَدُوا بِذلِكَ.

141- أبو الفضل العباس بن محمد الصواف الغدامسي، المتعبد بالمنستير، توفي سنة 349 هـ وعمره 96 سنة. أفرد له المالكي ترجمة مطولة في كتابه رياض النفوس، ج2/ص 440-454

142- هو أبو محمد الحسن بن أبي العباس عبد الله بن عبد الرحمان الأجدابي. أحد شيوخ أبي بكر عبد الله المالكي مؤلف كتاب «رياض النفوس» وأحد أفراد عائلة اشتهرت بالفقه والتاريخ. انظر، القاضي عياض، المدارك، ج4 / 632-634 ؛ رياض النفوس، ج2/ص 451، وهامش 117

143- في الأصل : الحبى والتصحيح من «رياض النفوس»، 451/2

144- في الأصل : لأحد

145- زيادة من كتاب «رياض النفوس»

146- في «رياض النفوس» : فليس للقوم إليك طريق، وقد وردت الحكاية بكاملها في «رياض النفوس»، ج2/ص 451

فَصَنَعْتُ لَهُمْ ثَرِيدَ بَازِنٍ[147]. فَلَمَّا صُلِّيَ المَغْرِبُ، انْتَظَرْتُهُمْ فَلَمْ يَصِلُوا، فَقُلْتُ : لَعَلَّهُمْ مَعَ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ فِي المَسْجِدِ، فَوَصَلْتُ إِلَى المَسْجِدِ، فَلَمْ أَجِدْهُمْ. فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَإِذَا بِرَجُلٍ عَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ طَالِعٌ فِي الزُّقَاقِ الَّذِي فِي دَارِي، حَتَّى وَقَفَ عَلَى البَابِ، ثُمَّ عَدَّى الدَّارَ إِلَى فَوْقِهَا، ثُم رَجَعَ وَوَقَفَ عَلَى البَابِ. فَجِئْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ أَبُو الحَسَنِ، عَلِيٌّ الحَايِك، فَقُلْتُ لَهُ : ما تَطْلُبُ؟ فَقَالَ لِي : اليَوْمَ لِي خَمْسَةُ أَيَّامٍ طَاوِياً. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ، اشْتَهَتْ نَفْسِي ثَرِيدَ بَازِنٍ، فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا قَصْعَةٌ فِيهَا ثَرِيدُ بَازِنٍ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا، فَخَرَجَتْ تَسْعَى أَمَامِي، فَلَمْ أَزَلْ أَتْبَعُهَا حَتَّى دَخَلَتْ فِي هَذِهِ الدَّارِ. فَقلتُ لَهُ : أُدْخُل. فَقَدَّمْتُ لَهُ القَصْعَةَ، فَقَالَ : هِيَ هَذِه. فَأَكَلَ ثُمَّ انْصَرَفَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

أَخْبَرَنِي بَعْضُ الإِخْوانِ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ الحَايِكِ، وجَماعَةٍ مِنَ الإِخْوانِ خَارِجَ مَدِينَةِ فَاس، وكَانَ مَعَهمْ شَبَكَةٌ لِلصَّيْدِ، أَعْنِي صَيْدَ الحُوتِ. فَأُرْسِلَتْ فِي الوَادِي،

147- «بازن» أو «بزين» أو «البازين» أو «بزينة» هي اختصار لـ «زبزين» حسب دوزي. وفي بعض اللهجات الأمازيغية يستعمل بازن بمعنى الحرِّيف»، فيقال طعام أو كسكس بازن أي بدون لحم. فهو إما «خبز مفتت ومفروك بالأصابع مع الزعفران»، أو «وجبه من بندق مدقوق وخبز مفتت وعسل». أو «عصيدة من طحين وسمن وسكر».أو «أكلة من طحين مطهي مع قليل من المرق النباتي، وفي بعض الأحيان بمرق بزيت شحم الخروف» ومن جميع هذه الأوصاف التي يوردها دوزي لطرق تحضيره وفي بيئات مختلفة (بحرية وصحراوية) يتضح أنه طعام لم يكن اللحم يدخل ضمن مكوناته.'، ح. Dozy, *Supplément*..op. cit. 82

واشتهرت مدن الساحل التونسي وكذا طرابلس بأكل البازين من الشعير. ويصف الحسن الوزان طريقة تحضير البازين بتونس قائلاً : «يؤتى بعجين خفيف يطبخ في الماء، فإذا نضج، عُجن في إناء وجُمع في وسطه، ثم سُقي بالزيت أو مرق اللحم ويبلعونه دون مضغ» (الحسن الوزان، وصف افريقيا، 2/ 76، وكذلك ص 84 (يتطرق للبازين المخلوط بالزيت»، 87، 98)

وعرف الأندلسيون البازين تحت تسمية «الزبزين». ويقدم ابن رزين التجيبي وصفة تحضيره، ويقول إن «أهل العدوة [أي المغاربة] يعرفونه بالبركوس. وهذا الأخير هو نوع من الكسكسو. وهو كثير الاستعمال في المغرب خصوصاً في الجنوب، ولكن بوزن «بركوكش»، وهو من الأطعمة الشعبية (فن الطبخ في الأندلس والمغرب، م.س. ص 26، وهامش 44) . وانظر كذلك : Bernard Rosenberger, *Société, pouvoir et alimentation*, Rabat, 2001, pp.168-169

فَأخْرَجَ فِيهَا حُوتاً وَاحِداً كَبِيراً، فَلَمَّا /31/ أَخَذَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ، سَقَطَ مِنْ يَدِهِ فِي الوَادِي، فَكَأنَّهمْ أسِفُوا عَلَيْهِ، فَأدْخَلَ أبُو الحَسَنِ يَدَهُ فِي المَاءِ وَأخْرَجَهُ[148]

ولِلشَّيْخِ أبِي الحَسَنِ أشْيَاءُ غَيْر هَذَا لا يُمْكِنُ أنْ تُودَعَ فِي الكُتُبِ لِكَثْرَةِ المُنْكِرِينَ لِذَلِكَ[149]، فَأكُونَ لَهُمْ عَوْناً عَلَى الوُقُوعِ فِي أوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى. أبْقَى اللهُ عَلَيْنَا بَرَكَتَهُمْ ونَفَعَنَا بِمَحَبَّتِهِمْ.

7= أبُو مُعَنْصِر

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أبُو مُعَنْصِر. كَانَ يَسْكُنُ البَادِيَةَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، ويُقْصَدُ مِنْ فاسَ لِلزِّيارةِ.

أخْبَرَنِي الشَّيْخُ أبُو مُحَمَّدٍ، قاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ القَيْسِيِّ[150]، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، أنَّهُ قَالَ : اجْتَمَعْتُ بِأبِي مُعَنْصَر، عِنْدَ الشَّيْخِ أبِي يَعْزَى، وكَانَ هُنَالِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أصْحَابِنا. فَقَدَّمَ لهُمُ الشَّيْخُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيالِي صَحْفَةً مِنْ ثَرِيدٍ، فَأخَذ الأصْحَابُ يَنْتَهِبُونَ رَأسَ القَصْعَةِ، وأبُو مُعَنْصَرٍ حَاضِرٌ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وكَأنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ. قَالَ أبُو مُحَمَّدٍ قَاسِمٌ : ثُمَّ انْصَرَفْنَا مِنْ

148- يورد ابن الزيات كرامة مشابهة للولي عيسى الرفروفي، فقد «كان إذا احتاج إلى القوت أدخل يده في الوادي فيخرج منه حوتاً فيقتات به» (التشوف، ص 109)

149- من المعلوم أن حقيقة الكرامات قد أثارت منذ وقت مبكر جدلاً كبيراً بين الفقهاء، فقد جوزها البعض وأدانها البعض الآخر بشدة. وتعكس ترجمة أبي يحيى أبو بكر بن عبد الله جانباً من الصراع بين الفقهاء والمتصوفة حول حقيقة الكرامات، إذ يورد التادلي على لسان أحدهم ما يلي : «سمعت بعض المريدين يقولون إنهم يكلمون الموتى ويجيبونهم في قبورهم. فقال لي : هذا صحيح، إن لله تعالى عباداً لو تكلموا بما استفادوا من مواهب الله تعالى لأفتى هؤلاء الفقهاء برجمهم» التشوف، ص293 (وانظر قسم الدراسة من هذه الأطروحة)

150- انظر ترجمته لاحقاً (رقم 71)

عِنْد الشَّيْخِ أَبِي يَعْزَى، فَاجْتَمَعْتُ بِأَبِي مُعَنْصَرٍ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ لِي : رَأَيْتَ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ مَا الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَخْتَطِفُوا مِنْ رَأْسِ القَصْعَةِ؟ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُ ظَهَرَ لَهُمْ عَلَيْهَا إِسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى./32/ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ قاسِم : فَقُلْتُ لَهُ : ذُكِرَ فِي «رِسالَةِ» القُشَيْرِيِّ عَنْ سَرِيٍّ السَّقَطِيِّ[151] أَنَّهُ كَانَ يقُولُ : «لَوْ أَنَّ واحِداً دَخَلَ بُسْتاناً فيهِ أَشْجَارٌ كَثيرةٌ، وعَلى كُلِّ شَجَرَةٍ طيْرٌ يَقولُ [له] بِلِسانٍ فَصيحٍ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يا وَلِيَّ اللهِ، فَلَوْ لَمْ يَخَفْ أَنَّهُ مَكْرٌ لَكانَ مَمْكُوراً بِهِ»[152]. فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُعَنْصَر : هَذَا اتَّفَقَ لِي، وَلَمْ أَعْتَدَّ بِذَلِكَ، ولا أَصْغَيْتُ لَهُ أُذُناً.

8= أَبُو عَلِيٍّ، المَنْصورُ ابنُ فوقَة

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ، المَنْصُورُ بْنُ فُوقَة، مِنْ بَنِي بَسِيل، مِنْ أَحْوازِ فاس. كَانَ أَسْمَرَ اللونِ. رَأَيْتُهُ فِي دارِ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ، وبِتُّ مَعَهُ عِنْدَهُ. كَانَ مِنْ أَهْلِ النُّسُكِ والاجْتِهادِ، والمَقَامَاتِ السَّنِيَّةِ، والكَرامَاتِ الظَّاهِرَةِ.

أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّد، عَبْدُ اللهِ -عُرِفَ بِخَتَنِ شَاكِر- أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ عِنْدَ بَعْضِ الأَصْحَابِ، وحَضَرَ ذَلِكَ المَوْضِعَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الإِرادَةِ والفَضْلِ. فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ أَيْدِيهِمُ الطَّعَامُ، وَهُوَ مُغَطًى، صَاحَ أَبُو عَلِي المَنْصُور، وابْتَعَدَ مِنَ الطَّعَامِ. فَقِيلَ لِرَبِّ المَنْزِلَ : مَا هَذَا الَّذِي فِي طَعَامِكَ؟ فَقَالَ : مَا أَعْرِفُ فِي طَعَامِي شَيْئاً إِلَّا الخُضْرَةَ؛ إِنِّي لا أَعْرِفُ

151- هو سبري (أو سري أو السري) بن المغَلّس السَّقَطي وكنيته أبو الحسن، أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد، ويقال أنه خال أبي القاسم الجُنَيْد وأستاذه، وكان تلميذ معروف الكرْخي،. تو في ببغداد سنة 256 هـ أو 257 هـ . انظر : **طبقات الصوفية**، ص 48؛ **حلية الأولياء**، ج10، ص 116-126، **الرسالة القشيرية**، ص 417، **وفيات الأعيان**، 251/1، الصومعي، **كتاب المعزى**، ص 88-89

152- انظر هذه الحكاية في **الرسالة القشيرية**، ص 360

أَصْلَها. وكَانَ كُرْنُباً. فَسَأَلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْهُ،فَإذا هُوَ مِنْ /33/ مَوْضِعٍ لا يُرْضَى.

فَانْظُرْ كَيْفَ يحفَظُ اللهُ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ أَنْ يُطعِمَهُمْ مَا فِيهِ شُبْهَةٌ، فإنَّا لِلَّهِ عَلَى مَا حَلَّ بنا، فَنَسْأَلُهُ تَوبَةً تَنقُلُنَا عمَّا نَحْنُ فِيهِ إِلَى مَا يَرْضَاهُ بِمَنِّهِ وكَرَمِه.

قَالَ مُحَمَّدٌ : ومَقَامُ هَذَا العَبْدِ أَعْلَى [مِنْ] مَقَامِ الجَمَاعَةِ الَّذِينَ ذَكَرَ الإمَامُ القُشَيْرِيُّ فِي رِسالتِهِ، وَهُوَ أَنَّ[هُ] قَالَ : «اتَّخَذَ بَعْضُهُمْ دَعْوَةً، وَفِيهِمْ شَيْخٌ شِيرازِيٌّ، فَلَمَّا أَكَلُوا، وَقَعَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فِي حَالِ السَّمَاعِ. فَقَالَ الشَّيْخُ الشِّيرَازِيُّ لِصَاحِبِ الدَّعْوَةِ : مَا أَطْعَمْتَنا؟ فَقَالَ : اجْتَهَدْتُ فِي جَمِيع ما أَطْعَمْتُكُمْ إِلَّا البَاذِنجَان، فَلَمْ أَسْأَلْ عَنْهُ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا، سَأَلُوا بَائِعَ البَاذِنجَانِ فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ لِي شَيْءٌ، فَسَرَقْتُ البَاذِنجَانَ مِنَ الموْضِعِ الفُلانِيِّ وَبِعْتُهُ، فَحَمَلُوهُ إِلَى صَاحِبِ الأَرْضِ لِيَجْعَلَهُ فِي حِلٍّ، فَقَالَ : تَسْأَلُون[153] مِنِّي أَلْفَ باذِنجَانَةٍ، قَدْ وَهَبْتُهُ [تِلْكَ الأَرْضَ، وَوَهَبْتُهُ][154] ثَوْرَيْنِ وَحِماراً وآلَةَ الحَرْثِ، لِئَلاَّ يَعُودَ إِلَى مِثْلِ مَا فَعَلَ»[155].

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الفَقِيهُ الخطِيبُ، أَبُو عِمرانَ، مُوسَى بْنُ إِبْرَاهِيم[156]، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، أَنَّ الشَّيْخَ المَنْصور، كَانَ عِنْدَهُ عَرْصَةٌ بِبَنِي بَسيل، قاعَتُها مُسْتَأْجَرَةٌ بِدِينارَيْنِ، وأَنَّ

153- في الأصل: تسألوا

154- زيادة من الرسالة القشيرية

155- انظر الحكاية كلها في : الرسالة القشيرية، ص 228

156- أصله من الأندلس، نشأ ودرس بفاس، وكان من جلة أصحاب الشيخ أبي مدين. سيترجم له التميمي لاحقاً (رقم 81)

العَامِلَ[157] وَصَلَ إِلى المَوْضِعِ المَذْكُورِ وَدَخَلَ العَرْصَةَ، فَقَالَ : تَحْتَاجُ أَنْ يُزَادَ فِي خَرَاجِهَا. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : /34/ إِنَّ صَاحِبَها ضَعِيفٌ وَرَجُلٌ صَالِحٌ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا كَانَ عَلَيْهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ، فَسَارَ إِلى بَيْتِهِ مَهْمُوماً لأَجْلِ أَنَّها إِنَّمَا كَانَتْ لِلفُقَراءِ يَنْتَفِعُونَ بها. فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ فِي نَفْسِهِ : أُعْلِمُ فُلاناً وَفُلاناً يُكَلِّمُونَ العَامِلَ فِي ذَلِكَ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : فَلَمَّا دَخَلْتُ بيْتِي، قَدَّمَتْ إِلَيَّ وَالِدَتِي مَا أَكَلْتُ ثُمَّ نِمْتُ، فَإذا بِرَجُلَيْنِ قَالَ أَحَدُهُما للآخَرَ : هَذَا الَّذِي يَلْحَنُ فِي قِراءَةِ ﴿الحَمْدُ﴾. فَقُلْتُ لَهُمَا : أَقْرَأُهَا عَلَيْكُما، فَقَرَأْتُها عَلَيْهِما، فَقَالاَ لِي : لَحَنْتَ، فَأَعَدْتُها عَلَيْهِما، فَقَالا لِي : لَحَنْتَ، فَحَرَّكَتْنِي وَالِدَتِي، فَانْتَبَهْتُ، وجَعلتُ أَفَكِّر فِي الرُّؤْيا، فَخَطَرَ لِي أَنَّ لَحْنِي فِي

157- إن كثيراً من المصطلحات الإدارية لا تساعد دائماً على ضبط الاختصاصات ومستويات المسؤولية. وبخصوص مصطلح «العامل» يعتقد د. عز الدين موسى أن المقصود به في تنظيمات الموحدين هو «صاحب المخزن في الولاية، ويشرف على أعمال الجباية وصرف مرتبات الموظفين والأعمال العمرانية مالياً [...] وكان العامل يشرف على عمل المشرفين وعمّال النواحي»، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، بيروت، 1991، ص 170-171.

إلا أن لفظة «عامل» يمكن أن تحيل على الأعوان في المصالح الضريبية. وهو موقعهم في التراتبية الإدارية حسب ما يستشف من رسالة ابن عبدون مثلاً عندما يقول : «يجب أن يحد للقباض والعمال أن يحسنوا للناس ولا يخرقوا عليهم ولا يأخذوا أكثر مما رُسم لهم، وأن يتركوا الحيف والطغيان والإجحاف». ويصف ابن عبدون عمل هؤلاء الأعوان بأبشع الأوصاف، ويدعو لوضعهم تحت مراقبة القاضي .«وكذلك تكون رقبة القاضي أيضاً على العمال ويطلع في أمورهم ويردهم على الظلم ما استطاع» (رسالة ابن عبدون، ص، 7 ,6). ومهمتهم المنوطة بهم كتقدير المحاصيل والسومات الكرائية نجدها في العصر الموحدي. فابن سعيد يورد بيتاً شعرياً لأحدهم تغزل في غلام جميل الصورة جاء «يشتكي بأن العمال كتبوا عليه أعشاراً لا يحتملها، وأن زرعه دون ما قدروا»؛ ابن سعيد، المغرب، 313/2. فمصطلح «عامل» يمكن أن ينطبق على موظف سام كما ينطبق على موظف أقل مرتبة. إلا أنه يبقى مرتبطاً بصفة خاصة بمصلحة الضرائب.ويمكننا إعطاء معناً أكثر اتساعاً. فابن عذاري يقدم لائحة للعمال الذين تم عزلهم سنة 579 هـ/ 1184م ومعاقبتهم من طرف الخليفة أبي يعقوب يوسف المنصور، وهي تحشر تحت لفظ «عامل» كلا من المشارفين والخزان، والقاضي وصاحب المدينة والوالي. يقول : «ثم قبض على سائر العمال وكان عددهم ثمانية عشر عاملاً أولهم مشرف فاس المذكور وخازنه على المال... وخازنه أيضاً على الطعام... أيضاً مشرف مكناسة وابن هود عاملها..» (البيان المغرب...م.س. ، 158)

سُورةِ ﴿الحَمْدُ﴾، أنْ خَطر بِبالي أنْ أسْتَعِينَ بالمخلوق، وأنَا أقرأ ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[158]. فَاسْتَغْفَرْتُ اللهَ منْ ذَلِكَ، وَتُبْتُ إليْه، وَفَرَغْتُ إلَيْهِ بِقَلْبي[159]. فَجَاءَ إليَّ العَامِلُ، واعْتَذَرَ مِنْ كَلامِهِ، وَأبْقَى العَرْصَةَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ.

9= أَبُو عَبْدِ اللَّه، مُحَمَّدُ بْنُ يَبْقَى[160]

وَمِنهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّدُ بْنُ يَبْقَى، مُؤدِّبي، رَحِمَهُ اللهُ. كَانَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، مِنْ أهْلِ الدِّينِ وَالفَضْلِ واللِّينِ. يُذْكَرُ أنَّهُ مِمَّنْ نَشَأَ بِعِبادَةِ اللهِ تَعَالَى. وكَانَ قَدْ ألْزَمَ /35/ نَفْسَهُ المَشْيَ فِي قَضاءِ حَوائِجِ النَّاس، أيَّ حَاجَةٍ كَانَتْ، عِنْدَ مَنْ كَانَتْ. وكَانَ إمَاماً لمسْجِدَ عَينِ عَلُّون[161]، ومُؤدِّباً لِلصِّبْيانِ، وَهُوَ شَابٌّ صَغِيرٌ إلَى أنْ تُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللهُ، وقَدْ نَيَّفَ عَلَى السَّبْعِينَ عَاماً.

أخْبَرَني غَيْرُ واحِدٍ منْ جِيراني، عَنِ الشَّيْخِ أبِي الحَسَنِ، عَلِيِّ بْنِ الحَسَنِ بْنُ مَلُّولة الفارسِيِّ[162] -جارِنا- وَأدْرَكْتُهُ أنَا، وَلَمْ أسْمَعْ مِنْهُ ذَلِكَ لصِغَرِ سِنِّي فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، قَالَ :

158- الفاتحة، 4

159- انظر حكاية مشابهة وقعت لأبي مدين مع أبي محمد عبد الحق الإشبيلي الذي كان مقدماً في العلم والحديث والوعظ وله كتاب الأحكام الكبرى والصغرى في الحديث...» فقد طلب أبو مدين من عبد الحق الإشبيلي أن يفسر له الفاتحة «إلى أن بلغ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ثم قال له الشيخ : لو كنت تستعين بالله لما استعنت بالسلطان والوزير»، انظر الصومعي، **كتاب المعزى**... م.س. ص 145

160- انظر : **جذوة الاقتباس**، 214/1 (نقلاً عن المستفاد)

161- عين شهيرة بفاس واقعة أسفل عقبة الشرابليين حالياً، ونسبت العين إلى عبد أسود اسمه علون؛ كان يقطع الطريق بها، فأمر ادريس الثاني بقتله. انظر : **روض القرطاس**، 39؛ **جنى زهرة الآس**، ص 112-113.

162- انظر ترجمة التميمي له (48)

لَمَّا كَانَ وَقْتُ دُخولِ مَدِينَةِ فاس[163]، كُنتُ في داري الَّتِي في الدَّربِ الَّذِي فِيهِ المَسْجِدُ الَّذِي يَؤُمُّ فِيهِ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الله بْنُ يَبْقَى. فَدَخَلَ عَليَّ في الدَّارِ جَماعَةٌ مِمَّنْ يُريدُونَ قَتْلي، فَهَرَبْتُ مِنْهُمْ وخَرَجتُ منَ الدَّار، فتَبِعَني منْهُمْ رِجالٌ، فَدَخلتُ المَسْجِدَ، فإذا بالشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ الله فِي بَيْتِ الصَّلاةِ، مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، قَائِماً يُصَلِّي، فَدَخَلْتُ بَيْنَهُ وبَيْنَ القِبْلَةِ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنِي وبَيْنَ القَوْمِ. فَدَخَلَ القَوْمُ الَّذِينَ جَرَوْا خَلْفِي، فَنَظَروا في المَسْجِدِ، ومَشَوْا مِنْ أَوَّلِهِ إِلى آخِرِهِ، فلَمْ يَرَوْا أَحَداً لا أَنَا ولا الشَّيْخَ. قَالَ : فسَمِعْتُهُمْ وَهُمْ يَقُولونَ : الشَّيْطانُ كَانَ [هُنا]. فَحُجِبَ الشَّيْخُ وَأَنَا عَنْ أَبْصَارِهِم، فَخَرَجُوا مِنَ المَسْجِد. فَلَمَّا انْصَرَفُوا، خَرَجْنا، وعَافَاني /36/ اللهُ من مَعْرِفَتِهِمْ.

أَخْبَرَنِي الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ الله بْنُ يَبْقَى، رَحِمَهُ الله، أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ دخُولِ مَدِينَةَ فاس، حَرسَها اللهُ تَعَالى، خَرجْتُ مِنْ داري مُسْتَعْجِلاً ولَمْ أَجِدْ مِفْتاحَ الدَّارِ. فَخَرَجْتُ منْهَا، ورَدَدْتُ بابَهَا، وقُلْتُ : ﴿ اللهُ خَيْرٌ حِفْظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[164]. وَأَقْبَلْتُ إِلى المَسْجِدِ، وَأَقَمْتُ فِيهِ ذَلِكَ اليَوْمَ إِلى الغَدِ. فَلَمَّا أَمِنَ النَّاسُ، أَتَيْتُ إِلى داري، فَوَجَدتُها عَلى حَالَتِها؛ لَمْ يَدْخُلْها أَحَدٌ، ولَقَدْ كَانَ فِي السَّطحِ أثْوابٌ غُسِلتْ وعُلِّقَتْ، فوَجَدْتُها عَلى حَالِها. وَالحَمْدُ لله عَلى مَا مَنَّ بِهِ مِنَ العَافِيَةِ.

وكَانَ الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ الله، مُحَمَّدُ بْنُ يَبْقى، يَقُولُ الشِّعْرَ في الزُّهْدِ والوَرَعِ والوَعْظِ،

163- فتح الموحدون مدينة فاس في شهر ذي القعدة سنة 540 هـ/ابريل 1146م بعد حصار شديد دام تسعة أشهر. ولم ينجحوا في اقتحامها إلا بعد خيانة مشرفها -المرابطي- عبد الله بن خيار الجياني الذي سلم مفاتيح أحد أبواب المدينة (باب الفتوح) لأحد قواد الموحدين.(البيذق، **أخبار المهدي**، ص 62؛ **البيان المغرب**، 24) أما ابن أبي زرع فيقول أن فتح المدينة لم يتم إلا بعد أن أطلقت عليها مياه النهر الداخل إليها دفعة واحدة بعد تجميعها في ما يشبه السد. فهدمت سور المدينة وهدم من دورها ما يزيد على ألفي دار، وهلك بها خلق كثير وكاد الماء أن يأتي على أكثرها». **القرطاس**، 123

164- سورة يوسف، 64

وَيَنْدُبُ نَفْسَهُ. أَنْشَدَنِي أَبُو زَكَرِيا يَحْيَى ابْنُهُ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي [يَقول][165]، وَأَنا أَظُنُّ أَنَّهُ أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ ذَلِكَ :

[الخفيف]

الْزَمِ الحُزْنَ والبُكا وَالعَوِيلا # وابْكِ يا نَفْسُ ثُمَّ نُوحِي طَوِيلا
أَسَفاً مِنْكِ وانْتِحَاباً عَلَى مَا # أَسْلَفَتْهُ يَدَاكِ فِعْلاً وقِيلا
مِنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ مُوبِقاتٍ # صَيَّرَتْ نَاظِرَ اليَقِينِ كَلِيلا

ولَهُ، رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى، حِكَمٌ ومَوَاعِظُ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : قَرأتُ عَلَيْهِ مِنْ «رِسَالَةِ» /37/ القُشَيْرِيِّ بابَ الفُتُوَّةِ، فَلَمَّا أَكْمَلْتُ البَابَ، قَالَ لِي : يا مُحَمَّدُ ! الفُتُوَّةُ عِنْدِي التَّخَلُّقُ بِكُلِّ خُلُقٍ مَحْمودٍ، والتَّبَرِّي مِنْ كُلِّ خُلُقٍ مَذْمُومٍ. وهَذَا غايَةُ الإِيجَازِ وَالإِيضَاحِ.

10= أَبُو خليل مُفَرِّجُ بْنُ حَسَنٍ المَالَقِيُّ[166]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو خَلِيلٍ مُفَرِّجُ بْنُ حَسَنٍ. كَانَ مِنْ بَنِي تقى[167] مِنْ أَهْلِ مالَقَةَ. اِسْتَوْطَنَ مدينَةَ فَاس، وَلَمْ يزَلْ [مُقيماً][168] بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ، رَحِمَهُ الله. كَانَ زاهِداً مُتَبَتِّلاً صَوَّاماً قَوَّاماً مُنْقَبِضاً عَنِ النَّاسِ، يَسْكُنُ بِجوفِيِّ الجَامِعِ مِنْ عُدْوَةِ القَرَوِيِّينَ، وَيَحْضُرُ الصَّلَاةَ فِي

165- زيادة من جذوة الاقتباس، ص 214

166- انظر : جذوة الاقتباس، 339/1؛ سلوة الأنفاس، ج3، ص 292 (نقلاً عن المستفاد)

167- كذا في الأصل. ولعلها : بقي

168- زيادة من جذوة الاقتباس

الجَامِعِ. فَإذا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ وَلَا يُخَالِطُ أَحَداً. أَقَامَ عَلَى هَذَا أَعْوَاماً كَثِيرةً، وذُكِرَ لِي أَنَّهُ كَانَ مُجابَ الدَّعْوَةِ؛ عُرِفَ ذَلِكَ مِنْهُ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ، قاسمُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ حَجَّاجٍ[169] المُعَلِّم، أَنَّهُ قَالَ لَهُ : ما ضَرَّنِي فِي أَوْلَادِي إِلَّا دُعَاءُ الشَّيْخِ مُفَرِّجٍ، فإنِّي كُنْتُ كَثِيرَ السَّفَرِ، فَقَالَ لِي أَبُو الخَلِيلِ : مَا أَظُنُّكَ تُسَافِرُ إِلَّا لأَجْلِ أَوْلَادِكَ، اللَّهُ يُرِيحُكَ مِنْهُمْ. فمَاتوا بَعْدَ ذَلِكَ[170].

أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ، قَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، صَدِيقُنَا، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الحَسَنِ، عَلِيٌّ الطَّرَّازَ- وكَانَ يخْدُمُ لِلشَّيخِ أَبِي الخَلِيلِ- /38/ أَنَّ رَجُلاً حَلَفَ لَيَزيدَنَّ عَلَيْهِ فِي الحَانُوتِ الَّذِي كَانَ يَسْكُنُهُ. فَلَمَّا كَانَ فِي اليَوْمِ الَّذِي يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِيهِ لِلزِّيَادَةِ، قُلْتُ لِلشَّيخِ أَبِي الخَلِيلِ : إِنَّ فُلاناً حَلَفَ لَيَزيدَنَّ عليَّ فِي الحَانُوتِ الَّذِي أَسْكُنُه، فَقَالَ لِي : اللَّهُ يَرُدُّهُ عَنْكَ. قَالَ : فَلَمَّا اجْتَمَعْتُ بِالرَّجُلِ فِي المَوْضِعِ الَّذِي يَجتَمِعُ النَّاسُ فِيهِ لكِراءِ الرَّبْعِ، سَكَتَ الرَّجُلُ الحَالِفُ وَلَمْ يتَكَلَّمْ بِكلِمَةٍ، وكَفَانِي اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُ بِبَرَكَةِ دُعاءِ الشَّيْخِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ.

11= أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ هِرَاوَةَ[171]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ هِرَاوَةَ، الإِمَامُ وَالمعَلِّمُ لِكِتَابِ اللهِ العَزِيزِ بِمَسْجِدِ

169- في جذوة الاقتباس : سجام

170- انظر : سلوة الأنفاس، 292/3

171- ينقل صاحب جذوة الاقتباس،(الفقرة الأولى ونصف الفقرة الثانية عن المستفاد، ويلخص كرامة غيابه من فاس أيام الحج (ج 468/2)

الرَّواحَة[172] بمدينةِ فاس. رَأيْتُهُ واجْتمَعْتُ به، وكُنْتُ أزُورُهُ بمَوْضعِه، وَأنَا إذْ ذَاكَ صَغيرٌ.

كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِدِّ والاجْتِهَادِ فِي العِبادَةِ، وقِيامِ اللَّيْلِ، وكَانَ يَخْتِمُ القُرْآنَ كُلَّ ليْلَةِ جُمُعَةٍ فِي مَسْجِدِه، وَيَجْتَمِعُ إلَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ جَمَاعةٌ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ. وعُمِّرَ طَويلاً. وكَانَ قَد انْحَنَى ظَهْرُهُ مِنَ الكِبَرِ والاجْتِهَادِ فِي العِبَادَةِ، حَتَّى جَعَلَ فِي مِحْرابِ مَسْجِدِهِ مِسْماراً فِي القِبْلَةِ، وعَلَّقَ فِيهِ حَبْلاً لِيَعْتَدِلَ قَائِماً فِي الصَّلَاةِ.

/39/ أخْبَرَنِي الشَّيْخُ الفَقِيهُ أَبُو عَبْد اللهِ القَصْرِيُّ[173] أنَّهُ كَانَ يَبِيتُ عِنْدَهُ فِي مَسْجِدِهِ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي. قَالَ : فَكُنْتُ إذَا غَلَبَنِي النَّوْمُ، قُمْتُ إِلَى رُكْنِ المَسْجِدِ لأَنَامَ فِيهِ، فَإذا غَفَوْتُ، هُزِزْتُ وقِيلَ لِي : عِنْدَ الشَّيْخِ تَرْقُدُ؟ فُعِل هَذَا بي مِراراً.

واشْتُهِرَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي العَبَّاسِ المذْكُورِ أنَّهُ كَانَ إذَا دَخَلَ العَشْرُ الأوَّلُ من ذي الحجَّة، غابَ مِنَ البَلَدِ، فَيَظُنُّ أَهْلُ فاسَ أنَّهُ مَشَى لِبَلَدِه لِبَنِي تَاوْدا[174]، لأقْرِبَاءٍ لَهُ هُنَاك. فَإذا خَلَتْ أيَّامُ التَّشْرِيقِ، ظَهَرَ بِفَاس. فَكَانَ يُذْكَرُ أنَّهُ يَحُجُّ فِي كُلِّ عامٍ. وكَانَ هَذَا مَشْهوراً فِي البَلَدِ، وَأقْرِبَاؤُهُ، بَنِي تَاودا، لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ قَطُّ فِي تِلْكَ الأيَّامِ. رَحِمَهُ اللهُ.

أخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو حَفْصٍ، عُمَر الجَنَّانُ[175] بمَدِينَةِ الإسْكَنْدَرِيَّة، وكَانَ مِنْ أَهْلِ فَاس، وتَوَجَّهَ لِلمَشْرِقِ لِقَضَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ، [و] اسْتَوْطَنَ الإسْكَنْدَرِيَّة، واجْتَهَدَ فِي العِبَادَةِ، وكَانَ مَعْرُوفاً بِالفَضْلِ هُنَاك. قَالَ : كُنتُ كَثيراً ما أزُورُ الشَّيْخَ أبا الحَسَنِ بْنَ هِرَاوَة، أيَّامَ

172- لعله مسجد زقاق الرواح بفاس الذي ورد ذكره في صلة **الصلة** ،ج 5، ص 296، وفي **الروض العطر**..م.س. ص 310

173- سيترجم له التميمي لاحقاً (رقم 67)

174- تاودا : مدينة تقع على وادي ورغة على الطريق الرابط بين فاس وجبال غمارة. أسسها المرابطون لجعلها مركز انطلاق حملاتهم لقمع ثورات الغماريين وتمرداتهم، وجعلوها مقراً لولاتهم وقوادهم. انظر : **الاستبصار**، ص 190؛ **نزهة المشتاق**، 248-249. الوزان، **وصف افريقيا** م.س.، 1/ص307 (يقول إنها «مدينة قديمة جداً أسسها الأفارقة»، ومعنى تاودا : الرعب والخوف حسب أحمد التوفيق، **التشوف**، ص 273، هامش 69

175- انظر ترجمته لاحقاً (عدد 22)

كَوْنِي بِمَدِينَةِ فاس. فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ يَوْماً فِي دارِهِ، وجَلَسْتُ مَعَهُ أَتحَدَّثُ. فَإِذا بِرَجُلٍ قَدْ دَخَلَ؛ سَمَّاهُ أَبُو حَفْص، فَسَلَّمَ عَلَى الشَّيْخِ، فقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ فَقَالَ : مِنَ الحِجَازِ. فَقَالَ الرَّجُلُ للشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ :/40/ يا سَيِّدِي ! فُلانٌ مِنَ المجاوِرِينَ بِمَكَّةَ، يُبْلِغُكَ السَّلَامَ، ويَقُولُ لَكَ : ما هَذَا الَّذِي ظَهَر منْكَ خِلافَ مَا عُهِدَ مِنْكَ؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَن : ومَا ذَاك ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ الدَّاخِلُ : ذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَكَ فِي الطَّوافِ، فَسَلَّم عَلَيْكَ، فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ. فخَجِلَ الشَّيْخُ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ جواباً.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو الحجَّاجِ، يوسُفُ بْنُ عَلِيّ، صَدِيقُنَا، أَنَّهُ كَانَ جَالِساً عِنْدَ الْفَقِيهِ الفَاضِلِ شَيْخِنا ابْن يَبْقَى، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي المَسْجِدِ الَّذِي كَانَ يؤُمُّ النَّاسَ [فيه]، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فسَلَّمَ عَلَى الشَّيْخِ، فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَقَالَ : مِنَ الْحَجِّ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ أَبُو عَبْد اللهِ : أُدْعُ لَنا، فإنَّ فِي دُعائِكَ بَرَكَةً، وَوَرَدَ فِي ذَلِكَ خَبَرٌ. قَالَ : فَدَعا الرَّجُلُ، وَأَمَّنَّا عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ : كَيْفَ كَانَ سَفَرُكَ؟ ومَا رَأَيْتَ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ الرَّجُل : اجْتَمعْتُ فِي تِلْكَ المواضِعِ الْمُشَرَّفَةِ بِمَكَّة، بِالشَّيْخِ أَبِي الحَسَن بْنِ هِرَاوَة، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وكُنْتُ حَرِيصاً عَلَى أَنْ أَجْتَمِعَ بهِ، وَأَسْأَلُهُ عَنْ أَهْلِي، لَكِنِّي اشْتَغَلْتُ بمَناسِكِ الحَجِّ، وَقُلْتُ : إِذَا تَفَرَّغْتُ أَجْتَمِعُ بِهِ، وَأَسْأَلُهُ. فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ مَنَاسِكِي، طَلَبْتُه فلَمْ أَجِدْهُ. فَقَالَ لَهُ الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ : لَمْ يَحُجُّ الشَّيْخُ وَلا سَافَرَ عَنْ فاس ! لَعَلَّكَ شَبَّهْتَهُ. فَقَال/41/ لَهُ الرَّجُلُ : كَيْفَ يَخْفَى عَلَيَّ وَأَنا سَكَنْتُ مَعَهُ فِي دارٍ واحِدَةٍ الْمُدَّةَ الكَثِيرَةَ، وأعْرِفُهُ مَعْرِفَةً حَقِيقِيَّةً. فَدَعا الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ فَتى كَانَ عِنْدَهُ يسْكُنُ مَعَ أَبِي الحَسَنِ فِي دَارٍ واحِدَةٍ، فَقَالَ لَهُ : هَذَا العامُ الخَالِي، أَيْنَ عَيَّدَ أَبُو الحَسَن عِيدَ الأَضْحَى؟ فَقَالَ لَهُ : بِبَنِي تَاوْدا، خَرَجَ إِلَيْها فِي أَوَّلِ العَشْرِ. فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُ العِيدِ وَصَلَ، فسَأَلَ الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ جَمَاعَةً مِنْ بنِي تاوْدا، عَنْ وُصُولِ [أبي]الحَسَنِ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، فقَالوا لَهُ : مِنْ وَقْتِ فَتْحِ بني تاودا، لَمْ يَدْخُلْها إِلَى الآنَ. فَرفَعَ الشَّيْخُ

أَبُو عَبْدِ اللّه يدَيْه ودَعا أَنْ يَجْعَلَهُ اللّهُ مِنْ رُفَقائه في الآخِرَة. فَتُوُفِّيَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْد اللّه في العامِ الآتي بَعْدَ ذَلِكَ العَامِ. ثُمَّ تُوُفِّيَ أَبُو الحَسَن بعْدَهُ، فَقيلَ أَيْنَ يُدفَنُ؟ فَصَاحَ صَائِحٌ : مَعَ رَفيقه ابْنِ يَبْقى. فدُفِنَ مَعَهُ، رَحِمَهُما اللّهُ ونَفَعَنا بِهِمَا.

وأَحْوالُهُ، رَحِمَهُ اللّهُ، كَانَتْ تَقْتَضِي ذَلِكَ وأَرْفَعَ، وما رَأَيْتُ عَلى مِثْلِ حَالِهِ في هيئَتِهِ لأَحَدٍ مِمَّنْ لَقِيتُ، نَفَعَهُ اللّه تَعَالى بِذَلِكَ ورَحِمَهُ ورزَقَنا بَرَكَتَهُ.

12= أَبُو القاسِمِ، عَبْد الرَّحْمَان المَلاَّح

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو القاسِمِ، عَبْدُ الرَّحْمَانِ الحاجُّ المَلاَّحُ. كَانَ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالى، رَجُلاً سَالِكاً سَبِيلَ مَنْ سَلَفَ مِنَ الصَّالِحِينَ فِي تَقَشُّفِهِ وجَميع أُمُورِهِ، وكَانَ يَبِيعُ المِلْحَ بِالقُرْبِ مِنْ مَنْزِلِ سُكْناهُ /42/ بِالأَرْضِ دُونَ حانُوتٍ.

أَخْبَرَنِي، رَحِمَهُ اللّهُ، أَنَّ رَأْسَ مالِهِ فيمَا يَبِيعُ سِتَّةُ دَرَاهِمَ؛ يُؤَدِّي مِنْهَا الكِراءَ فِي المَوْضِعِ الَّذِي يَسْكُنُهُ مَعَ أَهْلِهِ، وَيُنْفِقُ عَلَى عِيَالِهِ وَعَلى ابْنَةٍ لَهُ، وَيَتَصَدَّقُ. كُلُّ ذَلِكَ من فَضْلِ اللّهِ. ومَع هَذَا فَكَانَ أَنْزَهَ النَّاسِ نَفْساً، صَابِراً عَلَى القِلَّةِ، مُقْبِلاً عَلى ما يَعْنِيه، طيِّبَ النَّفْسِ بِحالِهِ.

كُنتُ مَعَهُ يَوْماً جالِساً بِمَوْضِعِ قُعُودِهِ لِلْبَيْعِ إِذْ أَرْسَلَ فِيهِ بَعْضُ التُّجارِ مِنْ جِيرانِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ، ثُمَّ عَادَ وَمَعَهُ جُمْلَةُ دَراهِمَ، فَقَالَ لِي : هَذَا الرَّجُلُ جَارِي. إِذَا حَضَرَتْهُ زَكاةُ مَالِهِ، دَفَعَهَا إِلَيَّ، ويقُولُ لِي : فَرِّقْها عَلَى مُسْتَحِقِّيها. وكُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الوَقْتِ دَخَلْتُ مَعَهُ إِلى مَنْزِلِهِ، فَرَأَيْتُ ابْنَتَهُ وعَلَيْها دُرَّاعَةٌ خَلَقَةٌ. فَقُلْتُ لَهُ : اشْتَرِ لابْنَتِكَ مِنْ تِلْكَ الدَّراهِمِ دُرَّاعَةً. فَقَالَ لِي : لا أَفْعَلُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ لِي قَطُّ خُذْهَا لِنَفْسِكَ إِنْ احْتَجْتَ، وَلِي مَعَهُ عِدَّةُ أَعْوامٍ

يَدْفَعُ لِي فِي كُلِّ عَامٍ زكاتَهُ أُفَرِّقُها، ولَمْ يَقُلْ لِي خُذْ مِنْهَا. فَأنَا لا أرَى أنْ آخُذَ مِنْها لِنَفْسِي دِرْهَماً وَاحِداً. ثُمَّ أخْرَجَ دَفْتَراً فِيهِ أسْمَاءُ رِجالٍ وَنِسَاءٍ مِمَّنْ يَعْرِفُ مِنْ أهْلِ الحَاجَةِ، فَجَعَلَ يَبْعَثُ فِيهِمْ. فَكُلُّ مَنْ وَصَلَ يَدْفَعُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَا قُدِّرَ لَهُ، حَتَّى نَفِذَتْ تِلْكَ الدَّرَاهِمُ كُلُّهَا. /43/

وَلَقَدْ كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، رَضِيَ بِاليَسِيرِ مَعَ سَلامَةِ الدِّينِ، كَمَا رَضِيَ أحَدُهُمْ بِالكَثِيرِ مَعَ ذَهَابِ أدْيَانِهِمْ.

13= أَبُو حَفْصٍ الهَسْكُورِيّ

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو حَفْصٍ الهَسْكُورِيّ. كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، صَبُوراً عَلَى القِلَّةِ، مَتِينَ الدِّينِ، رافِضاً لِلدُّنْيَا، زَاهِداً فِيها، كَثِيرَ الكَرَامات.

أَخْبَرَنِي غَيرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللهِ التَّاوُدِيِّ [176] أَنَّهُ قَالَ: عُمِلَ فِي دَارِي يوماً مِنَ الأيَّامِ لَحْمٌ عَلَى طعَام، فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيَّ، أَخَذْتُ مِنْهُ فِي إِنَاءٍ وَقُلْتُ لأَهْلِي: نُحَصِّلُهُ لِلشَّيخِ أَبِي حَفْصٍ يَأْكُلُ مِنْهُ. فَلَمَّا وَصَلْتُ بِهِ إِلَى مَوْضِعِهِ الَّذِي كَانَ يَسْكُنُ فِيهِ، وَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وقُلْتُ لَهُ: عُمِلَ هَذَا فِي مَنْزِلِي، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهُ، فَقَالَ لِي: لَقَدْ تَرَاهُ عِنْدِي ومَا قَدَرْتُ عَلَى أكْلِهِ، فَأَوْمَأَ لِي لِنَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَقُمْتُ لِلمَوْضِعِ الَّذِي أَوْمَأَ إِلَيْهِ، فَإِذا بِإِنَاءٍ فِيهِ مِثْلُ الَّذِي جِئْتُ بِهِ، وَهُوَ حارٌّ. فَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ وَانْصَرَفْتُ بِالَّذِي وَصَلْتُ بِهِ، وَنَعْلَمُ قَطْعاً أَنَّهُ لا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئاً ولا يَصْنَعُ لِنَفْسِهِ ذَلِكَ.

176- انظر ترجمته لاحقاً (عدد 55) والهوامش المثبتة هناك

أَخْبَرَنِي التَّاجِرُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الكريم بْنُ [أَبِي] العَبَّاس، أَحْمَدَ بْنِ خالِدٍ أَنَّهُ /44/ قَالَ : مَرَرْتُ بِهِ يَوْماً فِي الْمَسْجِدِ الجَامِعِ بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ، فَإِذا بِالشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ وَحْدَهُ، وكَانَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنَ الزكَاةِ، فَقُلتُ فِي نَفْسِي : لَعَلَّهُ يَأْخُذُها مِنِّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه، وَأَخَذْتُ الدَّراهِمَ وَوَضَعْتُها بَيْنَ يَدَيْه، وَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ مِنْ مَالِ اللَّه، فَخُذْها، فَنَظَرَ إلَيَّ، ثُمَّ مدَّ يَدَهُ وأَخَذَ مِنْهَا دِرْهماً واحِداً، فَعَزَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ، مَرَرْتُ فَوَجَدْتُهُ وَحْدَهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَعَلَّهُ يَأْخُذُ الْيَوْمَ شَيْئاً، فَلَمَّا رَآنِي أَقْبَلْتُ نَحْوَهُ، قَامَ وانْصَرَفَ.

14= أَبُو عَلِيٍّ، مَنْصُورُ ابنُ عَزيزَةَ

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ مَنصُورُ، عُرِفَ بِابْنِ عَزِيزَةَ. كَانَ شَيْخاً مُنْزوياً فِي بَيْتِهِ؛ لا يَخْرُجُ مِنْهُ ولا يَتَعَـرَّفُ، مُشْتغِلاً بِحالِهِ، مُقْبِلاً عَلَى مَا يَعْنيه، غَافِلاً عَمَّا فِيهِ النَّاسُ، صَاحِبَ مُكَاشَفَاتٍ وفِراسَةٍ حَادَّةٍ.

أَخْبَرَنِي الفَقيهُ أَبُو القاسِمِ، عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ : قَالَ لِي بَعْضُ أَصْحابِنا : قُمْ بِنا نَزوروا [كذا] لأبِي عَلِيٍّ، مَنصورِ بْنِ أَبِي عَزيزة. قَالَ : فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى قَرِيبِ دارِه، وكَـانَ بَعْدَ العَـصْرِ، قَـالَ لِـي ذَلِكَ الـرَّجُلُ الَّـذي كَـانَ مَعِـي : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [177]، نَسِيتُ صَلاةَ الظُّهْرِ والعَصْرِ. /45/ قَالَ : فَبَالَ ثُمَّ تَـوَضَّأَ فِي الوَادي الَّذي بِمَقْرُبَةٍ مِنْ دار الشَّيْخِ، ودَخَلَ الْمَسْجِدَ الَّذي بِمَقْرُبَةٍ مِنْ مَنْزِلِ الشَّيْخِ، فَقَضَى صَلاةَ الظُّهْرِ والعَصْرِ، ثُمَّ دَخلْنا عَلَى الشَّيْخِ، وَنَوَيْنَا أَنْ نُصَلِّيَ مَعَهُ صَلاةَ الْمَغْرِبِ، قَالَ : فَوَجَدْنَا فِي

177- سورة البقرة، 155

البَيْتِ مَعَ الشَّيْخِ جَماعَةً، فَقَالَ لِي صَاحِبي : قُمْ نَخْرُجْ نُصَلِّي فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ. فَسَلَّمْنا عَلَى الشَّيْخِ وانْصَرَفْنا. فَلَمَّا قَرُبْنَا مِنْ بابِ الدَّارِ، نَادَى الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ، لِلشَّيْخِ صَاحِبِي، وَقَالَ لَهُ : ما هَذَا الَّذِي تَفْعَلُ ؟ تَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَواتِ وتَبُولُ ولا تَسْتَبْرِىءُ [178] ؟ لا تَعُدْ إِلَى ذَلِكَ، فَتَابَ الرَّجُلُ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ، وانْصَرَفْنَا عَنْهُ.

أَخْبَرَنِي أَبُو القاسِمِ، عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ : كَانَ لِي عَمٌّ فَجَاءَنِي يَوْمَ جُمُعَةٍ فَقَالَ لِي : نُرِيدُ تَمْشي مَعِي إِلَى أَبِي عَلِيٍّ، مَنْصُورِ بْنِ عَزِيزَة، لأَنَّ لِي بِهِ مَعْرِفَةً، ونَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ عَنْهُ : «وَلِيٌّ» ويَقُولُونَ : «أَحْمَقُ». وقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ، قَالَ : فَمَشَيْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ وَسَلَّمْنا، قَالَ لِعَمِّي : أَنَا واللّه أعْرِفُكَ حَقِيقَةَ المَعْرِفَةِ وأَنْتَ مَا جِئْتَ زَائِراً لِي، إِنَّما قُلْتَ : أَرَى إِنْ كَانَ هَذَا أَحْمَقَ أَوْ وَلِيّاً كَمَا يَقولُ النَّاس. فاسْتَحْيَا عَمِّي مِنْ قَوْلِهِ، وَسَلَّمْنا عَلَيْهِ وانْصَرَفْنَا.

178- الاستبراء : استنقاء الذكر عن البول (لسان العرب، مادة برأ)

15= أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الكِنانِيّ [179]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الْفَقِيهُ، أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ[180] الكِنانِيُّ،/46/ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. كَانَ شَيْخاً فَاضِلاً مُقْرِئاً. رَوَى الحَدِيثَ بِالأَنْدَلُسِ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى المَشْرِقِ لِقَضَاءِ فَرِيضَةِ

179- أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني، يُعرف بابن حنين، ولد بقرطبة سنة 476 هـ أو 477 هـ/ 1083-1084م) ونشأ بها، أصله من طليطلة، وسكن مدينة فاس سنة 553 هـ/1158-1159 م (وليس سنة 503 كما في **التكملة**، وفي **الروض العطر**) وتوفي سنة 569 هـ/ 1173-1174م). انظر : ابن عيشون، **الروض العطر**، م.س. ص 228- 230-؛ ويسميه ابن القاضي : الكتامي (**جذوة الاقتباس**، 480/2،) وتبعه في ذلك د. محمد بن شريفة («**حول كتاب المستفاد**»، مجلة **دعوة الحق**،العدد 259، 1986، ص 29 و 30) والكتاني (**سلوة الأنفاس**، 349/1) وعلى الرغم من علامة التشديد الواضحة فوق تاء الكتّاني (وليس الكتامي) مرتين في الأصل المخطوط من كتاب **المستفاد**، فإننا نرجح أن يكون الأمر لا يتعلق بالكتّاني وإنما بالكناني، كما ورد ذلك في **التكملة** لابن الأبار، عدد 1865، وفي **الذيل والتكملة**، س 5/ رقم 310 ص 150؛ وفي **الروض العطر الأنفاس**، 228. وفي الطبعة الحجرية من **جذوة الاقتباس**، ص 304 ويبدو من معطيات ترجمة ابن عيشون لعلي بن أحمد الكناني أن الأمر يتعلق بنفس الشخصية التي يترجم لها التميمي كما يتبين من التعليقات الآتية. وانظر كذلك : **صلة الصلة**، القسم الرابع، ص 108 .**سلوة الأنفاس**، ج1/ ص 349-350(يصفه بالصوفي الكامل، الولي الصالح)؛ أشار إليه الشيخ المدرع، في **منظومته في صلحاء فاس** (ورقة 45) بقوله :

وسيدي حنين ما أحنه # أعظِم به شيخاً جزيل المنه

بداره دُفن بالصباح # مشتهر العلوم والصلاح

وبين بني حنين الكنانيين «بيت علم وصلاح وثروة» حسب صاحب **زهر الآس**، 387/1

180- أحمد بن أبي بكر الكناني، والد المترجم له، له ترجمة في **التكملة**، ج1، عدد 104، ص 37

الحَجّ[181]، فالْتَقى بالإمامِ أَبِي حامدٍ الغَزاليِّ بِمَكّة[182]، سَمِعْتُهُ يَذكُرُ ذلِكَ. ولَقِيَ بِمَكّةَ وَبَيْتِ المَقْدسِ عُلَماءَ مُنْقَطِعِينَ. وكَانَ يُعلِّمُ القُرآنَ بِالمَسْجِدِ المعْروفِ بابْنِ حنين[183]، لَهُ عِبَادَةٌ واجْتِهادٌ.

أَخْبَرَنِي الفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ، قاسِمِ بْنُ مُحَمَّدٍ القُضَاعِي[184]، قَالَ: أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ الّلهِ، مُحَمَّدُ بْنُ يَبْقَى[185]، عَنِ الفَقِيهِ أَبِي الحَسَنِ الكِنانِي، أَنَّهُ يخْتِمُ القُرآنَ في

181- حج ثلاث حجات، أولاهن في موسم خمسمائة (**الروض العطر**، ص 228؛ **الذيل والتكملة**، ق5/151)

182- يعتبر الكناني من أوائل الذين التقوا الغزالي ورووا عنه، ربما سنة 503 هـ أو نحوها. فقد «صحبه وسمع منه أكثر الموطأ رواية ابن بكير وجملة من وعظه وكلامه وفوائده» (**الروض العطر**، ص 228)، انظر كذلك: محمد المنوني «إحياء علوم الدين في منظور الغرب الإسلامي أيام المرابطين والموحدين»، ضمن كتاب: «**حضارة الموحدين**، دار تبقال للنشر، 1989، ص 192. ولقد ترك لنا الكناني بيتين شعريين في مدح كتب الإمام أبي حامد الغزالي يقول:

حَبَّر العلمَ إمامٌ // أحسنَ الله خلاصَهْ

ببسيطٍ ووسيطٍ // ووجيزٍ وخُلاصـــه

انظر: **الذيل والتكملة**، س 5/ ص 153.

183- لقد عرف علي الكناني بابن حَنين «لتجديده مسجداً منسوباً لابن حنين والتزامه الامامة به والتدريس فيه... ستاً وستين سنة» إلى أن توفي (انظر: **الذيل والتكملة**، س 5/ص 150-152؛ وفي **الروض العطر** نقلاً عن ابن ليون في «**اختصار شعب الإيمان** للشيخ عبد الجليل القصري أنه حُنَيّن بالتصغير. **الروض العطر**، 229؛ **سلوة الأنفاس**، ج1/ ص 349-350

184-قاسم بن محمد بن عبد الله القضاعي، خطيب جامع القرويين، وكان حياً بعد السبعين والخمسمائة. ترجمته في **جذوة الاقتباس**...م.س. ص 512

185- سبقت ترجمته (رقم 9)

الْيَوْمِ واللَّيلةِ دائِماً[186]، نَفعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ[187].

آخِرُ الجُزْءِ الثَّاني، يَتْلُوهُ فِي الثَّالِثِ :
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحيمِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلانا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

16= مَنَغْفَاد[188]

وَمِنْهُمْ مَنَغْفَاد: فَتَى حَدِيثُ السِّنِّ. سَمِعْتُ المُؤَذِّنَ عَبْدَ الرَّحْمَانِ بْنَ عَفَّانَ يقُولُ : بِتُّ لَيْلَةً فِي الجَامعِ. فَلَمَّا صَلَّى النَّاسُ العَتَمَةَ، وَأُغْلِقَتِ الأَبْوابُ، وَأُخْرِجَ مَنْ فِي الجَامِعِ، مَشَيْتُ أُفَتِّشُ مَنْ بَقِيَ فِي الجامِعِ، فَإِذا بِشَخْصٍ خَلْفَ الصَّوْمَعةِ مِنْ جِهةِ الجَوْفِ[189] قَائِمٌ يُصَلِّي. فَأَتَيْتُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَرَ أَحَداً. فَلَمَّا بَعُدْتُ عَنْهُ، الْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذا هُوَ فِي مَوْضِعِهِ. فَأَتَيْتُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَرَهُ، فَفَعَلْتُ /47/ هَذَا مراتٍ. ثُمَّ قَرُبْتُ إِلَيْهِ، فَأَوْجَزَ[190] فِي الصَّلَاةِ.

186- توفي الكتاني بفاس سنة 569 هـ.«واحتفل الناس لشهود جنازته وأتبعوه ثناء حسناً وذكراً جميلاً، وتهافتت العامة على نعشه وقبره متبركين بهما»، الذيل والتكملة، س 5/152-153؛ الروض العطر، 229

187- في معرض تحقيق تاريخ وفاة الكتاني، ورد في كتاب «الذيل والتكملة» ما يفيد بنقل وقع عن «المستفاد» دون تصريح بذلك. انظر ص 153، الفقرة الثانية، سطر 5-6

188- جذوة الاقتباس، 1/ 335-336(نقلاً عن التميمي) ومنغفاد كلمة مركبة من مَنْغْ ومعناه : قاتل، ومن فاد ومعناه : العطش حسب ذ. أحمد التوفيق، (التشوف، ص 440، هامش 379)

189- الجوف : الشمال

190- في جذوة الاقتباس : فإذا هو في الصلاة

فَنَاداني، فَأَتَيْتُ[191] إِلَيْهِ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَسَلَّم عَلَيَّ، فَقَالَ : تُخْرِجُونَ النَّاسَ مِنَ الجَامِعِ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَا فِيهِ سَارِيَةٌ إِلَّا ومَعَها مُصَلٍّ، إِمَّا إِنسِيٌّ وإِمَّا جِنِّيٌّ. فَقُلْتُ : أُدْعُ اللَّهَ لِي، فَدَعا بِدُعاءٍ مَا سَمِعتُهُ مِنْ أَحَدٍ قَبلَهُ. قَالَ : وكَانَ مَعِي شَيْءٌ مِنْ زَبِيبٍ فَأَخْرَجْتُهُ وَجَعَلْتُهُ بَينَ يَدَيْهِ، فَقَالَ : ما هَذا ؟ فَقُلْتُ لَهُ : زَبِيبٌ. فَقَالَ لِي : إِنْ شِئْتَ كُلْ. فقُلْتُ لَهُ : كُلْ مِنْهُ.فَقَالَ : مَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَكُل، فَأَكَلْتُ، ثُمَّ قَالَ لِي : إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مُسَافِرٌ فِي غَدٍ وَلَكِنْ أُوصِيكَ بِصَبِيٍّ صَغِيرٍ يَكُونُ فِي رَحْبَةِ الحُوتِ، فإذا لَقِيتَهُ فَقُلْ لَهُ يدْعُو لَكَ. قَالَ : فَلَمَّا أَصْبَحْتُ شَيَّعْتُهُ، ومَشَى نَحْوَ الرِّيفِ[192]. فَلَمَّا رَجَعْتُ مِنْ تَشْيِيعِهِ مَرَرْتُ بِرَحْبَةِ الحُوتِ فَإِذا بِصَبِيٍّ نَظِيفٍ عَلَيْهِ دُرَّاعَةٌ زَرْقاءُ مُرقَّعَةٌ بِخِرَقِ صُوفٍ[193]، فاشْتَرَيْتُ حُوتاً وَأَشَرْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَحْمِلَهُ، فَبَادَر، فَلَمَّا أَوْصَلَهُ إِلَى المَنْزِلِ، قُلْتُ لَهُ : تَأْكُلُ شَيْئاً ؟ قَالَ : نَعَمْ، فَأَطْعَمْتُهُ ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنِ اسْمِهِ، فَقَالَ : مُحَمَّدٌ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيَّ اللَّيْلِ حَتَّى يَأْكُلَ مِنَ الحُوتِ. فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ. فَلَمَّا جَاءَ وَأَكَلَ، سَأَلْتُهُ فِي الدُّعَاءِ، فَقَالَ لِي : مَنَغْفَادُ حَجَبَ نَفْسَهُ عَنْكَ بِي، قُلْتُ : مَنْ مَنَغْفَادُ ؟ فَقَالَ لِي : الَّذِي اجْتَمَعْتَ بِهِ بِاللَّيْلِ فِي الجَامِعِ، /48/ بَدَلٌ مِنَ الأَبْدَالِ أَخْفَى نَفْسَهُ عَنْكَ. ثُمَّ ودَّعَنِي ذَلِكَ الصَّبِيُّ وانْصَرَفَ، وافْتَقَدْتُهُ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ مَرَاتٍ فَلَمْ أَجِدْهُ.

191- في جلوة الاقتباس : فأقبلت

192- الريف : مصطلح يقترن عموماً بالبادية ويطلق على المجالات التي تخرج عن نطاق الحواضر. ويشمل بالمعنى الجغرافي مجمل المناطق الممتدة في شكل سلاسل جبلية على طول الشريط الساحلي بشمال المغرب الأقصى. وهناك من الباحثين من يرجع أصول مصطلح بلاد الريف إلى منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد. ويميز على المستوى الاجتماعي والتاريخي ما بين «بلاد الريف» حيث مجال القبائل المتفرعة عن الأصول النفزية، و«بلاد جبالة وغمارة» الممتدة على المرتفعات الغربية والمتأصلة في البطون الصنهاجية والمصمودية. د. أحمد الطاهري، مادة : «الريف»، معلمة المغرب، العدد 13، سلا، 2001، ص 4535-4536

193- في جلوة الاقتباس : بخز وصوف

17= أَبُو مُحَمَّد، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَلّى

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ بْنُ مُعَلَّى. كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ والعَفَافِ، مُنْقَبِضاً عَنِ النَّاسِ، صَاحِبَ كَرَامَاتٍ ومُكاشفاتٍ.

صَحِبَهُ ابنُ العَجوزِ [194] وَبِهِ تَخَرَّجَ، وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى الحَجِّ حَتَّى وَصَلَ مَعَهُ إِلَى بِجَايَةَ، وَوَجدَ مَرْكَباً يُسافِرُ إِلَى مَدِينَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ. فَعَزَمَا عَلَى الرُكُوبِ فِيهِ. فَرَأَى أَبُو مُحَمَّدٍ فِي المَنامِ قَائِلاً يَقُولُ لَهُ : هَذَا المَرْكَبُ الَّذِي عَوَّلْتَ عَلَى الرُكُوبِ فِيهِ لا يَصِلُ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ؛ يَعْطبُ. وَأَنْتَ، مَا هَذَا وَقْتُ حَجِّكَ، ما تحجُّ حَتَّى تُتَوَفَّى وَالدَتُكَ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ : فَقَعَدْنَا عَنِ الرُكوبِ فِي ذَلِكَ المركبِ، وَأَقْلَعَ المركبُ، فَعَطِبَ فِي الطَّرِيقِ، قَالَ : فَرَجَعْنا. فَلَمَّا وَصَلْنا إِلَى مَدِينَةِ تِلِمْسانَ، وَخَرجْنا مِنْهَا نَزَلْنا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ [195] عَلَى وادٍ كَثِيرِ شَجَرِ البَطمِ [196] عَلَيْهِ. فَمَشَيْتُ حَتَّى بَعُدْتُ عَنِ القَافلةِ، فَإِذا بِشَجَرَةٍ عَالِيَةٍ عَلَى الوَادي المَذكورِ، ولَها فِناءٌ. فَقَعَدْتُ فِي الظِّلِّ، فَإِذا بِرَجلٍ أَسْمَرِ اللّونِ، عَلَيْهِ مُرَقَّعَةٌ، وفِي عُنُقِهِ مِخْلاةٌ مِنْ عَزفٍ، وفِيها كَرَارِيسُ، /49/ قَدْ أَقْبَلَ مِنَ الصَّحْراءِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا رَجُلٌ تَائِهٌ، وَأَظُنُّهُ جَائِعاً عَطْشان. فَجَاءَ إِلَى فِناءِ الشَّجَرَةِ، فَنَزَلَ تحْتَها، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، وَقَالَ لِي : يا عَبْدَ اللّهِ بْنَ مُعَلّى ! مَا أَنَا بِجَائِعٍ ولا

194- هو أبو القاسم عبد الرحمان بن عاش بالله المعروف بابن العجوز المتوفى سنة 547 هـ./1152م ترجم له التميمي في المستفاد وأورد له كرامات مرتبطة بالسفر، انظر ترجمته في جلوة الاقتباس نقلاً عن المستفاد، ص 392، وفي سلوة الأنفاس، 207/3، أو في الملحق

195- هكذا أورد التميمي هذه العبارة مرتين (انظر ص 13)

196- البُطم : بالفرنسية Térébinthe «من جنس الشجر العظام ومن نوع الضَّرو، ويسمى شجرة الحبة الخضراء، له ورق كورق الفستق وحبه كحبِّه وعليه قِشر رقيقة فيه عطرية كثيرة الدهنية» الغساني، حديقة الأزهار...م.س. ص 61-62؛ وذكر من خواصه أنه «مدر للبول، محرِّك للجماع». ويذكر ابن عرضون أنه من المواد المكثرة للمني. (انظر : مقنع المحتاج في آداب الزواج، مخ. خ. ع. الرباط، رقم ك 1026، ورقة 255؛ ضياء النبراس...م.س. ص 31

عَطْشانَ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ : فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قَالَ لِي : مِنْ تُونُسَ، وَلِي خَمْسَةَ عَشَرَ عاماً أَسِيحُ فِي الأَرْضِ. فَقُلْتُ : أُدْعُ اللَّهَ لِي، فَدَعا بِثَلاثِ دَعَواتٍ، واحِدُها : (كَفَاكَ اللَّهُ مَنْ يُؤْذِيكَ). فَلَمَّا وَصَلْنا مَدِينَةَ تِلِمْسانَ، دَخَلْنَا الحَمَّامَ. فَبَيْنَمَا أَنَا فِي الحَمَّامِ مَعَ جَماعَةٍ، إِذْ أُغْلِقَ بَابُهُ، وَأُخْرِجَ جَميعُ مَنْ فِيهِ، وَضُرِبَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ بِالسَّوْطِ. فَلَمَّا وَصَلَتِ النَّوْبَةُ إِلَيَّ، قَالَ الَّذِي تَوَلَّى أَمْرَهُم : أَطْلِقُوا هَذَا. وَعَافَانِي اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ بِدُعاءِ ذَلِكَ الرَّجُلِ.

أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ أَبُو الحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَلَّى. قَالَ : كُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُرِيَنِي أَحَدَ الأَبْدَالِ قَالَ : فَخَرَجْتُ يَوْماً لِلمَسْجِدِ الَّذِي بِإِزَاءِ عَيْنِ إِيصْلِيتَنْ مِنْ مَدِينَةِ فاس، فِي السَّحَرِ. وَأَقَمْتُ حَتَّى صَلَّيْتُ الصُّبْحَ وانْصَرَفَ النَّاسُ. وَأَقَمْتُ فِي المَسْجِدِ حَتَّى تَعَالَى النَّهارُ. فَإِذا بِشَيْخٍ قَاعِدٍ فِي زَاوِيَةِ المَسْجِدِ. فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ مِنَ الأَبْدَالِ، وَأَنَّ اسْمَهُ يُوسُفُ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يا عَمِّي يُوسُفَ. فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُعلَّى، فَقُلْتُ لَهُ /50/: مَنْ عَرَّفَكَ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعلَّى؟ قَالَ : الَّذِي عَرَّفَكَ أَنِّي يوسُفُ، فَقُلْتُ لَهُ : أُدْعُ اللَّهَ لِي. فَقَالَ لِي : «إِيَّاكَ وَالشُّهْرَةَ»، ثُمَّ غابَ عَنِّي. فَبَقِيتُ أَعْواماً لَمْ أَرَهْ. ثُمَّ الْتَقَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي جَامِعِ زَوَاغَةَ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي : «إِيَّاكَ وَالشُّهْرَةَ»، وَانْصَرَفَ[197].

سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبا مُحَمَّدٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الشَّيْخِ الفَقِيهِ أَبِي مرْوانَ، عَبْدِ المَلِكِ بْنِ نَمَوِي، يقولُ : كُنْتُ مَعَهُ بِجَامِعِ القَرَوِيِّينَ جَالِساً، إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْنَا رَجُلٌ. فَلَمَّا رَآهُ مِنْ بَعِيدٍ قَالَ لِي : إِلَيْكَ جَاءَ، قُمْ إِلَيْهِ، لا يَجْلِسُ مَعِي لأَجْلِكَ، فإِنَّهُ قَتَلَ نَفْساً مُؤْمِنَةً بِغيرِ حَقٍّ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَجَلَسْتُ مَعَهُ قَرِيباً مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، وَتَحَدَّثَ مَعي فِي حَاجَتِهِ وانْصَرَفَ. قَالَ الفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّد بْنُ نَموي : فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ، وعَنِ الَّذِي ذُكِرَ فِيهِ أَبُو مُحَمَّدٍ، فَوَجَدْتُهُ

197- انظر كرامة مماثلة في تركيبها وردت على لسان عبد الله بن معلى نفسه في ترجمة محمد الجزولي (ترجمة 100)

صَحيحاً.

أَخْبَرَني الشَّيخُ أَبُو إِسْحَاقَ إبْراهيمُ، عُرفَ بِابْنِ الصَّبَّاغِ المَكْناسيِّ، قَالَ : أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ مُعلَّى، قَالَ : لَمَّا كُنْتُ بمدينةِ الرَّسُولِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلام، فَأَتَيْتُ لَيْلَةً لِلمَسْجِدِ، وَفي ظَرفِي قَليلٌ مِنْ تمرٍ. ثُمَّ قُلْتُ : آكُلُهُ. فَلَمَّا صَلَّى النَّاسُ العِشاءَ الآخِرةَ، انْصَرَفُوا وَأُخْرِجَ مَنْ فِي المَسْجِدِ؛ وَاتَّفَقَ أَنَّ القَوْمَ لَمْ يرَوْنِي. فَلَمَّا خَلَا المَسْجِدُ فَتَحْتُ ظَرْفِي، وجَعَلْتُ آكلُ. /51/ فَإذا بِرَجلٍ يمْشِي فِي المَسْجِدِ. فَدَعَوْتُهُ لِيَأْكُلَ مَعِي فَأَبَى، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ثَانِيَةً فَامْتَنَعَ. قَالَ : فَسَمِعْتُ نَفَضاً فِي السَّقفِ، ثُمَّ وَقَعَ شَيْءٌ فِي حِجْرِهِ. قَالَ : فقُمْتُ إِلَيْهِ، وقُلتُ لَهُ : ما هَذَا الَّذي وَقَعَ فِي حِجْرِكَ؟ فَقَالَ لِي : وَرَأَيْتَهُ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ. فَقَالَ لِي : أَنَا لا آكُلُ مِنْ يَدِ مَخْلُوقٍ شَيْئاً. فَإِذا خَطَرَ بِبالِي شَيْءٌ جاءَني بِمَا أشْتَريهِ. فَلَمَّا دَعَوتَني لآكُلَ التَّمْرَ، لَمْ تَكنْ لِي فيهِ شَهْوَةٌ. فَلَمَّا أَعَدْتَ عَلَيَّ، خَطَرَ بِبَالِي شَهْوَةُ التَّمْرِ. فَكَانَ مَا رَأَيْتَ. فَإذا الَّذي وَقَعَ فِي حِجْرِهِ رُبَاعِيٌّ ذَهَبٍ[198].

أَخْبرنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ ابْنُ الفَقيهِ الحَاجِّ أَبِي مَروانَ، عَبْدِ المَلِكِ بْنِ نموي، أَنَّهُ كَانَ لأبي مُحَمَّدٍ، عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعلى، صَاحِبٌ يُسَمَّى بِحَجَّاجٍ. فَضَرَبَتْهُ سِكِّينٌ فِي عَيْنِهِ الوَاحِدةِ. وكَانَ الحَكيمُ ابْنُ عَمَّارٍ[199] يُعالِجُها. فَقَالَ لَهُ الحَكيمُ ابْنُ عَمَّار: لا تُسْرِفْ فِي عِلاجِ عَيْنِكَ، فَقَدْ فَسَدَتْ ولا تَنْتَفِعُ بِها، قَالَ حَجَّاجٌ : فَانْصَرفْتُ عَنْهُ وَأَنَا بَاكٍ عَلَى فَقْدِ عَيْني، فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْ مَسْجِدِ ابْنِ مَحْمُودٍ -وَهُو بالقُرْبِ مِنْ حَانوتِ ابْنِ عَمَّارٍ- لَقيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُعَلى، فَسَأَلَنِي عَنْ حَالي. فَأَعْلَمْتُهُ بِمَا ذَكَرَ الحَكيمُ ابْنُ عَمَّار، فَقَالَ

198-أي ربع الدينار الموحدي الذي كان وزنه حوالي 21 حبة أي 1,213 غراماً. انظر : «تدقيقات حول المسكوكات الموحدية» ضمن كتابنا الغرب الاسلامي...م.س.، ص 93-100

199- لم أقف له على ترجمة، وقد ورد ذكر طبيب آخر بفاس يسمى ابن افلاطون (التشوف، ص 269) وهو موضوع كرامة تدور -مثلها مثل الكرامة التي يوردها التميمي للحكيم ابن عمار - حول فشل الطب في معالجة الأمراض المستعصية في مقابل نجاعة الاستشفاء ببركة الولي.

لِي : اطْلعْ بنا إلى المَسْجِدِ حتّى نَنْظرَ عيْنكَ، قَالَ : فَصَعَدْتُ إلى المَسْجِدِ، فَأَخَذَ عَيْني فَفَتَحَها، ونَظَرَ /52/ إليْها، ورَقاهَا، ودَعا لِي، وقَالَ : أرْجو أنْ يُعافيَكَ اللّهُ. فَانْصَرَفْتُ وَأنا مَسْرورٌ بدُعائِهِ. ولَكنْ غَلَبَ عَلَيَّ قَوْلُ الحَكيمِ ابْنِ عمّار، فَأَتَيْتُ مَنْزِلي، وَأعْلَمْتُ أهْلِي بِقَوْلِ الحكيمِ، وبَكَيتُ وبَكَى مَنْ مَعِي مِنَ الأهْلِ، وارْتَفَعَ عَنِّي الوَجَعُ الّذي كُنْتُ أجِدُه. ولَكِنْ بَقَيتُ خَائِفاً مِنْ قَوْلِ الحَكيمِ. فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ قَالَ لِي بَعْضُ أهْلي : أرِنِي نَرى عَيْنَك[200]. فَفَتَحْتُها، فَأبْصَرْتُ البَيْتَ وَأبْصَرْتُ أهْلي، فَقُلْتُ لَهُمْ : نَرى كَذا وكَذا، وَأعْلَمتُهمْ بدُعاءِ الشَّيْخِ أبِي مُحَمَّدٍ. فَفَرِحَ أهْلي بِذَلِكَ وَأصْبَحْتُ وَقَدْ أبْصَرْتُ. فَمَشَيتُ إلى الحَكيمِ فَأعْلَمْتُهُ بِحَالي، فَأخَذَ عَيْني فَفَتَحَها فَقَالَ لي : هَذَا شَيءٌ أحْزَرُ[201]، لعَيْنُكَ صَحيحَة، وَالحَمْدُ لِلّهِ. وَعافاني اللّهُ بِبَرَكَةِ دُعاءِ الشَّيْخِ أبِي مُحَمَّدٍ، رَحِمَهُ اللّه. قَالَ الفَقيهُ أبُو مُحَمَّدٍ : وَحَدَّثَنِي بِذَلِكَ حَجّاجُ المذْكورُ.

أخْبَرَني أبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللّهِ، عَنِ الشَّيْخِ أبِي مُحَمَّدٍ، عبَّادِ بْنِ المعلّم، وكَانَتْ أخْتُهُ عِنْدَ أبِي مُحَمَّدِ بْنِ مُعَلّى، أنَّهُ قَالَ : أهْدِيَ لِي قَدَحٌ مِلْءٌ مِنْ رائِبٍ. وكَانَ عِنْدي عَبْدُ اللّه بْنُ مُعَلّى، وكَانَ صَائِماً، وكُنتُ كَذَلِكَ. فَنَوَيْتُ أنْ أفْطِرَ أنَا وَهُوَ عَلَيْهِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الإفْطارِ، غَابَ أبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللّهِ. فَقُلْتُ لأهْلي : أيْنَ القَدَحُ؟ فَقَدَّمَتْهُ لِي، فَأخَذْتُ الملْعَقَةَ، وأرَدْتُ أنْ آكُلَ مِنَ الرائِبِ. فَوَجَدتُهُ /53/ كَأنَّهُ صُبِغَ بالنِّيلِ، أسْوَدَ. فَقُلْتُ لأهْلي : مَا لِهذا الرائِبِ! ومَا الّذي غَيَّرهُ؟ فَلَمَّا نَظَرَتْ إلَيْهِ قَالَتْ لِي : لَعَلَّكَ نَوَيْتَ أنْ تَأكُلَهُ مَعَ غَيْرِكَ؛ وكَانَتْ فَاضِلَةً. فَقُلْتُ لها : نَوَيْتُ أنْ أفْطِرَ عَلَيْهِ أنَا وابْنُ مُعلّى، فَقَالتْ لِي : هَذَا الّذِي غَيَّرَهُ. فَرَفَعَتْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ. ثُمَّ أقْبَلَ أبُو مُحَمَّدٍ بْنُ مُعَلّى وقَالَ : أيْنَ الرائِبُ ؟ فَأخْرَجَتْهُ وَقَدَّمَتْهُ. فَإِذا هُوَ كَمَا كَانَ في أوَّلِ مَرَّةٍ، فَأفْطَرْنا عَلَيْهِ.

أخْبَرَني الشَّيْخُ أبُو إسْحَاق، إبْرَاهيمُ ابْنُ الصَّبَّاغِ قَالَ : أخْبَرَني مُحَمَّدُ بْنُ مُعَلّى، أنَّهُ

200- هكذا في الأصل، وواضح أنها عبارة عامية

201- في الأصل : أخزر. والحزر : الموضع الحصين (لسان العرب : مادة حرز)

إِذَا خَرجَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ، عَلَيْهِ السَّلَام، إِلَى مَكَّةَ، صَحِبَهُ رجُلٌ فِي الطَّرِيقِ مُدَّةً مِنْ سَبْعَةِ أَيَّامٍ لَمْ نَرَهُ يَأْكُلُ شَيْئاً. وكُنْتُ أَعْرِضُ عَلَيْهِ الطَّعَامَ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَيَأْبَى مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، قَالَ لِي : يا عَبْدَ اللهِ! إِنَّمَا مَشَيْتُ مَعَكَ هَذِهِ الأَيَّامَ مُشَيِّعاً، فَقُلتُ لَهُ : مَنْ أَنتَ؟ قَالَ : أَنَا مِنَ السَّبْعَةِ الأَبْدَالِ[202]. فَقُلتُ لَهُ : وأَيْنَ مُسْتَقَرُّكُمْ؟ فَقَالَ لِي : ما نَجْتَمِعُ إِلَّا فِي الموْسِمِ، وإِنَّمَا نَحْنُ نَتَفَرَّقُ فِي البِلادِ. وَأَكْثَرُ أَوْقَاتِي بِمَكَّةَ، مَرَّةً بِمَكَّةَ، ومَرَةً بالمَدِينَةِ، ومَرَّةً بِبَيتِ المقْدِسِ، مَا نَسْتَقِرُّ بِمَوْضِعٍ.

وأَخْبارُ هَذَا الشَّيْخِ كثِيرةٌ[203]. ولَوْلا مَا شَرَطْتُ [مِنَ] الإيجَازِ والاخْتِصَارِ لأَوْعَبْتُ القَوْلَ مِنْهُ، وفِيما ذُكِرَ مَقْنَعٌ[204].

202- الأبدال : لفظ مشترك يطلق عادة على الجماعة الذين بدلوا الصفات الحميمة بصفات ذميمة، ويطلق تارة على عدد معين يبلغ أربعين عند البعض، وسبعة عند البعض الآخر. يحفظ الله بالأبدال الأقاليم السبعة، لكل بدل إقليم فيه ولايته، «سموا أبدالاً لكونهم إذا فارقوا موضعاً يريدون أن يخلفوا بدلاً منهم في ذلك الموضع لأمر يرونه مصلحة وقربة، يتركون به شخصاً على صورته، لا يشك أحد ممن أدرك رؤية ذلك الشخص أنه عين ذلك الرجل، وليس هو في الحقيقة بل هو شخص روحاني يتركه بدله بالقصد على علم منه، فكل من له هذه القوة فهو البدل». ابن عربي، **الفتوحات المكية**، 2/7، 3/519-521؛ 11/ص 280-282

203- وردت بعض أخباره في ترجمة الشيخ محمد الجزولي نقلاً عن المستفاد .(جلوة الاقتباس، ص 217(أو الملحق)،

204- المقنع : العدل من الشهود، يقال : فلان شاهد مَقْنَعٌ أي رضا يُقنع به (لسان العرب، مادة : قنع)

18= أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيٌّ اللَّواتِيّ [205]

/54/ وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الحَاجُّ، أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ حَسُّونَ اللَّواتِيُّ. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَنَفَع بِهِ. كَانَ شَيْخاً فَاضِلاً صاحِبَ كَرَامَاتٍ؛ ظَهَرَتْ لَهُ إجَابَةٌ فِي الدُّعَاءِ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الفَقِيهُ، أَبُو عَلِيٍّ، عُمَرُ ابْنُ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ النَّفْزَاوِيُّ، أَنَّهُ ضَاعَتْ لَهُ دابَّةٌ، وأَنَّهُ اجْتَمَعَ بِهِ فِي الجامِعِ، وذَكَرَ لَهُ أَمْرَ الدَّابَّةِ، وَسَأَلَهُ فِي الدُّعَاءِ؛ فَدَعَا. ثُمَّ قَالَ لَهُ : ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ تجِدْ دابَّتَكَ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : فَرَجَعْتُ إِلَى الْمَنْزِلِ، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ الْمَنْزِلِ، وَإِذا بِصَبِيٍّ راكِبٍ عَلَى الدَّابَّةِ، فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَعْطاكَ إِيَّاها؟ فَنَزَلَ عَنْهَا وتَرَكَهَا.

أَخْبَرَنِي أَبُو عَلِيّ، عُمَرُ المذكورُ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ، وَقَالَ لَهُ : يا وَلَدِي! إِذَا كُنْتَ فِي جَماعَةٍ، وَدَعَوْتَ اللَّهَ، اعْرِفْ مَنْ يَكُونُ فِي الجَماعَةِ وَلِيّاً لِلَّهِ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : فَصِرتُ مَعَهُ يَوْماً فِي دَارِ بَعْضِ الأَصْحابِ عَلَى الطَّعامِ. فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ ذَلِكَ، أَخَذَ يَدْعُو، وَأَنَا فِي زَاوِيَةِ البَيْتِ مَعَ رجُلٍ غَريبٍ. فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ يَنْظُرُ إليَّ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الدُّعَاءِ، وانْصَرَفْنا، [قلتُ لَهُ]: رَأَيْتُكَ تَنْظُرُ إلَيَّ، فَقَالَ لِي : مَنْ يَكُونُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ بِجانِبِكَ؟ قُلْتُ لَهُ : هُوَ مُؤَدِّبٌ، فَقَالَ لِي : هُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِهِ عِمامَةً، وكَذَلِكَ عَوَّدَنِي اللَّهُ أَنْ أرى عَلَى رَأْسِ كُلِّ صَالِحٍ عِمَامَةً أَعْرِفُهُ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ.

205- في جذوة الاقتباس ترجمة لعلي بن الحسين بن علي بن الحسين اللواتي، من أهل فاس ولد سنة 479 هـ / 1086م «وكان فقيها حافظا مشاورا مفتيا فارضا متقدما في عقد الشروط عدلا فاضلا». راجع: جذوة الاقتباس، 2/466-467 وفيها أن وفاته كانت سنة 593هـ/1196م) وفي الطبعة الحجرية (ص296) من جذوة الاقتباس أن وفاته كانت سنة 573 هـ (وهي السنة التي يوردها ابن دحية مؤكداً أن أبا الحسن علي بن الحسين أجازه بمنزله بفاس في هذه السنة التي توفي فيها . (أبو الخطاب عمر بن دحية، أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب، تحقيق محمد زهير الشاويش، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط1، 1998، ص 58). وانظر ترجمته كذلك في : التكملة، ط. الهراس، ج3، ص 244

/55/ أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَلِيّ، عُمَرُ ابْنُ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ النَّفْزَاوِيّ، أَنَّ الشَّيْخَ الحَاجَّ اللَّوَاتِيّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ، سَاحَ فِي تِلْكَ البِلادِ، وأَقَامَ بِالطُّور[206] مُدَّةً. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بِلادِ مِصْرَ، ودَخَلَ الطَّرِيقَ إِلَى المَغْرِبِ عَلَى البَرِّ مَعَ القَافِلَةِ، وَأَنَّهُ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ نَزَلَ، فَنَامَ وَرَفَعَتِ القَافِلَةُ. قَالَ : فَرَأَيْتُ فِي المَنَامِ شَخْصاً كَأَنَّهُ خارِجٌ مِنَ الكَعْبَةِ، فَقَالَ لِي : القَافلَةُ قَدْ سَارتْ، وَلَكِنْ اتَّبِعِ الصَّوْتَ تَجْتَمِعْ بِالقَافِلَةِ، قَالَ : فَانْتَبَهْتُ، فَسَمِعتُ الصَّوْتَ، فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى لحِقْتُ بِالقَافِلَةِ. ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ لِي أَنْ أَسِيحَ، فَتَرَكْتُ القَافِلَةَ، وَأَخَذْتُ عَلَى السَّاحِلِ. فَبَقِيتُ أَيَّاماً لَمْ آكُلْ وَلَمْ أَشْرَبْ، واشْتَدَّ بي العَطَشُ. فَرَأَيْتُ بِالبُعْدِ مِنِّي حَجَراً، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَمْشِ[207] إِلَى ذَلِكَ الحَجَرِ أَسْتَظِلُّ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ. فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى الحَجَرِ، فَإِذا فِيهِ نَقْرَةٌ مِثْلُ نَقْرةِ الرَّحَى، وَهِي مَلأَى مَاءً. فَجَعَلْتُ فِيهَا يَدي، فإذا هُوَ بَارِدٌ. فَذُقْتُهُ، فَإِذا هُوَ حُلْوٌ. فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى رَوِيتُ، ثُمَّ أَخَذَنِي الجُوعُ. وكَانَ مَرَّ عَلَيَّ أَيَّامٌ لم آكُلْ فِيها، فَرَأَيْتُ كُدْيَةً أَمَامي، فَقُلْتُ : أَطْلعُ عَلَيْها، وَأَنْظُرُ هَلْ أَرَى دُخاناً فَأَقْصِدُهُ، فَلَمَّا عَلَوْتُ عَلَى الكدْيةِ،/56/ فَإِذا قَافِلَةٌ عَلَى القَافِلَةِ الَّتِي كُنْتُ مَعَهَا. فَلَمَّا رَأَوْنِي قَالوا : الحَاجُّ! وَأَتَانِي كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ بِرَغِيفٍ، فَأَخَذْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا احْتَجْتُ إِلَيْهِ، ورَجَعتُ إِلَى السَّاحِلِ. وكَانَ فِي الطَّرِيقِ عُشْبٌ كَثِيرٌ، فَبَيْنَمَا أَنا أَمْشي، سَقَطْتُ فِي بِئْرٍ أَعْلاها وَاسِعٌ، وَأَسْفَلُها ضَيِّقٌ، وَأُرِيدُ الطُّلُوعَ مِنْهَا. فَإِذا طَلَعْتُ المَوْضِعَ الضَّيِّقَ، وَوَصَلْتُ إِلَى المُتَّسَعِ، سَقَطْتُ، ولا تَقْدِرُ رِجْلايَ أَنْ تَثْبُتَ[ـا] لأَجْلِ الطُّحْلُبِ، فدَعَوْتُ اللَّهَ فِي الخَلاصِ

206- لا ندري أي الطور يقصد؛ فالطور في كلام العرب : الجبل، ويقال لجميع بلاد الشام الطور، وذكر بعض العلماء أن الطور هو الجبل المشرف على نابلس؛ ولليهود فيه اعتقاد عظيم ويزعمون أن ابراهيم أمر بذبح اسماعيل فيه. وهناك كذلك جبل مطل على طبرية الأردن يسمى كذلك الطور. لكني أرجح أن يكون المقصود في نص «المستفاد» هو جبل الطور الواقع بالقرب من مصر عند موضع يسمى مدْيَن الذي يقول عنه ياقوت الحموي إنه «لا يخلو من الصالحين». انظر : ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص 46-47

207- في الأصل : أمْشِي

مِمَّا أنا فيه، فَخَرَجْتُ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ عُمَر : فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ خَرَجْتَ؟ فَقَالَ لِي : هَذَا مَا لا أَقُولُهُ لَكَ ولا لأحَدٍ لِأَنَّهُ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى. فَمَشَيْتُ. فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، إذْ [أ]حْسَسْتُ ضَرْبَةً فِي صُلْبِي، فَحوّلْتُ رَأْسِي. فَإذا بِأعْرابِيٍّ بِيَدِهِ حَرْبَةٌ وَقَدِ انْطوى طَرَفُها. فَقَالَ لِي : يا شَيْخُ ! أَفْسَدْتَ عَلَيَّ حَرْبَتِي. ثُمَّ إِنَّهُ أَصْلَحَها وانْصَرَفَ، وَلَمْ نَجِدْ شَيْئاً بِالضَّرْبَةِ الَّتِي ضَرَبَنِي، [سِوى] خَدْشَةٍ فِي ظَهْرِي. [و] نَجَّانِي اللَّهُ مِنْ شَرِّهِ.

19= أَبُو مُوسَى، عِيسَى الأَزْدِيّ

وَمِنْهُمْ أَبُو مُوسَى، عِيسَى بْنُ قاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَزْدِيُّ، مِنْ بَنِي المَلْجُوم[208]. وكَانَ يَلْبَسُ الخَشِنَ مِنَ الثِّيابِ، وَيُخالِطُ الفُقَراءَ، ويَسْرُدُ الصَّوْمَ[209].

/57/ أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، رَحِمَهُ اللَّه، أَنَّ عِيسَى ابْنَ المَلْجومِ كَانَ يُواصِلُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْماً. وكَانَ لَهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، رِيَاضَاتٌ وَمُجَاهَداتٌ. نَفَعَه اللَّهُ بِذَلِكَ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : سافَرْتُ مَعَهُ لِزيارَةِ الشَّيْخِ أَبِي يَعْزَى، وَأَقَمْتُ مَعَهُ عِنْدَهُ طولَ إِقامَتِي

208- بيت بني الملجوم من بيوتات فاس الكبرى، تداول أفراده بها القضاء والفتيا والشهادة، وقد استفتى السلطان يوسف بن تاشفين جدهم الفقيه العالم يوسف بن عيسى لما أراد الجواز إلى الأندلس لخلع ملوك الطوائف (**بيوتات فاس الكبرى**، ص 14-15)**جذوة الاقتباس**، ص 500، 549، ويبدو أن المترجم له في المستفاد من أبناء عمومة ابناء ابن ملجوم المترجم لهم في الجذوة وغيرها، (كعبد الرحمان بن يوسف بن ملجوم، ص 391، وعبد الرحمان بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عيسى، ص 396 وعبد الرحمان بن الملجوم، ص 406 وعبد الرحيم بن عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن قاسم بن عيسى، ص 415...) وكذلك في **صلة الصلة** ق3/رقم 388،والقسم 4/ترجمة رقم 101؛ **الذيل والتكملة** 258/8، ابن الأبار، **التكملة**، ط الهراس، ج4، ص 16

209- سرد فلان الصوم : إذا والاه وتابعه

عِنْدَ الشَّيْخِ، حَتَّى رجعْتُ إِلَى فَاس. فَرَأَيْتُ مِنْهُ حُسْنَ خُلُقٍ وَطِيبَ نَفْس. خَرَجَ، رَحِمَهُ اللَّه، إِلَى المَشْرِقِ، فَوَصَل إِلَى تُونُسَ، فَتُوُفِّيَ بِها، رَحِمَهُ اللَّهُ.

20= الحاجُّ أَبُو زَجْزَا

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الحاجُّ أَبُو زَجْزا[210]، المُسْتَوْطِنُ بِرِباطِ تَازا[211]. مِنْ أَهْلِ النُّسْكِ والعِبادَةِ وَالكَرَمِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ، أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَانِ المُؤدِّبِ، أَنَّ أَبَا زَجْزا وَصَلَ مَدِينَةَ فَاس، فَنَزَلَ عِنْدَ عَمِّهِ الفَقِيهِ أَبِي زَجْزا، وأَنَّهُ سَمِعَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الرِّباطِ[212] يَذْكُرونَ أَنَّ بَعْضَ العُمَّالِ الظَّلَمَةِ طَلَبَهُ لأَمْرٍ نُقِلَ لَهُ عَنْهُ، فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ مُخْتَفِياً مِنْ ذَلِكَ العامِلِ. فَأَمَرَ ذَلِكَ الظَّالِمُ بِأَنْ يُدْخَلَ عَلَيْهِ مَنْزِلُهُ، ويُقْعَدَ لَهُ جَمَاعَةٌ عَلَى بَابِ دارِهِ. فَدُخِلَ عَلَيْهِ الدَّارُ،

210- كتبه د. بن شريفة («حول كتاب المستفاد» م.س. ص 28) : زجرا

211- رباط تازا : بناه الموحدون سنة 568 هـ/ 1172م. انظر : مجهول : **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق، د. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985، ص 186. أما ابن أبي زرع فيقول أن الخليفة عبد المؤمن «أمر ببناء مدينة رباط تازة فبنيت وحصن سورها»، **روض القرطاس**، 262

212- الرباط : جمعه رُبُط ورباطات، اسم ارتبط في تاريخ الاسلام سواء بالمشرق أو بالمغرب بوظيفته العسكرية والدينية، ولقد انتشرت الرباطات في مناطق مختلفة من المغرب (انظر الخرائط المرفقة بدراسة كيسايكي ماساطوشي الأتية الذكر) ولعبت دوراً كبيراً في نشر الاسلام ومحاربة الدعوات التي كانت توصف بالهرطقية. بل أصبحت تلعب حتى أدوارا سياسية في بعض الأحيان. انظر :

Kisaichi Masatoshi, Sufi Saints in 12th Century Maghreb Society : Ribat and Rabita, in, *Urbanism in Islam, the Proceedings of the International Conference on Urbanism in Islam*, Vol. 4, Tokyo, Japan, 1989. pp.292-345 وخاصة ص 316-321

M. Marin, " La vida en los ribat de Ifriqiya", in R. Azuar Ruiz (coor.), *La Rábita califal de las dunas de Guardamar (Alicante)*, Alicante, 1989, pp. 199-207. احمد التوفيق، «من رباط شاكر إلى رباط أسفي»، ضمن كتاب **أبو محمد صالح : المناقب والتاريخ**، الشر العربي الإفريقي، 1990، .

ودُخِلَ عَلَيْهِ البَيْتُ، وَهُوَ قاعِدٌ فِيهِ وَمُصْحَفُهُ فِي يَدِهِ يَقْرأُ، فلَمْ يَرَوْا فِي البَيْتِ أحَداً. فَخَرَجُوا مِنَ البَيْتِ، وَوَجَدُوا /58/ فِي الدَّارِ ابْناً لَهُ، فَأَخَذُوهُ وَرَبَطُوهُ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ زَوجَةُ الإبْنِ، قالَتْ لَهُمْ : لأيِّ شَيْءٍ تَأْخُذُونَ هَذا والَّذي تَطْلُبوهُ [هكذا] فِي البَيْتِ؟ فَدَخَلوا البَيْتَ فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ أحَداً. فَلَمَّا رَأى الشَّيْخُ أنَّهُ حُجِبَ عَنْهُمْ، قَالَ فِي نَفْسِهِ : أَخْرُجُ مِنَ الدَّارِ إلَى غَيْرِها، فَخَرجَ، والنَّاسُ قُعُودٌ عَلَى بابِ الدَّارِ، فلَمْ يَرَوْهُ، وكَفَاهُ اللَّهُ مَؤُونَةَ الظَّالِمِ. فَأُخِذَ وَلَدُهُ وَضُرِبَ عُنُقُهُ، عَفا اللَّهُ عَنْهُ.

21= أَبُو الخَيْر [213]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو الخَيْرِ.كَانَ مُلازِماً لِلْجَامِعِ[214]، مُنْقَطِعاً لَهُ، تَالِياً لِلْقُرآنِ، لا تَكادُ تَرَاهُ إلاّ مُصَلِّياً أَوْ قَارِئاً، وكَانَ أعْمَى. تُوُفِّيَ عَامَ ثَلاثَةٍ وَسِتِّينَ وخَمْسِمائَةٍ.

22= أَبُو حَفْص، عُمَرُ الجَنَّان

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو حَفْصٍ، عُمَرُ الجَنَّان. كَانَ شَيْخاً فَاضِلاً عَابِداً مُتَبَتِّلاً. خَرجَ إلَى الحَجِّ فَحَجَّ، ثُمَّ اسْتَوْطَنَ مَدِينَةَ اسْكَنْدَرِيَّةَ، وجَدَّ بها وَوَجَدْتُهُ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الاجْتِهادِ فِي العِبَادَةِ. ومَا رَأَيْتُ أحَداً مِنَ المُتَعَبِّدينَ تَتَزَلَّعُ قَدَماهُ مِنَ العِبَادَةِ إلَّا هُوَ. ولَقَدْ مَشَى مَعَ ابنِ عَوْفٍ لِلعِبَادَةِ بِمَكَّةَ، والتَقَيتُ أيْضاً مَعَهُ بها، وكَانَ قَدْ أنْهَكَتْهُ العِبَادَةُ، حَتَّى ضَعُفَ جِداً، وَصَار

213- جذوة الاقتباس، 193؛ نقلاً عن التميمي؛ وفي سلوة الأنفاس، 355/3 «دفن بقرب الباب الحمراء»

214- في جذوة الاقتباس...م.س. : ملازماً لجامع فاس

كَالشَّنِّ البَالي[215]. وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ لا يَقْدِرُ عَلَى المَشْيِ فِي الطَّوافِ عَلَى الصِّفاحِ، لِضُعْفِ قَدَمَيْهِ، فَصَنَعَ نِعالاً مِنْ لِبَدٍ[216] يَمْشي بِها فِي الطَّوافِ.

/59/ وَأَخْبَرَنِي، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى، أَنَّهُ طافَ لَيْلَةً مِن اللَّيالي، فَكَشَفَ اللّهُ عَنْ بَصَرِهِ. قَالَ : فرأَيْتُ شَخْصاً قَدْ طَالَ كَالبَيْتِ فِي الهَواءِ، فأوْمَأْتُ بِيدي إِلَيْهِ، حَتَّى وَضَعْتُ يَدي عَلَى أَصَابِعِهِ، فَإِذا بِظَهْرِ يَدِهِ شَعْرٌ كَثِيفٌ، وكَانَ ذَلِكَ فِي آخِرِ شَوْطٍ، فَفارَقْتُه. قَالَ لِي : وَمَا أَظُنُّهُ مِنْ هَذَا الخَلْقِ، لِأَنَّهُ خَلْقٌ عَظيمٌ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَفي قَريبٍ مِنْ هَذَا ما أَخْبَرَني بهِ الشَّيْخُ الصُّوفِيُّ، أَبُو الفَتْحِ، مَحْمُودُ بْنُ عَلِيٍّ العِراقِيُّ[217]، بِسَنَدٍ يَبْلُغُ بهِ إِلَى عَبْدِ العَزيزِ الأَهْوازِي، قَالَ : قَالَ لِي سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ[218] : مُخَالَطَةُ الوَلِيِّ لِلنَّاسِ ذُلٌّ، وانْفِرادُهُ عِزٌّ. قَلَّما رَأَيْتُ وَلِيّاً لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلّا مُنْفَرِداً. إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ صالِحٍ كَانَ رَجُلاً لَهُ سَابِقَةٌ جَليلَةٌ، وَمَوْهِبَةٌ جَزيلَةٌ، وكَانَ يَفِرُّ مِنَ النَّاسِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ. [فَطالَ مُقامُهُ فيها][219] فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ طالَ مُقامُكَ فِيها. فَقَالَ لِي : وَلِمَ لا أُقيمُ وَلَمْ أَرَ بَلَداً تَنْزِلُ فِيهِ الرَّحْمَةُ والبَرَكَةُ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ البَلَدِ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكونَ فِيهِ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ تَغْدُوا [فيهِ] وَتَرُوحُ. وَ[إِنِّي] أَرَى عَجائِبَ كَثِيرةً : أَرَى المَلائِكَةَ

215- استعمل التميمي مراراً هذا التشبيه. والشن : (والشنة) : الخَلَقُ من كل آنية صُنعت من جلد، وجمعها شنان. والتشنن : التشنج واليُبْس في جلد الإنسان عند الهرم (لسان العرب :مادة شنن)

216- في القاموس : كل شعر أو صوف متلبد : لِبْدٌ ولِبْدَة، ولُبْدة، جمع : ألباد ولبود. واللبود ليس لها سدى ولا لحمة

217- هو أبو الفتح محمود بن أحمد بن علي المحمودي البغدادي الصابوني. وقد ورد اسمه ضمن لائحة شيوخ التميمي الذين أخذ عنهم بفسطاط مصر والتي أوردها ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة (8/ 353)

218- هو سهل بن عبد الله التستري، (أبو عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع، الإمام القدوة الزاهد، كانت له قدم راسخة في التصوف وله مواعظ حسنة وكلمات نافعة، توفي سنة 283 هـ /896 م(وقيل سنة 293 هـ/906م). ترجمته في : أحمد المالبني، الأربعين في شيوخ الصوفية، ص 121؛ السلمي، طبقات الصوفية، ص 206؛ حلية الأولياء، 10/189-212؛ الرسالة القشيرية؛ ص400-401

219- زيادة من صفوة الصفوة، 4/454

يَطوفُونَ بالبَيْتِ الحَرامِ عَلى صُوَرٍ شتّى؛ لا يَقْطعونَ ذلكَ. ولَوْ قُلتُ كُلَّ مَا رَأيْتُ، لَصَغُرَتْ عَنْهُ عُقُولُ قَوْمٍ /60/ لَيْسُوا بمُؤمنينَ. قُلتُ : أَسْألُكَ باللهِ إلاَّ مَا أخْبرْتَني بشَيْءٍ مِنْ ذلكَ. قَالَ : مَا مِنْ وَلِيٍّ للهِ تعَالى صَحَّتْ وِلايَتُهُ إلّا وَهُوَ يَحْضُرُ [في] هَذَا البَلَدِ في كُل لَيْلَةِ جُمُعَةٍ؛ لا يَتَأَخَّر عَنْهُ، فَمُقامي هَذَا لأجْلِ مَا أراهُ مِنْهُمْ. ولَقَدْ رَأيْتُ رجُلاً يُقالُ لَهُ مَالكُ بْنُ القَاسِمِ [جبلي][220]، فَسَألْتُهُ عَنْ حَالِه، وَرَأيْتُ يَدَه غَمراً[221]. فَقُلتُ لَهُ : إنَّكَ قَريبُ عَهْدٍ بالأكْلِ. فَقَالَ : اسْتَغفِروا اللهَ، فَأنا مُنْذُ أسْبوعٍ لَمْ آكُلْ شَيْئاً. ولَكنْ طَعِمْتُ[222] والِدَتي، وَأسْرَعْتُ لألْحَقَ صَلاةَ الفَجْرِ في جَماعَةٍ بِمَكَّة. وَبَيْنَهُ وبَينَ المَوْضعِ الّذي [جاءَ] مِنْهُ سَبْعُمِائَةِ فَرْسَخٍ، فَهَلْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ بِذَلِكَ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ، قَالَ : الْحَمْدُ للهِ الّذي أرَاني مُؤْمِناً مُوقِناً[223].

23= أَبُو الْعَبَّاس، أَحْمَدُ الأرِينيّ

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاس، أَحْمَدُ الأرينِيّ[224]، رَحِمَهُ اللهُ. أَصْلُهُ مِنَ الأنْدَلُس، وَاسْتَوْطَنَ مَدينَةَ فاس، حَرَسَها اللهُ تَعَالى، وكَانَ بها عَامِلاً. ثُمَّ تَابَ مِنْ ذَلكَ، وخَرَجَ إلى الحَجِّ، واسْتَوْطَنَ مَكَّةَ، شَرَّفَها اللهُ، وظَهَرَتْ عَلَيْهِ آثارُ صِحَّةِ تَوْبَتِه بِالصِّفاتِ الّتي جاءَتْ

220- زيادة من صفوة الصفوة، ج4/ 454

221- في الأصل : غمرٌ. وفي صفوة الصفوة: غمرة. و الغمر : السمك وريح اللحم وما يعلق باليد من دسمه. لسان العرب.

222- في صفوة الصفوة : أطعمت

223- وردت هذه الحكاية في صفوة الصفوة، ج 4/ ص 454

224- لم نقف على ترجمة له وقد تكون أسرة اللريني الحالية بفاس منحدرة من هذا الولي حسب ما يفترضه المرحوم محمد المنوني (القطات دلهنة.... م. س. ص 12)

فِي الحديثِ المَرْوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ «ﷺ» الَّذِي قَالَ فِيهِ : إِذَا لَمْ تَسْتَبِنْ تَوْبَةُ التَّائِبِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ بِتَائِبٍ حَتَّى يُرْضِيَ الخُصَمَاءَ، وَيُعِيدَ الصَّلَوَاتِ، وَيَجْتَنِبَ الشَّهَوَاتِ/61/، وَيَتَوَاضَعَ بَيْنَ الخَلْقِ، وَيُهْزِلَ رَقَبَتَهُ بِصِيامِ النَّهارِ، وَيُغَيِّرَ لَوْنَهُ بِقِيامِ اللَّيْلِ، وَيُخْمِصَ بَطْنَهُ بِقِلَّةِ الأَكْلِ، وَيُقَوِّسَ ظَهْرَهُ مِنْ مَخافَةِ النَّارِ، وَيُذِيبَ عِظامَهُ شَوْقاً إِلى الجَنَّةِ، وَيُخَفِّفَ جِلْدَهُ عَنْ يَدِهِ بِفِكْرِ الآخِرَةِ[225]

وكَانَ فِي وَقْتِ اجْتِمَاعِي [بِهِ] بِمَكَّةَ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، لا يَكادُ يُرى إِلَّا طَائِفاً أَوْ مُصَلِّياً أَوْ ذَاكِراً؛ لاَ يَفْتُرُ مِنْ ذَلِكَ مُدَّةَ كَوْنِي فِي الحَرَمِ. وَجَلَسْتُ مَعَهُ يَوماً فِي الحَرَمِ وَمَعَهُ بَعْضُ أَهْلِ فَاس، مِمَّنْ كَانَ أَيْضاً عَامِلاً، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ : يا هَذَا ! قَدْ أَدْخَلْتَ مَعَرَّةً [226] عَلَى أَهْلِ فَاس. قَالَ لَهُ : بِمَاذا؟ قَالَ لَهُ : إِذَا جَاءَ أَحَدٌ يَسْأَلُ عَنْكَ يُقالُ لَهُ : تَراهُ فِي أُسْطُوانِ[227] الدَّارِ الفُلانِيِّ يَطْحَنُ، لِأَنَّهُ كَانَ لا يَعِيشُ إِلَّا مِنَ الطَّحِينِ؛ يَطْحَنُ لِلنَّاسِ بِالإِجارةِ، لا غَيرِ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ : يا فُلانُ! لَمَّا تُبْتُ مِنَ العَمَلِ، وَأَرَدْتُ الحَجَّ، أَعْلَمْتُ بِقَصْدِي لِبَعْضِ فُقَراءِ فاسَ، فَقَالَ لِي : يا أَحْمَدُ ! جَاءَ فِي الحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ «ﷺ» أَنَّهُ قَالَ : «إِذَا حَجَّ المَرءُ وَكَسْبُهُ حَرامٌ، فَإِذا وَصَلَ المِيقَاتَ أَحْرَمَ وَلَبَّى، يُقالُ لَهُ : لا لَبَّيْكَ ولا سَعْدَيْكَ، حَتَّى تَرْمِيَ ما فِي يَدَيْكَ»[228]، فَاخْتَرْتُ رَمْيَ ما كَانَ فِي يَدي، لَعَلَّنِي

225- لم أقف عليه

226- المعرة : الأذى (لسان العرب، مادة معر)، ولقد وردت الكلمة في الذيل والتكملة (السفر الخامس، ص 660) وعلق عليها د. احسان عباس قائلاً : «لعلها «مضرة».

227- يُقال أسطوان للبيت الذي يُشرع منه إلى الفناء، «واسمه عند العرب الدهليز، وهو الممر الذي يكون بين باب الدار ووسطها» ألفاظ مغربية...م.س.، ص 143؛ Dozy, *Supplèment* I. p. 22

228- التمهيد لابن عبد البر، ج2، ص 67؛ الدر المنثور، ج 2، ص 63؛ حلية الأولياء، 264/9؛ إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ج 4، ص 431؛ كنز العمال للمتقي الهندي، دار التراث الإسلامي، رقم 11891؛ كشف الخفا للعجلوني، مكتبة دار التراث، ج 1/ ص 89؛ الكامل في الضعفاء لابن عدي، دار الفكر ، بيروت، ج 3/ 973

أجابَ بِغَيْرِ ذَلِكَ. فَسَكتَ المِسكينُ ولَمْ يَرُدَّ /62/ جَواباً، لِأَنَّهُ كَانَ فِي يَدِهِ مالٌ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِحالِهِ فِيهِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَفِي قَرِيبٍ مِنْ هَذا، قَالَ بَعْضُ الحُكَماءِ : يا مُتَخَلِّفاً عَنِ الأَصْحابِ والأَتْرابِ ! جَارُكَ صَالِحٌ، وَأَنْتَ غَيْرُ صَالِحٍ، رَفِيقُكَ يَتُوبُ، وأَنْتَ مَطْرودٌ عَنِ التَّوْبَةِ مَحْجوبٌ. كَمْ تَابَ فِي عَصْرِكَ مِنَ الأَشْكالِ والأَمْثالِ، وأَنْتَ مُقيمٌ عَلى أَقْبَحِ صِفَةٍ وَحَالٍ، قَطَعَتْكَ سُيوفُ الزَّلاَّتِ وَالأَوْزارِ، عَنْ مُواصَلَةِ النُّسْكِ وَالوَقارِ، كَسَرَتكَ عَنْ مُعَالَجَةِ الخَطايَا وَالسَّيِّئاتِ، فَما قَدَرْتَ عَلَى التَّحْريكِ إِلى مَواطِنِ العَطايا وَالصِّلات. مَنَعَكَ القَطْعُ مِنْ قُرْبِهِ وَوِصالِه، وَأَقْعَدَكَ الكِبَرُ عَنِ التَّوَسُّلِ إِلى مَحَلِّ فَضْلِه وَنَوالِه، وَأَخَذَكَ البُعْدُ مِنَ التَزيُّنِ لِيَوْمِ عَرْضِهِ وَسُؤالِهِ، فَأَيُّ بَلاءٍ مِثْلُ بَلائِكَ، وَأَيُّ حَالٍ مِثْلُ حالِكَ».

24= أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ بوبَة

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، ابْنُ بُوبَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَغَفَرَ لَهُ. كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، خَيِّراً فَاضِلاً قَارِئاً لِكِتَابِ اللَّهِ العَزِيزِ، لا يَكَادُ يَفْتِرُ يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ عَلَى سَطْحِ الرَّابِطَةِ الكُبْرَى الَّتِي خَارِجَ عَيْنِ بَابِ إِيصْلِيتَنْ. فَذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ بَعْضَ عُبَّادِ إِفْرِيقِيَةَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، قَالَ لِوَلَدِهِ : /63/ إِيتِنِي بِتِلْكَ الجُبَّةِ؛ [جُبَّةٍ] صُوفٍ صَفْرَاءَ مُرَقَّعَةٍ. قَالَ لَهُ : كَفِّنِّي فِيهَا، فَإِنَّ لَهَا عَلَيَّ ذِمَاماً[229]. فَسُئِلَ ابْنُهُ بَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخِ عَنِ الذِّمَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ لِلجُبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ : خَتَمَ فِيهَا القُرْآنَ ثَلاثَةَ آلافِ خَتْمَةٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ فِي أَعْوَامٍ[230]، فَقَالَ لِي أَبُو مُحَمَّدٍ : لَوْلا ما يَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْ أُفْتَانٍ[231] العَمَلِ، لَقُلْتُ لَكَ كَمْ لِي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مِنْ خَتْمَةٍ.

وكَانَ صَادِقاً فِي كُلِّ ما يَقُولُ مِنْ ذَلِكَ، رَحِمَهُ اللَّه، لِأَنَّهُ مِمَّنْ سُهِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ وَيُسِّرَ لِسَانُه، نَفَعَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ.

229- الذمام : (الذمامة) = الحرمة، وكل حرمة تَلزمك إذا ضيعتَها: المذمةُ (لسان العرب)

230 - العابد الإفريقي صاحب هذه الحكاية هو أبو القاسم عبد الوهاب بن نصر المتعبد بالمنستير والمتوفي سنة 330 هـ/ 941-942م حسبما يورده المالكي في رياض نفوسه إذ يقول عنه : «لما اعتل عبد الوهاب [...] قال لابنه : يا محمد إيتني بتلك الدراعة الصوف، فأتاه بجبيبة مرقعة صفراء، فقال لهم : كفنوني فيها، فإن لي فيها مئات : ختمتُ القرآن فيها ثلاثة آلاف ختمة في سواد الليل ...» **رياض النفوس** (ج 2/ ص 271)

231- كذا في الأصل. ولعلها : افتتان

25= أَبُو الْفَضْلِ، الْعَبَّاس بْنُ أَحْمَد

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو الفَضْلِ، العَبَّاسُ بْنُ أَحْمَدَ[232]. أَصْلُهُ مِنَ الأَنْدَلُسِ، وَاسْتَوْطَنَ مَدِينَةَ فاسٍ، ولَمْ يَزَلْ بِها عَلَى غَايَةٍ مِنَ الجِدِّ والتَّشَمُّرِ فِي العِبادَةِ، حَتَّى رَحَلَ إِلى مَكَّةَ واسْتَوْطَنَها، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الحَالَةِ مِنَ الجِدِّ والاجْتِهادِ؛ لَمْ يَتَّخِذْ بِمَكَّةَ مَأْوىً. إِنَّمَا كَانَتْ إِقامَتُهُ فِي الحَرَمِ لَيْلاً وَنَهاراً، وَلا يَمْلِكُ إلاَّ مَا عَلَى بَدَنِهِ، وَتَرَكَ بِفَاسَ امْرَأَةً وَأَوْلاداً، تَرَكَهُمْ لِلَّهِ؛ خَرَجَ إِلى الجِهَادِ إِلى الشَّامِ، فَتُوفِّيَ فِي الغَزْوِ، وَنَفَعَهُ اللهُ بِذَلِكَ. تُوُفِّيَ عامَ خَمْسَةٍ وَتِسْعِينَ وخَمْسِمائَةٍ.

26= مُحَمَّد بْنُ إِبْراهِيمَ المَهْدَوِيّ

وَمِنْهُم الشَّيْخُ الفَقِيهُ أَبو عَبْدِ اللَّهِ،/64/ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ المَهْدَوِيُّ، [233]رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. كَانَ مُنْقَبِضاً مُعْتَكِفاً بِالمَسْجِدِ الجَامِعِ، لا يَخْرجُ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةِ الإِنْسانِ. وكَانَ لا يَجْلِسُ إلاَّ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ.

أَخْبَرَنِي عَامَ خَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ وخَمْسِمِائَةٍ، أَنَّهُ لَهُ مُدَّةٌ مِنْ أَرْبَعِينَ عاماً وَأَزْيَدَ مِن ذَلِكَ، أَنا أَشُكُّ فِي الزِّيادَةِ، مَا فَاتَتْهُ صَلاةٌ فِي جَمَاعةٍ بِالمَسْجِدِ الجامِعِ، إلاَّ يَوْماً واحِداً، نَفَعَهُ

232- انظر : **جذوة الاقتباس**...م.س، ترجمة رقم 382، ص 386- 387، نقلاً عن «المستفاد».

233- نزيل فاس وأصله من المهدية. توفي يوم الجمعة 25 جمادى الأولى عام 595 هـ/ ابريل 1199م. انظر : **التشوف**، ترجمة، 168، ص 332-334، ص 38؛محيي الدين بن عربي، رسالة **روح القدس**، ص 59. ابن صعد، **النجم الثاقب** :مخ. الخزانة الداودية بتطوان، رقم ص.ع.ن.55،ج 4/96-97؛ **جذوة الاقتباس**، ترجمة 280،ص، 273-274، **سلوة الأنفاس**، 3/267؛ **الاستقصا**، 2/213 ؛ أحمد التادلي الصومعي، **المعزى** ...م. س. ص 171؛ **القرطاس**، 270

اللَّهُ بذلكَ[234].

وَأَخْبَرَني والِدي، رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّ الْفَقيهَ المَهْدَوِيَّ وَصَلَ إلى مَدينَةِ فاسَ بمالٍ كَثيرٍ، عدَّةِ آلافٍ[235] أَنْفَقَها عَلى الفُقَراءِ وأَهْلِ الإِرادَةِ.

أَخْبَرَني أَبُو عَلِيٍّ، الحَسَنُ[236] بْنُ يَحْيَى الصَّديني أَنَّ الفَقيهَ المَهْدَوِيَّ خَرَجَ يَوْماً مِنْ مَنْزِلِهِ قاصِداً المَسْجِدَ الجامِعَ، وَذَلِكَ في عامٍ شَديدٍ. فَرأى جَماعَةً مِنَ المَساكينِ يَصيحُونَ : الجُوعَ ! الجُوعَ ! فَرَجَعَ إِلى دارِهِ، وَقالَ : كَيْفَ يَكُونُ حالي، والنَّاسُ يَصيحُونَ منَ الجوعِ، وَعِنْدي في الدَّارِ زَرْعٌ كَثيرٌ؟! فَتَصَدَّقَ بِجَميعِ ذَلِكَ، وكانَ جُمْلَةً وافِرَةً. نَفَعَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ. وَذَكَرَ لي أَبُو الحَسَنِ أَنَّ جُمْلَتَهُ ثَلاثُ مائَةِ صَحْفَةٍ.

أَخْبَرَني أَبُو عَلِيٍّ، الحُسَيْنُ بْنُ يَحْيى، قالَ : كُنْتُ جالِساً مَعَ الْفَقيهِ أَبي عَبْدِ اللَّهِ في المَسْجِدِ الجامعِ إذْ جاءَ رَجلٌ فَقالَ : أَيْنَ يَجْلِسُ الفَقيهُ /65/ المَهْدَوِيُّ؟ فَقالَ لَهُ الفَقيهُ : لأَيِّ شَيْءٍ تُريدُهُ؟ فَقالَ لَهُ : أَنا رَجُلٌ لي أَوْلادٌ وَعِيالٌ، ولي وَلَدٌ قَدْ كَبِرَ، وَأُريدُ أَنْ أُطَهِّرَهُ، وَما عِنْدي بِما أَفْعَلُ ذَلِكَ. فَلَمَّا كانَتِ اللَّيْلَةُ الخالِيَةُ، دَعَوْتُ اللَّهَ وَتَضَرَّعْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَرْزُقَني بما أَفْعَلُ ذَلِكَ لِوَلَدي. فَرَأَيْتُ النَّبيَّ،﴿ﷺ﴾، في المَنامِ، فَقالَ لي : مُرَّ لمُحَمَّدٍ المَهْدَوِيِّ؛ هُوَ يُطَهِّرُ لَكَ وَلَدَكَ وَيَقْضي حاجَتَكَ، وقُلْ لَهُ : الأَمارَةُ أَنَّكَ لا تَنامُ حَتَّى تُصَلِّيَ

234- يقول ابن عربي في رسالة روح القدس، ص 59 : «بقي نيفاً وستين سنة ما استدبر القبلة حتى مات». ويقول عنه في **الفتوحات المكية** (ج2، ص 15 ؛ ج 11، ص 334-335)«أبو عبد الله المهدوي من رجال الاشتياق، وهم خمسة أنفس، وهم رجال الصلوات الخمس، لا يفترون عن صلاة في ليل ولا نهار، صحبته»

235- حددتها المصادر الأخرى في نحو أربعين ألف دينار. ابن الزيات (التشوف، ص 332)، **جذوة الاقتباس**...م.س، ص 273؛ ابن صعد، **النجم الثاقب**، ج 4، ورقة 96؛ ابن أبي زرع (**القرطاس**، ص 270)

236- سوف يسميه أبو علي الحُسين لاحقاً. ولا ندري هل ثمة علاقة عائلية بينه وبين أبي علي بن حسن [أو حسين] الصديني الفاسي المتوفى بعد الستمائة، والذي نجد ترجمة له في **الجذوة**، ص 470، وفي **التكملة** ،ج3، ص 247 (ط. الهراس) ويسميه أبو الحسن علي بن حسين، وكذا **صلة الصلة**، ج 4، ص 158، أو قسم الغرباء من **صلة الصلة** لابن الزبير، ضمن كتاب : **الذيل والتكملة**، 8/ 554 (ويسميه علي بن حسن)

عَلَيَّ ألفَ مَرَّةٍ. قَالَ أَبُو عَلِيّ : فَأَمَرَ الْفَقِيهُ، رَحِمَهُ اللهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ كُسْوَةً لِعِيالِه وَلِجَمِيعِ أَوْلادِه، وأَصْلَحَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَطَهَّرَ وَلَدَهُ، وقَامَ بِجَمِيعِ أُمُورِهِ مِنْ طَعامٍ وغَيْرِه. نَفَعَهُ اللهُ بِذَلِكَ.

أَخْبَرَنِي أَبُو الحُسَيْنِ بْنُ يَحْيى، أَنَّهُ كانَتْ بِفاسَ مَجَاعَةٌ وعَامٌ شَدِيدٌ[237]. وكَانَ عِنْدَ الفَقِيهِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، أَلْفُ صَحْفَةٍ مِنْ قَمْحٍ. فَبَاعَ جَمِيعَ القَمْحِ المذْكُورِ مِنْ أَنَاسٍ أَهْلِ سِتْرٍ إِلَى أَجَلٍ، وكَتَبَ عَلَى كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ عَقْداً بِعِدَّةِ ما أَخَذَهُ والأَجَلِ. فَلَمَّا جاءَ الأَجَلُ، جَمَعَ القَوْمَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا مِنْهُ ذَلِكَ الطَّعامَ فِي دارِه، وَأَخْرَجَ العُهُودَ المكْتُوبَةَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَجَعَلَها فِي المَاءِ وَحَلَّهَا، وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّما بِعْتُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى. وَلَوْ قُلْتُ لَكُمْ : خُذُوهُ بِلا ثَمَنٍ، مَا اشْتَرَيْتُمُوهُ، فَاحْتَلْتُ عَلَيْكُمْ بِحِيلَةِ البَيْعِ /66/ والتَّأْخِيرِ، شُكْراً لِلهِ[238].

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَيُشْبِهُ فِعلَهُ ذَلِكَ، ما رُوِيَ عَنِ الفَقِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى الأَعْشَى[239]، أَنَّهُ أَخَذَتِ النَّاسَ مَسْغَبَةٌ بِقُرْطُبَةَ فِي أَيَّامِه، وَغَلا السِّعْرُ غَلاءً مُرْتَفِعاً. فَأَمَرَ مُنادِياً يُنَادِي فِي النَّاسِ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبْتاعَ طَعاماً بِسِعْرِ يَوْمِه بِتَأْخِيرِ عَامٍ، فَلْيَأْتِ وَكِيلَ ابْنِ عِيسَى الفَقِيه. وَأَمَرَ وكِيلَهُ أَنْ يَبْرَأَ إِلى كُلِّ مَنْ أَتاهُ بِما أَحَبَّهُ عَلَى الابْتِيَاعِ بِسِعْرِ يَوْمِهِ بِتَأْخِيرِ عَامٍ، وَأَنْ يَكتُبَ اسْمَهُ وَعِدَّةَ ما عَلَيْه. فَأَتَى وكِيلَهُ طَبَقَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَأَخَذُوا مِنْهُ حَتَّى

237- لعلها مجاعة عام 571 هـ/1175-1176م التي وردت الإشارة إليها في « **التشوف**، ص 246، وكذا في المستفاد (ترجمة يحيى التادلي (رقم 112)، وفي «**روض القرطاس**» ص. 267 حيث يقول أنه «فيها كان الغلاء العظيم بالمغرب»

238- يعلق ابن صعد على هذه الحكاية ويقول أنها «من مناقبه التي هي أشهر من المثل السيار ومن جميل مآثره التي أبقت له الذكر الجميل على مر الأعصار»، **النجم الثاقب**، مخ، 97/4

239- هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري، المعروف بالأعشى من أهل قرطبة، توفي سنة 221 هـ/835 م. انظر ترجمته في ابن الفرضي، **تاريخ**، رقم 1102؛ الحميدي، **جذوة**، رقم 106؛ الخشني، **قضاة**، ص 14-52-76-89؛ المقري، **نفح الطيب**، 62/2، ويقول ابن حيان، أنه «كان من الأجواد المتصدقين». ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق محمود علي مكي، ص 81

أوْعَبَ الهَرْيَ[240] الّذي كَانَ أباحَهُ لِذَلِكَ. فَلمَّا أوْعَبَهُ، أمَرَ مُنادياً يُنادي فِي النَّاسِ : ألاَ إنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ لمحَمَّدِ بْنِ عِيسى الفَقِيهِ عِنْدَهُ شَيْءٌ، فَقَدْ وَضَعَهُ لَهُ. فعُوتِبَ فِي ذَلِكَ وقِيل لَهُ : لوْ تَصَدَّقْتَ به، أما كَانَ أفْضَلَ؟ فَقَالَ لَهُمْ : لوْ أخْرَجْتُهُ عَلى وَجْهِ الصَّدَقَةِ، لَمْ يَأخُذْهُ إلّا مَنْ يَأخُذُ الصَّدَقَةَ، وَهَكذا أخَذَهُ الشَّرِيفُ المحْتاجُ، والمُنْقَبِضُ والمُتَعَفِّفُ وكُلُّ نَمطٍ. فَعَظُمَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بِذَلِكَ، وشَرُفَ بِهَذِهِ المكْرُمَةِ، مَعَ شَرَفِهِ الَّذِي كَانَ بِه مِنَ العِلْمِ[241]، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى، ونَفَعَ بعِلْمِهِ وعَمَلِه.

27= أبُو عَبْدِ اللّهِ، مُحَمَّدٌ الأزْجانيّ[242]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أبُو عَبْدِ اللّهِ، /67/ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الأزْجَانِي. [كان] يَسْكُنُ، رَحِمَهُ اللهُ، بِصَفْروي[243]، عَلَى نَحْوِ إثْنَيْ عَشَرَ مِيلاً مِن فاسَ. كَانَ مِنْ أهْلِ الانْقِطَاعِ إلى اللّه تَعَالى، صَاحِبَ كَرَامَاتٍ ومُكاشَفَاتٍ.

أخْبَرَنِي الفَقِيهُ أبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ ابْنُ الشَّيْخِ الصَّالِحِ الخَطِيبِ أبِي عِمْرَانَ، مُوسَى

240- أوعب : أسلف، و الهري : بيت يجمع فيه الطعام ، والجمع أهراء (لسان العرب، مادة وعب - هرا؛ القاموس المحيط، هرى ج4/403)

241-انظر الحكاية، مع اختلاف بسيط في اللفظ، في : أخبار الفقهاء والمحدثين للخشني (ت. 361 هـ)، ط . دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص 80-81

242- أصله من أزكان بناحية صفرو، توفي بعد التسعين وخمسمائة. و أفرد له ابن الزيات ترجمة واسعة في التشوف، رقم 191، ص 365-368 ومنها يعرف أنه «كان في شبيبته يلعب ويغني في الأعراس» وأنه من تلامذة أبي اسحاق الميورقي الواعظ (ص 365) كما كانت له رابطة بصفرو (ص 366)

243- صفروي ذكرها البكري بهذا الاسم، (المغرب في ذكر بلاد المغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، ص 146) نزهة المشتاق، 243-249؛ و الاستبصار، 193، ونطقها الحالي : صفرو. أما زيادة الياء لها فيرجع أن يكون إما نطقاً قديماً أو تصحيفاً عند البكري اقتفى فيه، حسب ذ. احمد التوفيق (انظر : التشوف، ص 366 هامش 141)

بْنِ إبْراهيمَ [244]، أنَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَيْهِ مَعَ جَمَاعةٍ زَائِرينَ لهُ، فَلَمَّا سَلَّمْنَا عَلَيْهِ، قَالَ لأحَدِنا : يَا فُلانُ! ما هَذَا الَّذِي تَعْمَلُ؟ تُعِيدُ الصَّلَواتِ الْفَائِتَةَ يَوْماً واحِداً فِي كُلِّ يَوْمٍ، وكَأنَّك تَعِيشُ أبَداً. فَهَلَّا [245] ثَلاثَةَ أيَّامٍ أوْ نَحْوَها. فَاعْتَرَفَ الرَّجُلُ بما ذَكَرَ الشَّيْخُ. رَحِمَهُ اللَّهُ، ونفَعَهُ بِهِ وَبِنِيَّتِه.

28= أبُو مُحَمَّد، عَبْدُ الوهَّابِ السَّلاجِيّ

وَمِنهُمْ الشَّيْخُ أبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ الوَهَّابِ السَّلالِجِيّ [246]. صَاحِبُ كَرَامَاتٍ. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

أخْبَرَنِي أبُو الحَسَنِ عَلِيّ، أنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ يَوْماً فَجاءَهُ رَجُلٌ مِنَ التُّجَّارِ فَقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ ! المَتاعُ الَّذِي كُنْتُ أتَعَيَّشُ بِهِ، سُرِقَ لي البَارِحَةَ كَمَا هُوَ؛ وكَانَ حِمْلاً مِن المالِ. فدَخَلَ الشَّيْخُ المَسْجِدَ، وأقَامَ فِيه سَاعَةً، ثُمَّ خَرَجَ مِن المَسْجِد، وَقَالَ لِلرَّجلِ : اتْبَعْني. فَمَشى خلْفَهُ حَتَّى خَرجَ مِنَ البَلَد نَحْواً مِنْ خَمْسَةِ أمْيَالٍ. فَدَخَلَ الشَّيْخُ أبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الوهَّابِ الغَارَ، /68/ وَمَعَهُ الرَّجُلُ صاحِبُ المتاعِ، فَإذا الحِمْلُ فِي آخِرِ الغَارِ. فَقَالَ لَهُ : ارْفَعْ مَتَاعَكَ. فَرَفَعَ الرَّجُلُ مَتَاعَهُ عَلَى دابَّةٍ، وانْصَرَفَ بِهِ وَهُوَ يَشْكُرُ اللَّهَ.

وشَكَا لَهُ قَوْمٌ مِمَّنْ يَقْطَعُ الخَشَبَ أنَّ حَجَراً فِي طَرِيقِهِمْ يَمْنَعُ الطَّرِيقَ، فَقَالَ لَهُمْ : يكْفِيكَهُمُ اللهُ [247]. فَأصْبَحُوا وقَدْ زَالَ الحَجَرُ مِنْ مَوْضِعِهِ إلى أسْفَلِ خَنْدَقٍ هُناكَ. وكَانَ ذَلِكَ الحَجَرُ لا تُطِيقُ الجَمَاعَةُ أنْ تحَرِّكَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ لِأنَّهُ كَالجَبَلِ، فَكَيْفَ أنْ تُزِيلَهُ !

244- أفرد التميمي ترجمة خاصة لأبي عمران موسى بن إبراهيم (رقم 81)

245- هلّا = لوم على ما مضى وتحضيض على ما يأتي (لسان العرب : مادة هلل، ص 709

246- بيت بني السلالجي «بيت ثروة ونقه» حسب صاحب بيوتات فاس الكبرى، ص 45

247- لعلها إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾، سورة البقرة، 135

أَخْبَرَنِي التَّاجِرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلاجِيُّ عَنْ مَنْ أَخْبَرَه، أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ الوَهَّابِ راقِداً فِي الشَّمْس فِي زَمَنِ الصَّيْفِ، وَسَحابَةٌ عَلَيْهِ تُظِلُّهُ مِنَ الشَّمْسِ، وَهِيَ لا تَعْدُو عَلَيْهِ بِحدِّها. رَحِمَهُ اللَّه وَنَفَعَ بِهِ، (كَذَا كَانوا، ولكِن بَانوا).

29= أَبُو الْحَسَن الغُزِّي

وَمِنْهُم الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الغُزِّيّ. أَصْلُهُ مِنَ الأَنْدَلُس، واسْتَوْطَنَ مَدِينَة فاس، وَتُوُفِّيَ بِها، رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ الحَقِّ المُومِنَانِيُّ[248] -وكَانَ مِنْ أَصْحَابِه- أَنَّهُ خَرجَ عَنِ النَّاسِ وَهُوَ ابْنُ سَبْع سِنِين، وَأَقامَ مَعَ الأَوْلِيَّاءِ والسُّيَّاحِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عاماً. وبَعْدَ ذَلِكَ رَجَعَ إِلَى النَّاسِ وخَالَطَهُمْ. وكَانَ مُجابَ الدَّعْوَةِ، أُخْبِرْتُ عَنْهُ أَنَّهُ دَعَا عَلَى رَجُلٍ -وكَانَ يَسْكُنُ فِي قَرْيَةٍ- /69/ فَاحْتَرَقَتِ القَرْيَةُ. وكَذَلِكَ دَعَا لامْرأَةٍ كانَتْ مُقْعَدَةً فَوَقَفَتْ. رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، ورُزِقْنا بَرَكَتَهُ بِمَنِّهِ وكَرَمِه.

248- يبدو أنه ينتسب إلى «بلد بني مومنان من حوز فندلاوة عمل فاس». ابن الأبار، التكملة، ط. الهراس، ج2، ص 167، وينتسب إليها بعض الأعلام المشهورين مثل النقيه الإمام المفتي المدرس محمد بن عيسى المومناني الشريف الحسني، قاضي قرطبة ومراكش على عهد الموحدين والمتوفى مقتولاً سنة 639 هـ (الاعلام ، ج 3/ 139؛ جذوة الاقتباس، 215)

30= مُحَمَّدُ بنُ سَالِمٍ الشِّلْبِيّ [249]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ. أَصْلُهُ مِنَ الأَنْدَلُسِ، وَاسْتَوْطَنَ مَدِينَةَ فاس. كَانَ مِنْ أَهْلِ الخَلْوَةِ وَالانْفِرادِ والسِّيَاحةِ، كَثِيرَ الصَّمْتِ، ظاهِرَ الوِلايَةِ.

أُخْبِرْتُ عَنْهُ [250] أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ جَماعةٍ فِي السِّيَاحَةِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، فَأَصَابَهُمْ عَطَشٌ شَدِيدٌ، ولَمْ يَجِدوا مَاءً. فَقَالَ لهُمُ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : تَسْتُرونَ عَلَيَّ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ. فَدَخَلَ البَحْرَ حَتَّى بَلَغَ المَاءُ إلى صَدْرِهِ [251]، ثُمَّ أَخَذَ يَغْرِفُ بِكَفَّيْهِ، وَسَقاهُمْ ماءً عَذْباً حَتَّى رُووا جَمِيعُهُمْ. اشْتُهِرَ عَنْهُ ذَلِكَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى، وَنَفَعَ بِهِ وبِهِمْ، ورَزَقَنا بَرَكَتَهُ وبَرَكَتَهُمْ بِمَنِّه [252].

249- ابن سالم الشِّلْبِي، أصله من شلب، وبعد فشل ثورة ابن قسي ومقتله جاز إلى هذه العدوة فنزل بمدينة سلا ثم استقر أخراً بفاس. يوصف بأنه كان «ولياً صالحاً زاهداً عابداً عالماً من أفاضل الأولياء له كرامات كثيرة، ونقل عنه أنه واصل مدة أربعين يوماً وكان كلامه -رحمه الله- أمثالاً يعده من لمْ ينتبه له لغواً» وقد أورد له التادلي في « **التشوف**» بعض الكرامات لم ترد في« **المستفاد**»، ونقلها عنه كل من ابن صعد في النجم الثاقب والكتاني في **سلوة الأنفاس** وابن القاضي في **جلوة الاقتباس**

انظر ترجمته في : ابن صعد، **النجم الثاقب**، مخ. المكتبة الداودية بتطوان رقم 53 ص ع ن، الجزء الرابع ورقة 100 **التشوف**، عدد 130، ص287-288، **جلوة الاقتباس**...م.س ص 275، **سلوة الأنفاس**، 270/3، وقد ورد ذكر اسمه في : **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة** لأبي العباس بن العريف، دراسة وتحقيق دة. عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص 208

250- أورد ابن الزيات الكرامة التالية عن مخبره أبي العباس أحمد بن ابراهيم الأزدي (**التشوف**، ص 288)

251- في **التشوف** (ص 288) وفي **النجم الثاقب** (ورقة 100) : سرته

252- انظر كرامة مشابهة أوردها المالكي في **رياض النفوس** م.س. ج2/ ص 347

31= مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ السَّقَطِيِّ

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ[253]. مِنْ أَصْحَابِ شَيْخِ الشُّيوخِ، أَبِي مَدْيَنَ، رَحِمَهُما اللهُ. كَانَ مِنْ أَهْلِ التِّلاوَةِ لِلقُرْآنِ، طَيِّبَ النَّغْمَةِ. إِذَا سَمِعْتَهُ عَلِمْتَ أَنَّهُ مِمَّنْ يَخْشَى اللهَ.

اجْتَمَعْتُ بِهِ لَيَالِيَ عَدِيدَةً، وكَانَ مِنَ المجْتَهِدِين، يُحْيِي أَكْثَرَ اللَّيْلِ صَلاةً.

أَخْبَرَنِي الحَكِيمُ[254] أَبُو الخَطَّاب وكَانَ يُجاوِرُه دارَهُ /70/ بإزاءِ الْمَنْزِلِ الَّذي لِلشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللهِ. قَالَ : ما اسْتَيْقَظْتُ قَطُّ باللَّيْل إِلَّا سَمِعْتُهُ يَقْرأُ ويُرَدِّدُ الآيَةَ بَعْدَ الآيَةِ ويَبْكي. وكَذَلِكَ كانَتْ عادَتُهُ. رَحِمَهُ اللهُ ونَفَعَهُ بِذَلِكَ. وَإِذا اجْتَمَعَ الإِخْوانُ بِمَنْزِلِ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ، لا يَقُومُ غَيْرُهُ لِلصَّلاةِ إِذَا حَضَرَ، لِفَضْلِهِ وَحُسْنِ إيرادِهِ وَطِيبِ صَوْتِهِ. ولَقَدْ حَضَرْتُ مَعَهُ لَيْلَةً، فَتَقدَّمَ يُصَلِّي بِمَنْ حَضَرَ، فَاسْتَفْتَحَ بِسورَةِ الأَنْفال، حَتَّى بَلَغَ إِلى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤمِنُونَ الَّذينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[255]، فَكَرَّرَهَا وَخَشَعَ وبَكى، وَأَخَذَتْهُ حالَةٌ، ثُمَّ عَمَّتْ حالَتُهُ عَلَى مَنْ حَضَرَ. فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُها وَيَبْكي حَتَّى مَضَت بُرْهَةٌ مِنَ اللَّيْلِ والنَّاسُ خَلْفَهُ يَبْكُونَ. ولَقَدْ ذَكَّرَني بِحالِهِ وَحَالَةِ مَنْ خَلْفَهُ قَوْلَ القائِلِ :

[الخفيف]

كُلُّ إِلْفٍ بِإِلْفِهِ مَشْغُوفُ # وا لمحِبُّونَ فِي الظَّلامِ وُقُوفُ

253- هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري السقطي، انظر عنه : أنس الفقير، 39؛ وقد وصفه بـ «الشيخ الصالح» وورد ذكر اسمه في مواضع عدة من « التشوف» انظر الفهرس، ص 504، ولم يترجم له.

254- مصطلح «الحكيم» هنا يقصد به الطبيب، كما يستشف من كلام التميمي عن الحكيم ابن عمار وحانوته في فاس الموحدية (ترجمة رقم 17).

255- سورة الأنفال، 2

قَـدْ نَـفى النَّـومَ عَـنْـهُـمْ واجْـتَـبـاهُـمْ # مالِـكٌ مَـاجِـدٌ رَؤُوفُ
وَسَـقاهُـمْ مِـنَ المحَبَّـةِ كَأْسـاً # فَـهُـمْ دَهْـرَهُم عَلَيْـهِ عُـكـوفُ
لَـوْ تَـراهُـمْ إِذَا هَـدتْ كُلُّ عَـيْنٍ # ولَـهُـمْ مَـدْمَـعٌ غَـزِيـرٌ ذرُوفُ
يَنْـقَـلِبُـونَ فِـي المحـارِبِ خَـوْفاً # بِقُـلُوبٍ لَـها هُـنَـاك رَجِـيفُ
/71/ رَفَـضُوا الحِـلَّ والحَـرَامَ جَمِيعاً # لَهُـمُ الفَقْرُ فِي الحَيـاةِ حَلِـيفُ
قَدْ تَـخَـلَّوْا عَـنِ العِبـادِ اجْتِـهاداً # فَاحْتَـوَتْـهُمْ مِـنَ القِفَـارِ الكُـهُـوفُ
فَـبِـهِمْ يُـدْفَـعُ الـبَلاءُ ويُسْـقَـى # وَبِـهِمْ يَنْـجَلِي لعَـمْري الكُـسُـوفُ

32= أَبُو يَحْيى المَكْلاتِيّ

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الفَقِيهُ، أَبُو يَحْيى المِكْلاتِيّ. كَانَ فاضِلاً تَقِيّاً صَوَاماً قَوَّاماً، مُتَبَتِّلاً زاهِداً مُتَواضِعاً. وكَانَ يُدَرِّسُ الفِقْهَ. وكَانَتْ لَهُ أَحْوالٌ سَنِيَّةٌ، ورُتَبٌ فِي التَّواضُعِ عَلِيَّةٌ؛ لا يماشِيهِ فِيهَا [إلاّ] الآحادُ.

حَدَّثَنِي الفَقِيهُ الأُسْتاذُ أَبُو مُحَمَّدٍ، قاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ -صَدِيقُنَا- عَنِ الشَّيْخِ الفَقِيهِ أَبِي القَاسِمِ- شَيْخِنا- عُرِفَ بِالأُصُولِيِّ[256]، أَنَّهُ قَالَ لَهُ : إِنَّ الفَقِيهَ أبا يَحيَى، لَهُ مُدَّةٌ

256- هو أبو القاسم عبد الرحمان المعروف بالأصولي. أول من نظر عليه التميمي في الفقه. ترجم له صاحب جذوة الاقتباس...م.س ،ص 393 وصاحب «سلوة الأنفاس»، 3/295-296، وكلاهما ينقلان عن المستفاد (انظر الملحق)

مِنْ أربَعينَ عَاماً صائِماً ما أَفْطَرَ فِيهَا إِلَّا فِي الأيَّامِ المَنْهِيِّ عَنْ صِيامِهَا. ومَعَ هَذَا فَكَانَ قَليلَ الكلامِ؛ لا يَتَكلَّم إلَّا فيما يَعْنِيهِ، ليْسَتْ لَهُ حِرفَةٌ يَشْتَغِلُ بِها غَيْرَ عِبادَةِ مَوْلاهُ وتَعْليمِ العِلْمِ. ولَقَدْ كَانَ يُذكِّرُني حَالُهُ ما جَاءَ مِنْ أمْثالِ العُبَّادِ، وَهُو : (مَنْ نَفَقَتْ سوقُ دينِه، كَسَدَتْ سوقُ حُظُوظِهِ)، وَ (مَا لَمْ تحلْ مِنْكَ مَنازِلُ الشَّهَواتِ، لَمْ تَعْرِفْكَ مَسَاجِدُ الطَّاعاتِ)، و(لا يُعَمِّـرُ مَواطِنَ الطَّاعاتِ، إلَّا مَنْ خَرَّبَ دِيارَ الرَّاحاتِ)، إنْ شَاءَ اللَّهُ، واللَّهُ أعلَم. لَقَدْ كَانَ مِمَّنْ قَالَ فيهِم رَسولُ /72/ اللهِ ﴿ﷺ﴾: «رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ ذي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأبَرَّهُ»[257] نَفَعَهُ اللهُ بِصالِحِ عَمَلِه، وَنَفَعَنا بِبَرَكَتِه.

257- سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب 54-65

33= أَبُو خَزَر، يَخْلِفُ الأَوْرَبِيّ[258]

وَمِنْهُم الشَّيْخُ الفَقِيهُ أَبُو خَزَرٍ، يِخْلِفُ[259] بْنُ خَزَرٍ الأَوْرَبِيُّ[260]، رَحِمَهُ اللَّهُ. كَانَ خَيِّراً فاضِلاً تَقِيّاً صَوَّاماً قَوَّاماً، مُتَوَاضِعاً مُنْقَطِعَ القَرِينِ فِي عَصْرِهِ[261]، مُنْفَرِداً عَنِ النَّظِير[فِي

258- ترجمته في **التشوف** (عدد 55، ص 177-179)؛ **أنس الفقير**، 23 ; ابن عيشون، **الروض العطر**...م.س.، ص 204؛(نقلاً عن **المستفاد** ويقول - عكس ما هو مثبت في النص المحقق من المستفاد أن التميمي لم يذكر تاريخ وفاته)؛ القرطاس، 225، 268؛ ، **جلوة الاقتباس**...م.س،561 ؛ **بيوتات فاس**، ص 42؛ **نيل الابتهاج**، 360؛ **سلوة الأنفاس**، 49/2؛ **زهر الآس**، 396/1-397وأشار إليه الشيخ المدرع في **منظومته في صلحاء فاس**(ورقة13) مع رجل آخر يقال له سيدي محمد المالقي، فقال:

وارجع إلى الشيخ الولي أبي خزر # كأنه في علمه بحـــر زخـــر

ذو البركات الساطعات الظاهـــرة # الواضحات البينات الباهرة

ومنهـــــم محمـــــد أعنـــــي بـــه # المالقي بروضـــة من قـــربه

259- خَزَر : نظر بمؤخرة عينه. ويخْلفْ أو إخْلفْ يطلق اسماً إلى عهد قريب على المولود الذي يخلف فقيداً حسبما يورده ذ. احمد التوفق (**التشوف**، ص 177، هامش 339).

260- بيت بني الأوربيين نسبة إلى قبيلة أوربة البربرية، التي استقرت بجبل زرهون، ويعتبر هذا البيت «بيت فقه وصلاح» اشتهر منهم أبو خزر يخلف هذا الذي يصفه صاحب **بيوتات فاس الكبرى** بـ «الفقيه العلامة المدرس المفتي الولي الصالح» المدفون بداخل باب الفتوح على مقربة قبور مجموعة من الصلحاء كأبي عبد الله الرومي وأبي زيد الهزميري ومحمد الفشتالي. انظر: **بيوتات فاس الكبرى**، ص 42. وذكر محمد بن جعفر الكتاني المتوفى سنة 1927 أن ضريحه «سوي الآن بالتراب وأحدثت فيه وفيما هو قريب منه بناءات فاندثر لأجل ذلك وجهل ولم يبق من يعرف عينه» **سلوة الأنفاس**، ج2/50-51

261- يبدو أنه كان معاصراً لأبي الحسن علي ابن حرزهم، وكان الرجلان يتمتعان بمكانة كبرى بين ساكنة المدينة. ولعل العلاقة بين الرجلين الفاسيين اللذين جمعتهما المعاصرة قد شابها نوع من التنافس المضمر حول الزعامة الروحية بالمدينة كما يستشف من رواية أوردتها كتب المناقب، وتقول «أن رجلا أتى إلى علي بن حرزهم وقال له : رأيت في النوم شمعتين إحداهما بعدوة الأندلس، والأخرى بعدوة القرويين، فقال له أبو الحسن : وكانت التي بعدوة الأندلسيين أكثر ضوءا فقال : نعم، فقال له ابن حرزهم : هذه الرؤيا مفسرة، أبو خزر هو الشمعة التي كانت بعدوة الأندلس، وأنا التي رأيت بعدوة القرويين، وقل ضوءها لما أنا عليه من المزح مع الناس». **التشوف**، ص 178؛ **الروض العطر الأنفاس**، م. س. ص 205؛ **جلوة الاقتباس**، ص 561

عَصْرِهِ] [262]، الغَالِبُ عَلَيْهِ الفِقْهُ فِي المَسائِلِ، صَاحِبَ كَرَامَاتٍ [263]، مُشْتَغِلاً بِوقْتِهِ، لا يَعْرِفُ ما النَّاسُ فِيهِ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ، أَحْمَدُ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمانِ بْنُ خَزَرٍ -وَهُوَ ابنُ أَخِيهِ- قَالَ : كَانَ يوماً عَلَى بابِ مَنْزِلِهِ، إِذْ خَطَرَ [264] عَلَيْهِ بَعْضُ جيرانِهِ بقُلَّةٍ مِنْ شَرابٍ مُسْكِرٍ، فَقَالَ لَهُ الفَقيهُ : ما هَذِهِ القُلَّةُ؟ سَمْنٌ هِيَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ. فَقَالَ : بارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ الرَّجُلُ : فَأَقامَتْ عِنْدِي مُدَّةً حَتَّى شَمَمْتُها، فَأَرَقْتُها.

أَخْبَرَنِي أَبُو العَبَّاسِ المذكور، أَنَّهُ جَاءَ لِلفَقيهِ ضَيْفٌ، فَبَعَثَنِي وَأَعْطاني قِطْعَةً، وَقَالَ لي : اشْتَرِ بِها لحماً لِعَشَاءِ الضَّيْفِ، قَالَ : فَاشْتَرَيْتُ [لَهُ ذَلِكَ] [265]. فَلَمَّا وَصَلْتُ بِهِ إِلَيْهِ، قَالَ لي : هَذَا الضَّيْفُ مِمَّنْ يُحِبُّ اللَّبَنَ. [فَقُلْتُ لَهُ : ما هَذا وَقْتُ اللَّبَنَ] [266]، وكَانَ فِي وَقْتِ غَيْرِ اللَّبنِ. قَالَ : فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ. فَلَمَّا كَانَ /73/ وَقْتُ العَشاءِ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي البَيْتِ، فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ إناءً كَبيراً مَليءَ لَبَناً بُعِثَ بِهِ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ وَلا تَعَرُّضٍ. وَما كَانَ ذَلِكَ إِلَّا كَرامَةً أُكْرِمَ بِها الشَّيْخُ.

262- في بعض نسخ الروض العطر (ص204، هامش 393): في مصره. واستعمل التميمي هذا الوصف (متواضعاً منقطع القرين في عصره، منفرداً عن النظير في مصره) في ترجمة أبي بكر بن عثمان ابن مالك (انظر ترجمة رقم 115)

263- أورد له ابن الزيات كرامتين (التشوف، 177-178)، نقلهما ابن عيشون بدوره وزاد عليها قائلاً (ص 206) : «ومما يروى من بركته أنه قعد بموضع عين أبي خزر من مدينة فاس وليس هناك ماء فاستقى ماء الوضوء فلم يجده فركز عكازه بالأرض وجذبه فخرجت هناك عين عذبة سميت بكنيته». ويضيف صاحب السلوة قائلاً (ج2. ص 49): «ولم يزل ماؤها كثيراً مريحاً يعام فيه ويضرب للعائم إلى الثدي إلى أن أنشأ الفقيه القاضي الخطيب الكاتب صاحب العلامة أبو القاسم عبد الله بن الفقيه القائد يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي المالقي عرصته التي اغترس بإزائها فانهد الحائط المجاور لها فوقع فيها فغار أكثر الماء ولم يبق منه إلا ما قل دون الثلث».

264- في الأصل : أخطر وفي الروض العطر : مر

265- زيادة من الروض العطر، ص 204

266- زيادة من الروض العطر

وَقَالَ لي أَبُو العَبَّاسِ المَذْكورُ : وكَانَ مِنْ عادَةِ الشَّيْخِ إِذَا خَرجَ مِنَ المَسْجِدِ الجَامِعِ، وَتَوارَى عَنِ الماشي خَلْفَهُ لحَائِطٍ أَوْ رَابِغَةٍ [كذا] [267]، لا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُدْرِكَهُ إِلَّا فِي مَوْضِعِ مُسْتَقَرِّهِ، وَلَوْ جَرَى خَلْفَهُ. وكَانَ الشَّيْخُ لا يَزيدُ عَلَى عَادَتِهِ فِي المَشْيِ.

أَخْبَرَنِي الفَقيهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٌ، صَديقُنَا، عَمَّنْ حَدَّثَهُ مِنَ الثِّقَاتِ أَنَّ الفَقيهَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، كَانَ يَحْرُثُ بِبَلَدِهِ بِزَوْجٍ. فَإِذا كَانَ وَقْتُ دَفْعِ الخَراجِ الَّذي عَلَى الأَرْضِ، [268] يَقُولُ أَهْلُ بَلَدِهِ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ : نُخْرِجُ زَوْجَ الفَقيهِ مِنَ الزِّمامِ، فَيَقولُ لَهُمُ الفَقيهُ : لا تَفْعَلُوا ذَلِكَ، لأَنَّكُمْ إِذَا أَسْقَطْتُمُوها عَنِّي، رَجَعَتْ عَلَى البَاقِينَ مِنَ الحَارِثِينَ، فَهَذا لا يُمْكِنُنِي فِعْلُهُ، وَلَوْ سَقَطَتْ مِن الأَصْلِ، ولا يُرْجَعُ بِكِرائِها عَلَى أَحَدٍ لَقُبِلَتْ مِنْكُمْ. فَوَصَلَ ذَلِكُمْ النَّاظِرَ فِي أَمْرِ الخَراجِ، فَأَخَذَ لَهُ ظَهِيراً مِمَّنْ لَهُ الأَمْرُ بِإِسْقَاطِ ذَلِكَ عَنْهُ، ولا يُرْجَعُ ما

267- ترد كلمة الحائط بمعنى بستان أو جنان أو مغرس أو مزرعة يحده حائط أو سياج. أما كلمة «رابغة» فلم أهتد إلى معنياها. وقد ذكر الجزنائي في **زهرة الآس** (رابغة ابن الغرديس) ويعتقد ذ. عبد الوهاب بن منصور محقق جنى **زهرة الآس** (ص 110) أن كلمة رابغة قد تكون محرفة عن (رابطة) أو عن (تربيعة)، إلا أن ورودها في النص بعد كلمة الحائط قد تفيد أنها متعلقة بشيء له علاقة بالمشهد الزراعي. وقد وردت الكلمة في صيغة الجمع للدلالة على الحوانيت أو ما في معناها في ظهير مؤرخ بجمادى عام 1010 هـ/ 1601م صادر عن الشيخ المامون نيابة عن والده السلطان أحمد المنصور الذهبي يعهد به «لكافة التجار أهل حضرتنا فاس[...] معتمري حوانيت القبة الكبرى من قيسريتها والقبة الصغرى والسماط وما بها من الروابغ والجهات» (انظر : محمد ميارة(ت. 1072 هـ)، **تصيحة المغترين ...**» ذكره محمد الأمين الشامي، «مسألة من أسلم من بني إسرائيل بالمغرب...، أطروحة لنيل الدكتوراة في الآداب، كلية الآداب بتطوان، 2001-2002، نسخة مرقونة، ص 67

268- من المعلوم أن حق الملكية في النظام الموحدي قد كان موقوفاً على الجهاز الحاكم ومن إليه من موحدي مصامدة الجبل بالدرجة الأولى أما معظم بقية الأهالي، فالغالب أن هذا الحق قد انتزع منهم حسبما يبدو. فالموحدون قد اعتبروا أن بلاد المغرب الأقصى قد فتحت عنوة في جملتها، وبالتالي لم يتورعوا عن الاستحواذ «شرعاً» على الأراضي الفلاحية بمختلف أصنافها والتعامل مع ملاكها الأصليين «بمثل ما تعامل به الفاتح الإسلامي مع المغلوب من «أهل الذمة»، أو أشد بكثير في بعض الأحيان. وهكذا تم «التنازل» للأهالي عن مجرد حق الاستغلال مقابل ما أصبح يسمى في الفترة الموحدية بالخراج». انظر : محمد القبلي، **حول بعض مضمرات التشوف**، م. س.، 75-77؛ نفسه، **الدولة والولاية والمجال...**، ص 48؛ نفسه، **حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط** ص 28- 29

يَنُوبُهُ عَلَى أَحَدٍ، فَرَضِيَ بِذَلِكَ. رَحِمَهُ اللهُ وَنَفَعَ بِهِ. تُوُفِّيَ عامَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ وخَمْسِمائَةٍ[269].

34= أَبُو إِسْحَاق، إبراهيم ابن يَغْمُر

/74/ وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الفَقِيهُ أَبُو إِسْحَاقَ، إِبْراهِيمُ بْنُ يَغْمُر[270]. رَحِمَهُ الله. كَانَ الفَقِيهُ أَبُو إِسْحَاقَ، عَالماً فَاضِلاً عَابِداً مُجْتَهِداً خَاشِعاً مُتَواضِعاً كَرِيمَ الأَخْلاقِ، يُحِبُّ النَّاس، كَثِيرَ الزِّيَارَةِ لإِخْوانِه ولِمَنْ دُونَهُ فِي السِّنِّ وَالعِلْمِ والفَضْلِ. وكَانَ يَدْعُو بِالخَيْرِ لِمَنْ يُؤْذِيه، واقِفاً عَنِ الشُّبُهاتِ، لا يُدانِيه فِي وقْتِه أَحَدٌ، شَدِيدَ الغِلْظَةِ فِي الحَقِّ. وَثِقَ بِاللهِ فَحَماهُ اللهُ تَعَالَى، وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ فَكَفَاه. وكَانَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ أَدَبٌ بَارِعٌ، وَعَقْلٌ رَزِينٌ، وزُهْدٌ فِي كُلِّ ما يَتَنافَسُ فِيهِ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَشْباهِهَا.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَصَلْتُ إِلَيْهِ يَوْماً زَائِراً، فَوَجَدْتُهُ خَالِياً فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وقُلْتُ لَهُ : أَوْصِنِي يا سَيِّدِي. فَقَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ ! العُمُرُ ثَلاثُ سَاعَاتٍ : فَساعَةٌ مَضَتْ عَنْك، لا تَنْجَبِرُ، وَساعَةٌ تَنْتَظِرُها، لا تَعْلَمُ هَلْ تُدْرِكُهَا، وَالسَّاعَةُ التِي أَنْتَ فِيهَا، فاحْفَظْهَا، واعْمُرْها بِالطَّاعاتِ تَرْبَحْها.

269- **القرطاس**، 225، 268؛ (جعل تاريخ وفاته سنة 578 هـ/1182-1183م) أما ابن القاضي فجعلها سنة 572 هـ/1176-1177م (**جذوة الاقتباس** ،561). وذكر ابن عيشون الذي ينقل عن التميمي -وربما من نسخة غير نهائية- أن هذا الأخير لم يذكر تاريخ وفاة ابن خزر، (**الروض العطر**، ص 206) وأنه دفين خارج باب الفتوح.

270- قرأها المرحوم محمد المنوني : يعمر (لقطات دفينة من كتابين في المناقب، ضمن كتاب **التاريخ وأدب المناقب**، الرباط، 1989، ص 12) أما د. محمد بنشريفة فرسمها : «يغمور». ويعتقد أنه كان يرافق الشيخ أبا وزاغار تيفاوت ابن علي المشنزائي» إلى زيارة رباط شاكر، محيلاً على ص 394 من كتاب **التشوف**.لكن ابن الزيات يتحدث عن الفقيه أبي ابراهيم بن يغمور، أي والد الفقيه أبي اسحاق ابراهيم بن يغمر. انظر ؛ د. محمد بن شريفة، «الماجريون»، ضمن كتاب : **أبو محمد صالح ؛ المناقب والتاريخ**، ...م.س.، ص 32

أَخْبَرَنِي الثِّقَاتُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَصُومُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَكَانَ يُؤْتَى بِإِفْطَارِهِ، فَيُوضَعَ لَهُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ يَنْفَرِدُ فِيهِ. فَإِذَا أَصْبَحَ، يُوجَدُ ذَلِكَ الطَّعَامُ بِحَالِهِ/75/لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئاً؛ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَيَالِيَ شُغْلاً عَنْهُ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّعَبُّدِ وَالْفِكْرَةِ.

وَيُشْبِهُ فِعْلَهُ هَذَا مَا رُوِيَ عَنْ يَزِيدَ الرُّقَاشِيِّ[271] أَنَّهُ كَانَ إِذَا كَانَ وَقْتُ إِفْطَارِهِ، فَيُوضَعَ قُرْصٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَذْكُرُ الْعَرْضَ عَلَى اللهِ، فَمَا يُفْطِرُ لَيْلَتَهُ.

أَخْبَرَنِي الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ ابْنِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ، أَبِي إِسْحَاقَ بْنَ يَغْمُرَ، أَنَّ جَدَّهُ لَمَّا كَانَ بِدُكَّالَةَ،[272] كَانَ يُدَرِّسُ الْعِلْمَ، وَيَجْتَمِعِ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَيَنْتَفِعُونَ بِكَلَامِهِ وَمَجْلِسِهِ. فَسَمِعَ بِهِ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِمَّنْ كَانَ بِتِلْكَ الْجِهَةِ مِمَّنْ لَهُ لِسَانٌ وَصَوْلَةٌ، فَعَمِلَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَقَصَدَ الْكَلَامَ مَعَهُ وَإِفْحَامَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَإِ. فَوَصَلَ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الَّذِي كَانَ يَقْعُدُ فِيهِ، فَلَمْ يَجِدْهُ وَصَلَ. فَلَمَّا وَصَلَ الْفَقِيهُ أَبُو إِسْحَاقَ لِلْمَوْضِعِ، أُعْلِمَ بِوُصُولِهِ ذَلِكَ الْفَقِيهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ الْفَقِيهُ فِي تَمْشِيَةِ مَجْلِسِهِ عَلَى عَادَتِهِ، وَالرَّجُلُ الْوَاصِلُ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ. فَلَمَّا فَرَغَ الْفَقِيهُ مِنْ مَجْلِسِهِ قِيلَ لِلرَّجُلِ الْوَاصِلِ : لِمَ لَمْ تَتَكَلَّمْ لِلْفَقِيهِ، وَلَا اعْتَرَضْتَهُ فِي شَيْءٍ، كَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ تُفْحِمُهُ؟ فَقَالَ لَهُمْ : وَاللهِ مَا وَجَدْتُ فِي قَلْبِي حَرْفاً أَتَكَلَّمُ بِهِ، وَكَأَنِّي سُلِبْتُ مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ. وَاعْتَرَفَ بِفَضْلِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ، وَبَقِيَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُسْتَمِعاً /76/ لِكَلَامِهِ وَاعِياً لَهُ، مُسْتَفِيداً مِنْهُ. ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ إِلَى مَوْضِعِهِ

أَخْبَرَنِي الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ الْمَذْكُورُ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، أَنَّ جَدَّهُ الْفَقِيهَ أَبَا إِسْحَاقَ

271- يزيد بن أبان الرقاشي، ترجمته في : **حلية الأولياء**، ج3/50-54

272- د كالة :منطقة سهلية واسعة ما بين نهر أم الربيع شمالاً ووادي تانسيفت جنوباً. واطلقت التسمية على كل من المنطقة وسكانها كما نجد عند ابن خلدون الذي يطلق اسم «دكالة» على قبائل مصمودة السهل مرة، وعلى الإقليم مرة أخرى. (**العبر**، 6/426-201.) وقدر ابن قنفذ (**انس الفقير**، 47) طولها بمسيرة أربعة أيام وكذلك عرضها (حوالي200كلم مربعاً) وانظر : أحمد بوشرب : **دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور**، الدار البيضاء، 1984، ص46-50؛ نفسه : مادة «دكالة»، **معلمة المغرب**، الجزء 12، ص 4052-4056

المذكور، فِي وَقْتِ إقامَتِه بِدُكَّالَة، كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ جمَاعَةٌ كَثيرةٌ، وَفيهِمْ أَوْلِيَاءُ وَمُنْقَطِعُونَ، وَأَنَّهُ يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ خَرَجَ مِنْ مَجْلِسِهِ نَحْوَ البَحْرِ، فَإِذا بِرَجُلَيْنِ مِمَّنْ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ ماشِيَيْنِ نَحْوَ البَحْرِ. قَالَ : فَاتَّبَعْتُهُما مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرانِ بِي، حَتَّى أَتَيَا إلى البَحْرِ، وجلسا بِمَقْرُبَةٍ مِنَ المَاءِ ثُمَّ أَخْرَجَا إِنَاءً، ثُمَّ قامَا ودَخَلا البَحْرَ، وَمَشَيَا عَلَى المَاءِ، حَتَّى غَابَا. قَالَ المحَدِّثُ : وكُنْتُ أَراهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَجْلِسِ الفَقِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ لا يَنْقَطِعانِ عَنْهُ، ولا يُؤْبَهُ لَهُمَا.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وكَانَ الفَقِيهُ أَبُو إِسْحَاقَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، مِمَّنْ عَلِمَ وَعَمِلَ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ وافَقَ عَمَلُهُ عِلْمَهُ، فَإِنَّه رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ : «يا حَمَلَةَ العِلْمِ! اعْمَلُوا بِهِ، فَإِنَّ العَالِمَ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، وَوافَقَ [عِلْمُهُ] عَمَلَهُ. وَسَيَكونُ أَقْوامٌ يَحْمِلونَ العِلْمَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ، تُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عَلانِيَتَهُمْ، وَيُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ، يَجْلِسونَ [حَلَقاً] يُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَغْضَبُ عَلَى جَليسِهِ حِينَ يَجْلِسُ إِلى غَيْرِهِ /77/ وَيَدَعُهُ، أُولئِكَ لا تَصْعَدُ أَعْمالُهُم فِي مَجالِسِهِمْ تِلْكَ إِلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[273].

وكَانَ الفَقِيهُ أَبُو إِسْحَاقَ مَعَ هذِهِ الأَحْوالِ كَثيرَ النَّفْعِ لِلنَّاسِ، يَتَصَرَّفُ فِي حَوائِجِهِم، لا يَحْقِرُ أَحَداً وَصَلَ إِلَيْهِ فِي حَاجَةٍ. بَلْ يُقْبِلُ عَلَيْهِ، وَيَأْخُذُ بِقَلْبِه، وَيَقْضِي حَاجَتَهُ إِذَا كَانَتْ، عِنْدَ مَنْ كَانَتْ؛ وَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ فِي خِصَامٍ فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ إِلَّا أَصْلَحَ بَيْنَهُمْ، وَرَضُوا بِقَوْلِه، وَانْتَهَوْا إِلَيْهِ. وَذَلِكَ بِحُسْنِ نِيَّتِهِ وَلُطْفِهِ وَسِياسَتِه. نَفَعَهُ اللهُ بِذَلِكَ، وَأَبْقَى بَرَكَتَهُ عَلَى مَنْ خَلَفَ. فَما مِنْهُمْ إِلاَّ قَمَرُ فَضْلٍ دَارَ في فَلَكِ عِلْمٍ، وَهِلالُ مَجْدٍ لاحَ في سَمَاءِ فَهْمٍ،، تَوارَثُوا المجْدَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ، وَبَاقِياً عَنْ عَابِرٍ. نَفَعَ اللهُ بِهِمْ وَحَمَاهُم وَعَصَمَهُمْ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ.

273- انظر هذه القولة في : آداب حملة القرآن، ص 20؛ سنن الدارمي، ص 118

35= أَبُو الحَسَن، عَلِيٌّ المِكْنَاسِيّ

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ حمودٍ[274] المِكْنَاسِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. إمامُ المالِكِيَّةِ بِالحَرَمِ الشَّرِيفِ. أَصْلُهُ مِن مَدِينَةِ فاسَ. كَانَ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ والعِبَادَةِ، والنُّسْكِ وَالإرَادَةِ. نَشَأَ بمَدِينَةِ فَاسَ عَلَى حَالَةٍ حَسَنَةٍ مِنَ الأَثَرِ وقِلَّةِ الخلْطَةِ، والصِّيَانَةِ الكامِلَةِ. ثُمَّ رَحَلَ إلى المَشْرِقِ لِقَضَاءِ حَجَّةِ الفَرِيضَةِ، فَاسْتَوْطَنَ بِمَكَّةَ، وَتَزَوَّجَ وَقُدِّمَ لإمَامَةِ المالِكِيَّةِ. وكَانَ مِنَ الرِّجالِ الَّذِينَ تُرْجَى بَرَكَةُ /78/ دُعائِهِمْ، وَقَرَأَ مَنَاسِكَ الحَجِّ حَتَّى أَحْكَمَها، فَفاقَ أَهْلَ وَقْتِهِ فِيهَا. أَقامَ مُجاوِراً بِمَكَّةَ، وَتُوُفِّيَ بِها عَامَ [ثلاث][275] وَسَبْعِينَ وَخَمسِمائَةٍ. وكَانَ لَهُ احْتِمالٌ وصَبْرٌ؛ يَبْلُغُ إلَيْهِ الأذَى مِنَ المَغارِبَةِ وَغَيْرِهِم، فَيَحْلُم وَلا يُكافِئ أَحَداً بِفِعْلِهِ.

274- في الأصل : بن محمد. وهو خطأ. وانظر ترجمته في **التكملة** (رقم 1917، أو ج 3/ص 244 من طبعة د. الهراس) وفي صلة **الصلة** لابن الزبير (ق 4/ص 157) وفي جذوة **الاقتباس** ص 467 (نقلاً عن التميمي جزئياً). وتتسق معطياتها مع ما يورده التميمي في **المستفاد**. فهو «إمام الحرم الشريف» وهو من أهل فاس وبها ولد، ويعرف بالمكناسي لأن أصله من مكناسة الزيتون. رحل إلى المشرق في سنة 512 هـ لأداء فريضة الحج ولقي عدداً من العلماء، ورجع بعد قضاء حجه سنة 518 هـ/1124-1125م فأقام بمدينة فاس مدة، ثم دخل الأندلس بنية الغزو والرباط، ثم عاد إلى فاس وبقي بها إلى سنة 526 هـ/ 1131-1132م. ثم رحل ثانية إلى الأندلس، ثم رحل نهائياً إلى المشرق. ووصفه ابن الزبير بعبارات لا تبتعد عن قاموس التميمي قائلاً : «كان زاهداً ورعاً، متقللاً من الدنيا، معرضاً عنها، مقبلاً على ما يقربه إلى الله تعالى، هيناً ليناً، كثير الخشوع، متواضعاً، سريع الدمعة، مشفقاً على الغرباء والضعفاء، محسناً إليهم» توفي بمكة ودفن في الصفا سنة 573 هـ/1177-1178م

275- فراغ في الأصل فوقه علامة[كذا]. مما يدفعنا إلى افتراض أن ناسخ هذه القطعة التي بين أيدينا كان ينقل من نسخة أصيلة تركت سنة الوفاة بياضاً. أما سنة وفاته المثبتة في المتن فقد أوردها ابن الأبار وابن الزبير.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الحاجُّ أَبُو الحَسَن، عَلِيُّ بْنُ عَتِيق [276]، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ : لَمَّا وَصَلْتُ إِلى مَكَّةَ اجْتَمَعْتُ بِالشَّيْخِ أَبِي الحسنِ، عَلِيِّ بْنِ حَمَد المَكْناسِيِّ، وقُلْتُ لَهُ : ما الآياتُ البيِّنَاتُ الَّتِي فِي البَيْتِ؟ فَقَالَ لِي : ذَلِكَ كَثِيرٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ واعْتَبَرَ. لا يَكادُ يَمُرُّ بِهِ يَوْمٌ مِنَ الأَيَّامِ إِلَّا رَأَى فِيهِ آيَةً. فَوَصَفَ مِنْ ذَلِكَ أَشْياءَ. فَمِمَّا وَصَفَ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مَرَّةً أَطُوفُ فِي لَيْلَةٍ مُظْلمةٍ فِي جَوفِ اللَّيْل، والمَطافُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا قَليلٌ مِنَ النَّاس. فَبَيْنَمَا أَمْشي، إِذْ رَأَيْتُ هِراً مُقْبِلاً يَمْشي عَلَى جَنْبِه، أَكْثَرَ مِمَّا عَلَى قَدَمَيْهِ مِنْ رِيحٍ أَصابَهُ أَوْ عِلَّةٍ، وَيُسْمَعُ لَهُ مِثْلُ الأنينِ. فَجاء حَتَّى صارَ تَحْتَ الحَجَرِ الأَسْوَد، فَرَقَدَ هُنالِكَ، فَتَرَكْتُهُ وَمَشَيْتُ. فَلَمَّا عُدْتُ، وَجَدْتُهُ فِي مَوْضِعِه، فَجُزْتُهُ فَإِذا خَلْفِي رَجُلٌ، فَهَزَّهُ، فَقَامَ الهِرُّ يَمْشي، كَأَنَّما نَشَطَ مِنْ عِقَالٍ، يَجْرِي سَرِيعاً ومَا بِهِ شَيْءٌ. فَعَلِمْنا أَنَّهُ إِنَّما جَاءَ يَسْتَشْفِي، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ [277] أَنَّهُ قَالَ : الآيَاتُ البَيِّنَاتُ: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ. وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ/79/ آمِناً، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ﴾ [278] و﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا إِسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [279] الآيَةُ. فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ

276- لعله علي بن عتيق بن عيسى الأنصاري الخزرجي المعروف بابن مؤمن. الذي حج سنة 561 هـ/1165-1166م، ولقي بمكة أبا الحسن ابن حمود المكناسي (**الذيل والتكملة**، س 5/ ص 259) ونزل بأخرة مدينة فاس وكان شاهداً بدار الاشراف بها وتوفي سنة 598 هـ /1201-1202م(أو سنة 600 هـ/ 1203م) . ترجمته في **الذيل والتكملة**، س5/ رقم 525، و **صلة الصلة**، ق4 ، ص 121-122؛ ابن الأبار، **التكملة** ، رقم 1777

277- زيد بن أسلم العدوي، أبو أسامة، مولى عمر بن الخطاب، قال عنه مالك : «كان زيد يحدث من تلقاء نفسه، فإذا قام فلا يجترئ عليه أحد». توفي في ذي الحجة سنة 236 هـ./850-851م. انظر : السلمي، **طبقات الصوفية**، ص 266؛ **حلية الأولياء**، ج3/ ص221-229

278- آل عمران، 97

279- سورة الحج، آية 25-26

إِبْرَاهِيمَ﴾ [280]. قَالَ : أَثَرُ قَدَمِ إِبْرَاهِيمَ، خليلِ اللهِ، فِي المَقَامِ فِيهَا، حينَ قامَ عَلَيْهِ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ، والمَقامُ مِنْ آياتِ اللهِ.

36= أَبُو مُوسَى، عِيسَى ابنُ الحَدَّاد [281]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الفَقِيهُ، أَبُو مُوسَى، عِيسَى بْنُ الحَدَّادِ. كَانَ مِنْ جِلَّةِ طَلَبَةِ الشَّيْخِ ابْنِ حرزِهِم، وبِهِ تَخَرَّجَ. وَلَمَّا تُوُفِّيَ ابْنُ حِرزِهِم، قَعَدَ فِي مَكَانِهِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي طَلَبَتِهِ مَنْ يَخْلُفُهُ فِي «الرِّعَايَةِ» لِلمُحَاسِبِيِّ غَيْرُهُ. وَكَانَ مِنْ أَهْلِ النُّسْكِ وَالعَفَافِ وَالعِبَادَةِ وَالجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، مَعَ طَرِيقَةٍ [في] التَّصَوُّفِ [282]، وَمَعْرِفَةِ عِلْمِهِ. وَأَقَامَ بَعْدَ مَوْتِ الفَقِيهِ ابْنِ حِرزِهِم مُدَّةً يُقْرَأُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ. ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى عُدْوَةِ القَرَوِيِّينَ [283]. وَأَقَامَ بِمَسْجِدِهِ هُنَاكَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ، مُلازِماً لأَوْرَادِهِ. وَكَانَ إِذَا جَاءَ شَهْرُ رَمَضَانَ، جَدَّ فِي العِبَادَةِ وَالمُلازَمَةِ لِلخَلْوَةِ؛ لا يَنَامُ لَيْلَهُ، بَلْ يُحْيِيهِ كُلَّهُ صَلاةً.

قَالَ مُحَمَّد : وَلَقَدْ بِتُّ عِنْدَهُ لَيْلَةً فِي بَعْضِ شُهُورِ رَمَضَانَ، وَكَانَ فِي زَمَنِ القَيْظِ، وَهُوَ

280- سورة آل عمران، 97

281- انظر : **جذوة الاقتباس**، 502/2، عدد 573

282- في **جذوة الاقتباس** ص 502) : والاجتهاد في التصوف

283- عندما شرع الإمام ادريس في بناء مدينة فاس سنة 192 هـ/ 808م أسست عدوة الأندلس منها وسُوِّرت، وبعدها بسنة أسست عدوة القرويين، وبنى بها جامع الشرفاء، ثم بنى القيسارية إلى جانب المسجد الجامع وأدار الأسواق من حوله، وأمر الناس بالبناء والغرس، مقدماً لهم تشجيعات مغرية. ويقال أنها سُمِّيت عدوة القرويين لأن أول من نزل بها مع المولى ادريس ثلاثمائة بيت من أهل القيروان، فسميت بهم ونسبت إليهم. أما عدوة الأندلس فسميت كذلك بعد اجلاء الحكم بن هشام عن الأندلس لحوالي ثمانية ألف بيت قرطبي توجهوا صوب فاس ونزلوا بالعدوة الشرقية منها وهي التي تعرف بعدوة الأندلس. انظر : **روض القرطاس**، 38، 47؛ **جذوة الاقتباس**، 38،32؛ **جنى زهرة الآس**، 24-26؛ روجي لوطورنو، **فاس قبل الحماية**، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 64 وما بعدها.

قَائِمٌ عَلَى سَطْحِ مَسْجِدِهِ، فِي وَسَطِهِ مِئْزَرٌ، وَعَلَى ظَهْرِهِ مِئْزَرٌ. وَلَمْ يَزَلْ قَائِماً يُصَلِّي إِلَى أَنْ طَلَعَ الفَجْرُ. لَمْ أَرَهُ /80/ يَأْوِي إِلَى راحَةٍ، بَلْ كَانَ يُكَابِدُ التَّهَجُّدَ قَائِماً لا يَفْتُرُ. نَفَعَهُ اللهُ بِذَلِكَ. وَلَمْ يَزَلْ عَلَى اجْتِهَادِهِ، إِلَى أَنْ رَحَلَ إِلَى المَشْرِقِ لِقَضَاءِ حَجَّةِ الفَرِيضَةِ. ثُمَّ رَحَلْتُ بَعْدَهُ بِأَعْوامٍ، فَاجْتَمَعْتُ بِهِ بِمَكَّةَ، فَرَأَيْتُهُ عَلَى أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ فِيهِ بِالمَغْرِبِ مِنَ الاجْتِهَادِ فِي العِبادَةِ، مَعَ قِلَّةِ الخُلْطَةِ، والانْزِواءِ عَنِ الخَلْقِ، والإِقْبَالِ عَلَى الحَقِّ. وَلَمْ أَرَ بِذَلِكَ المَوْضِعِ الشَّرِيفِ أَحَداً مِنْ أَهْلِ فاسَ مِثْلَهُ فِي الجِدِّ وَالمُلازَمَةِ لِلخَيْرِ. ما كُنْتُ أَرَاهُ إِلَّا طَائِفاً أَوْ مُصَلِّياً أَوْ قَاعِداً فِي الحَرَمِ يَقْرَأُ القُرْآنَ فِي المُصْحَفِ، أَوْ أَلْقَاهُ فِي طَرِيقِ العُمْرَةِ مُعْتَمِراً؛ مَا رَأَيْتُهُ طُولَ إِقَامَتِي بِذَلِكَ الحَرَمِ الشَّرِيفِ إِلَّا فِي هَذِهِ المَوَاطِنِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَلَمَّا اجْتَمَعْتُ بِهِ بِمَكَّةَ بَعْدَ قَضَاءِ الحَجِّ، رَآنِي أَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ السَّفَرِ، فَقَالَ لِي : إِلَى المَغْرِبِ تَرْجِعُ لأَجْلِ الوالِدَةِ؟ قُلْتُ لَهُ : إِنَّمَا أُرِيدُ العِراقَ. فَقَالَ لِي : مَا كَانَ الظَّنُّ بِكَ هَذَا، تَأْتِي إِلَى بَيْتِ اللهِ، ثُمَّ تَتْرُكُهُ وَتَمْشِي إِلَى العِراقِ ! مَا أَرَى نِيَّتَكَ كَانَتْ خَالِصَةً لِهَذا البَيْتِ. إِنَّما جِئْتَ لِتَرى البِلادَ وَتَتَنَزَّهَ فِيهَا، فَيَكُونَ حَظَّ نَفْسٍ عاجِلٍ. وَما أَعْتَقِدُ فِيكَ ذَلِكَ. فَنَهَانِي عَلَى قُبْحِ ذَلِكَ الخَاطِرِ الَّذِي خَطَرَ لِي، مَعَ أَنِّي مَا كُنْتُ أُرِيدُ دُخُولَ العِراقِ إِلَّا لِلِقَاءِ العُلَمَاءِ وَأَهْلِ الحَدِيثِ. وَعَلِمْتُ أَيْضاً أَنَّ الحَقَّ فِي الَّذِي قَالَ لِي، ومَا كَانَ ذَلِكَ الخاطِرُ إِلَّا خَاطِرَ طَرْدٍ عَنِ الحَرَمِ الشَّرِيفِ. وَتَذَكَّرْتُ بِحَالِي/81/ قَوْلَ الشِّبْلِي[284]، رَحِمَهُ الله تَعَالَى، لِلرَّجُلِ الَّذِي سَأَلَهُ عَنْ مَنَاسِكِ الحَجِّ، حَتَّى قَالَ لَهُ : أَشْرَفْتَ عَلَى مَكَّةَ؟ قَالَ لَهُ : نَعَمْ. قَالَ : أَشْرَفَتْ عَلَيْكَ حَالٌ مِنَ الحَقِّ بِإِشْرافِكَ عَلَى مَكَّةَ؟ فَقَالَ

284- هو أبو بكر الشبلي، دُلف بن جحدر خرساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد، وقيل ولد في سامراء، صحب الجنيد وكان فقيهاً على مذهب الإمام مالك، توفي ببغداد سنة 334 هـ/945-946م. مصادر ترجمته في : السلمي، **طبقات الصوفية**، ص 337؛ **حلية الأولياء**، 366/10؛ **ترتيب المدارك**، 30/5؛ **تاريخ بغداد**، 389/14؛ أحمد الماليني، **كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية**، ص225

لَهُ : لا. فَقَالَ لَهُ : مَا أَشْرَفْتَ عَلَى مَكَّةَ ! [285]

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَالْمُقَامُ بِمَكَّةَ هُوَ مِنْ أَيْسَرِ الْعِبَادَاتِ. فَمَنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ وَيَتْرُكُهُ وَيَرْغَبُ عَنْهُ، إِنَّهُ لَمَحْرُومٌ مِنْهَا. إِنَّ النَّبِيَّ،﴿ﷺ﴾، قَالَ : الحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللهِ، إِنْ سَأَلُوا أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنْ أَنْفَقُوا أَخْلَفَ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَلْفَ أَلْفٍ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الدِّرْهَمَ يُنْفِقُهُ أَحَدُهُمْ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ جَبَلِكُم هَذَا. وَأَشَارَ إِلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ[286]. وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي القَاسِمِ بِيَدِهِ، مَا هَلَّلَ مُهَلِّلٌ، وَلا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ إِلَّا هَلَّلَ بِتَهْلِيلِهِ، وَكَبَّرَ بِتَكْبِيرِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ التُّرَابِ. فَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى البَيْتِ نَظْرَةً مِنْ غَيْرِ طَوَافٍ وَلا صَلَاةٍ تَطَوُّعاً، كَانَ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ، [بِـ]صِيَامِ نَهَارِهَا، وَقِيَامِ لَيْلِهَا.[287]

وَقَالَ، ﴿ﷺ﴾ : مَنْ جَلَسَ مُسْتَقْبِلَ الكَعْبَةِ سَاعَةً وَاحِدَةً إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَتَعْظِيماً لِلْقِبْلَةِ، كَانَ لَهُ مِثْلُ الحَاجِّ وَالْمُعْتَمِرِينَ وَالمُجَاهِدِينَ وَالْمُرَابِطِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَنْظُرُ إِلَى خَلْقِهِ كُلَّ يَوْمٍ /82/ ثَلاثَ مِائَةِ نَظْرَةٍ. فَأَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، يَنظُرُ إِلَى أَهْلِ حَرَمِهِ وَأَمْنِهِ. فَمَنْ رَآهُ طَائِفاً غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ رَآهُ جَالِساً مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، يُرِيدُ الكَعْبَةَ، غَفَرَ لَهُ، فَتَقُولَ المَلائِكَةُ : إِلَاهَنَا وَسَيِّدَنَا. مَا بَقِيَ إِلَّا النَّائِمُونَ. فَيَقُولَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَالنَّائِمُونَ أَلْحِقُوهُمْ، فَهُمْ جِيرَانُ بَيْتِي. أَلا إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ هُمْ جِيرَانُ

285- وردت هذه الحكاية في : النيسابوري (عبد الملك بن محمد بن ابراهيم الخركوشي) ت. 407 هـ/ 1016م، تهذيب الأسرار، تحقيق بسام محمد بارود، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 1999، ص 242، (والرجل السائل هو عبد الله بن منازل)

286- أبو قُبَيْس : إسم جبل مشرف على مكة، قيل سُمي باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة، وكان في الجاهلية يسمى الأمين. انظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص 80-81.

287- أخرجه البيهقي في سننه بسنده عن أنس (كنز العمال، ج5/ ص 8، الحديث رقم، 11816)؛ والحديث مع اختلاف في المبنى، في الترغيب والترهيب لعبد العظيم المنذري،ج 167/2، دار الكتب العلمية، (د. ت.)

اللهِ، وَجيرانُ بَيْتِهِ الحَرامِ[288].

[ومنها] أنَّ النَّبِيَّ، «ﷺ»، قَالَ : مَنْ طَافَ حَوْلَ الْبَيْتِ سَبْعاً فِي يَوْمٍ صَائِفٍ شَدِيدِ الحَرِّ، وَاسْتَلَمَ الحَجَرَ فِي كُلِّ طَوَافِهِ مِنْ غَيرِ أَنْ يُؤْذِي أَحَداً، وَقَلَّ كلامُهُ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ يَرْفَعُهَا وَيَضَعُهَا سَبْعون أَلفَ حَسَنَةٍ، وَيُمْحَى عنْهُ بِكُلِّ قَدَمٍ يَرْفَعُها وَيَضَعُها سَبْعونَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ، وَيُرْفَعُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ دَرَجةٍ[289].

ومِنْها أنَّ النَّبِيَّ،«ﷺ»، قَالَ : صَلاةٌ فِي مسْجِدِي هَذا، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فيما سِواهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحرامَ[290].

ومِنْها ما رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ[291] أَنَّ النَّبِيَّ،«ﷺ»، قَالَ : صَلاةٌ فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ، بِعَشْرَةِ آلافِ صَلاةٍ، وَصَلاةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلاةٍ[292].

288- لم أقف عليه. وورد في قوت القلوب (ص 236) «جاء في الخبر : إن الله تعالى ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض. فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام. فمن رآه طائفاً غفر له، ومن رآه منهم مصلياً غفر له، ومن رآه نائماً مستقبل القبلة، غفر له»

289 - أخرجه الجندي في تاريخ مكة عن ابن عباس، وقال السخاوي إنه باطل. انظر: اسماعيل بن محمد العجلوني **«كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس»**، ج262/2، دار احياء التراث العربي، ط.1352،3هـ؛ كذلك : **كشف الخفاء للعجلوني**، م.س. ج359/2؛ **الأسرار المرفوعة**، لعلي القاري، مؤسسة الرسالة، ص 350.

290- ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة في باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، 206/1؛ 1012/2؛ و انظر كذلك : **سنن الدارمي**، 1/ 352، **إحياء علوم الدين**، ج 1، ص 290، دار الفكر، بيروت، ط.3/، 1991؛ **التاريخ الكبير**، ج 1/ 302، ج2/ 223؛ج8، 253؛ **تهذيب الكامل**، ج 8/ص 450 ؛ الهيثمي، **مجموع الزوائد ومنبع الفوائد**، رقم 5859، ج 3، ص 671.

291- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو العباس المكي، ثم المدني ثم الطائفي. ابن عم النبي «ﷺ» وصاحبه، حبر الأمة وفقيهها، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي بالطائف عام 68 هـ/ 686 م؛ انظر : **طبقات ابن سعد**، 2/ 365-372 **حلية الأولياء**، 1/ 324-329؛ ابن عبد البر النميري (ت. 463 هـ) **الاستيعاب في معرفة أسماء الأصحاب**، 3/ 933- 939

292- أخرجه ابن ماجة ، من حديث ميمونة. انظر، **سنن ابن ماجة** ن.م. ج290/1

ومِنْها مَا حَدَّثَني بِهِ الشَّيْخُ الصَّالحُ، أَبُو حَفْصٍ، عُمَرُ بْنُ عَبْدِ المجيدِ، بقراءَتي عَلَيْهِ بالمَسْجِدِ الحَرامِ، تِجاهَ الكَعْبَةِ المُعَظَّمَةِ، قَالَ : حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو الماضي، عَطِيَّةُ /81/ بْنُ عَلِيٍّ الفِهْرِيّ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ المُشْرِفِ، أَنْبأنَا الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الحَمَّال، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّد، عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ عُمَر، حدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ ابْنُ الأَعْرَابِيّ[293]، إِمْلاءً بِالمَسْجِدِ الحَرامِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعيل[294]، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ المجيدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ زَيْدٍ[295]، عَنْ أَبِيهِ[296]، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ[297]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ

293- أبو سعيد بن الأعرابي : هو أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم العنزي (246-340 هـ/860-952م)، تلميذ أبي القاسم الجنيد، بصري الأصل، سكن مكة وكان في وقته شيخ الحرم ومات بها. انظر، **طبقات الصوفية**، ص427؛ **الرسالة القشيرية**، 394؛ **حلية الأولياء**، 375/10

وقد كان لابن الأعرابي تأثير كبير على الأندلسيين والمغاربة الذين توافدوا على الحرمين للحج، إذ تفيد كتب التراجم أن عددا كبيرا من علماء الأندلس الذين حجوا خلال هذه الحقبة قد أخذوا عنه. وقد أحصت الباحثة الاسبانية مانويلا مارين 67 تلميذاً أندلسياً تتلمذوا مباشرة على ابن الأعرابي ما بين سنة 327 و 400 هـ/ 938-1009م. انظر قائمة أسمائهم ومصادرها في مقالها :

Manuela Marín , "Abú Sa' id Ibn al A' rabí et le développement du soufisme en Al Andalus" , in *ROMM*, N 63-64, 1992, pp. 34-36

294- محمد بن اسماعيل (أبو عبد الله البخاري) (ت. 256 هـ)، شيخ الحفاظ، مؤلف الجامع الصحيح. **تهذيب التهذيب**، 47/9؛ **وفيات الأعيان**، 188/4

295- عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، موليعمر بن الخطاب، من أهل المدينة، يروي عن أبيه، روى عنه العراقيون وأهل المدينة، توفي سنة 182 هـ. صنفه ابن حبان ضمن المجرحين من المحدثين لأنه كان «مم يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته...» ابن حبان، **المجرحون من المحدثين**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ج 2 دار الصميعي، 2000، ص 22 (والمصادر المذكورة هناك)

296- زيد بن عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، مولى عمر، يروي عن أبيه. ابن حبان، **المجرحون من المحدثين**، م.س.، ج 389/1 (عدد 366) والمصادر المذكورة هناك.

297- هو سعيد بن جبير الوالبي الكوفي، الفقيه، روى عنه خلق كثير، وقالوا فيه : «مات سعيد، وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه». قيل سنة خمس وتسعين، كهلاً ، قتله الحجاج (وقد توفي الحجاج في نفس السنة). انظر : **حلية الأولياء**، ج 4/ ص272-310؛ السلمي، **طبقات الصوفية**، ص 28؛ **وفيات الأعيان**، 2 / 112؛ **تذكرة الحفاظ** للإمام الذهبي، 1/ 76؛ **تهذيب التهذيب**، 4/ 11

رَسُولُ اللّه،(ﷺ) : مَنْ أدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ بِمَكَّةَ مِنْ أوَّلِهِ إِلى آخِرِهِ، صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ، كُتِبَ لَهُ مِائَةُ أَلْفِ شَهْرِ رمَضَانَ فِي غَيْرِهَا، وكَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مَغْفِرةٌ وَشَفَاعَةٌ، وبِكُلِّ يَوْمٍ حِمْلا فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ تَعَالَى، ولَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ[298].

قَالَ مُحَمَّدٌ : فَانْظُرْ يا أخي هَذَا الرِّبْحَ العَظِيمَ، فَهَلْ يُقَصِّرُ فِيهِ إلَّا غَافِلٌ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وقَدْ كَتَبَ الحَسَنُ بْنُ أبِي الحَسَنِ[299]، إِلى رَجُلٍ مِنَ الزُّهَّادِ كَانَ مُجاوِراً بِمَكَّةَ، وأَرادَ الخُروجَ مِنْهَا رِسالَةً، فمِنْها : «فَيَا عَجَباً مِنْ عقْلِكَ وَأَدَبِكَ ! إِذْ نَوَيْتَ ذَلِكَ بَعْدَ إِذْ جَعَلَكَ اللّهُ مِنْ أهْلِهِ. ولَوْ حَمِدْتَ اللّهَ عَلى ما أَوْلاكَ مِنْ حَرَمِهِ وَأَمْنِهِ، إِذْ صَيَّرَكَ اللّهُ مِنْ أهْلِهِ، كَانَ الوَاجِب عَلَيْكَ شُكْرَهُ أبداً مَا بَقِيتَ، ولَكُنْتَ فِي عِبَادَةِ اللّهِ أضْعَافاً عَنْ ما كُنْتَ. فَإيَّاكَ وَإيَّاكَ والظَّعْنَ مِنْهَا».

قَالَ رسولُ اللّه،(ﷺ) /84/ : اَلْمُقَامُ بِمَكَّةَ شَهَادَةٌ، والخُروجُ مِنْهَا شَقَاوةٌ[300]. وَذَكَرَ ما جَاءَ فِي فَضْلِها مِنَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ. وَذَكَرَ أنَّهُ يُسْتَجابُ الدُّعَاءُ بِمَكَّةَ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ مَوْضِعاً أوَّلُهَا عِنْدَ المُلْتَزَمِ، وَالدُّعاءُ فِيهِ مُسْتَجَابٌ[301]، وتَحْتَ المِيزَابِ مُسْتَجَابٌ، وَخَلْفَ

298- كنز العمال للمتقي الهندي، دار التراث الاسلامي، رقم 34709

299- هو أبو سعيد الحسن البصري؛ ابن سيار(21- 110هـ)، تابعي أمه خيرة كانت مولاة أم سلمة زوج النبي (ﷺ)، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه. ولد بالمدينة وشب في كنف علي بن أبي طالب. قال الغزالي : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة، وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه» توفي بالبصرة سنة 110 هـ. انظر : وفيات الأعيان، 69/2؛ حلية الأولياء، ج2/ ص 131-161؛ الزركلي، الاعلام، 2/ 232؛ ابن قتيبة، المعارف، ص 440؛ وقد أفرد له الدكتور إحسان عباس كتاباً بعنوان «الحسن البصري»، دار الفكر العربي، القاهرة، 1952

300- ذكر عن القاري صاحب الأسرار المرفوعة أن الحديث لا أصل له. وورد الحديث في «كشف الخفاء»، م. س.، ج2/ 216 بصيغة :«المقاومة بمكة سعادة والخروج منها شقاوة»؛ وكذلك في أخبار مكة، للأزرقي،م. س. ص 22

301- في الحديث : «الملتزم موضع يستجاب فيه للدعاء، وما دعا عبدٌ الله تعالى فيه دعوة إلا استجابها» . الزبيدي، الإتحاف، 354/4 وانظر كذلك " أبو الحسن علي الأموي، الدعاء والذكر، مخ. المكتبة العامة بتطوان م.س.، ورقة 15

الْمَقَامِ مُسْتَجَابٌ [302]، وَفي الطَّوَافِ مُسْتَجَابٌ، وبِعَرَفَةَ مُسْتَجَابٌ، وبِمِنىً مُسْتَجَابٌ، وَبِجَمْعٍ مُسْتَجَابٌ، وَعِنْدَ الجَمَرَاتِ الثَّلاثِ مُسْتَجَابٌ، وَعِنْدَ الصَّفَا مُسْتَجَابٌ، وَعِنْدَ المَرْوَةِ مُسْتَجَابٌ، وَفي زَمْزَمَ مُسْتَجَابٌ، وفي السَّعْيِ مُسْتَجَابٌ. فَهَذِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ مَوْضِعاً [303]. فَاعْتَبِرْ يَا أَخِي هَذِهِ المواضِعَ الَّتِي تُرجَى فِيهَا المغْفِرَةُ، واجْتَهِد فِيهِنَّ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّكَ إِنْ خَرَجْتَ عَنْهَا، ذَهَبَتْ عَنْكَ هَذِهِ المواضِعُ كُلُّهَا. وَفَضَائِلُها كَثيرةٌ. وَفِيما ذَكَرْنَا غُنْيَةٌ لِلعَاقِلِ.

وَلَمْ يَزَلْ أَبُو مُوسَى بِالمَشْرِقِ إلى أَنْ تُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

37= حَجَّاجُ بنُ يوسُفَ الكَنْدَرِيّ

وَمِنْهُمْ حَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الكَنْدَرِيُّ. كَانَ ساكناً، رَحِمَهُ الله تَعَالَى، بِالكَنْدَرِيِّينَ مِنْ أَحْوازِ مَدِينَةِ فاس.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو الحجَّاج يُوسُفُ، أَنَّهُ كَانَتْ مَجاعَةٌ شَدِيدَةٌ، وكَانَ أَبُو الحَجَّاجِ يُوسُفُ المذْكُورُ [304] لا يَكادُ يَجِدُ قُوتَه إلَّا قُرْصَ شَعِيرٍ /85/ مِنَ اللَّيْلِ إلى اللَّيْلِ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ لَيْلَةً مِنَ اللَّيالي : إنَّ أَهْلِي وَوَلَدِي مَا يَكَادُ يَشْبَعُ أَحَدُهُم، وَأَنا أَقْدِرُ أَنْ أَصْبِرَ، فَأَنَا أُوثِرُ بِقُوتِي بَعْضَهُم. فَآثَرَ بِه زَوْجَتَهُ، وَأَطْوَى لَيْلَهُ وَنَامَ، فَرَأَى فِي المَنَامِ أَنَّهُ أُوتِيَ بِقَصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ، وقِيلَ لَهُ : كُلْ ! فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ، وَجَدَ مَعُونَةً فِي نَفْسِهِ وَشِبَعاً. فَلَمَّا

302- ورد في الحديث : «من صلى خلف المقام ركعتين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة مع الآمنين». أبو الحسن علي القرطبي، الدعاء والذكر، م.س.، ورقة 15

303- لم يذكر المؤلف سوى اثني عشر موضعاً. ويضيف صاحب كتاب «الدعاء والذكر» (م.س. ورقة 15) إلى هذه اللائحة : الحجر الأسود وجوف البيت والركن الجانبي.

304- لعله أراد القول : حجاج بن يوسف وليس أبي الحجاج، لأن الكرامة ترتبط بالمترجم به وليس بالمخبر عنها.

كَانَ اللَّيْلَةَ الثَّانِيَةَ، آثَرَ أَيْضاً زَوْجَتَه بِقُوتِه، فَأُطعِمَ أَيْضاً فِي المَنام شِبْهَ اللَّيْلَةِ الأولى. فَأَقَامَ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ أَشْهُراً يُؤْثِرُ بِقُوتِهِ وَيُطْعَمُ فِي المَنَامِ، حَتَّى زَالَتْ تِلْكَ الشِّدَّةُ، ومَا احْتَاجَ فِي تِلكَ المُدَّةِ أَنْ يَتَناوَلَ شَيْئاً مِنَ الطَّعَامِ. وكَانَ، رَحِمَهُ الله، إِذَا قُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ فِيهِ شُبهَةٌ، نُبِّهَ عَلَيْهِ، فَيَمْتَنِعَ مِنْهُ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَهَذا مَقامُ الحَارِثِ بْنِ أَسَدِ المُحَاسِبِيِّ [305]، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. حُكِيَ عَنِ الجُنَيْدِ [306] أَنَّهُ قَالَ : مَرَّ بي الحَارِثُ بْنُ أَسَدِ المُحاسِبيُّ، رَحِمَهُ الله، فَرَأَيْتُ فِيهِ أَثَرَ الجُوعِ، فَقُلْتُ : يا عَمُّ ! تَدْخُلُ الدَّارَ وتَتَناوَلُ شَيْئاً؟ فَقَالَ : نَعَمْ. فَدَخَلْتُ الدَّارَ وَطَلَبْتُ [307] شَيْئاً، فلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أُقَدِّمُهُ إِلَيْهِ، وكَانَ فِي البَيْتِ شَيْءٌ مِنْ طَعَامٍ حُمِلَ مِنْ عُرْسِ قَوْمٍ، فَقَدَّمْتُهُ

305- الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله؛ الزاهد والمحدث المشهور، ولد ونشأ بالبصرة وتوفي ببغداد سنة 243 هـ / 857 م معدود في طبقة الصوفية الكبار، وجمع في ثقافته بين علم الظاهر والباطن، له تآليف كثيرة في التصوف منها «الرعاية لحقوق الله» (حققه عبد الحليم محمود ونشر بالقاهرة سنة 1958، ويسميه البعض «الرعاية في الأخلاق والزهاد» و«التفكير والاعتبار» 8ترجمته في : حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، ج، 73/10؛ أبو الفرج بن الجوزي، صفوة الصفوة، 207/2؛ وفيات الأعيان، 126/1 ، أحمد الماليني، كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية، ص، 142-146

306- الجنيد : أبو القاسم بن محمد الخراز القواريري النهاوندي البغدادي، أصله من نهاوند ومولده ومنشأه بالعراق.تفقه على ابي ثور الكلبي وصحب السري السقطي والحارث المحاسبي.توفي سنة 297هـ/910 م . انظر *Ency de l'Islam*. N. E. p. 615؛ طبقات الصوفية، للسلمي 155-156؛ حلية الأولياء، 255/10؛ وفيات الأعيان، 1 /373؛ ابن الأثير، الكامل، 62/8، الرسالة القشيرية،430؛ أحمد الماليني، كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية، ص 88-96

307- في الأصل : وتناوكت

إِلَيْهِ، فأخَذَ لُقْمَةً وأدَارَهَا فِي فِيهِ مرأت، ثُمَّ إِنَّهُ قامَ وألْقَاها فِي الدَّهْلِيس[308] وَمَرَّ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُ بَعْد ذَلِكَ بأيَّامٍ، قُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ جَائِعاً، وَأَرَدْتُ أَنْ أَسُرُّكَ /86/ بِأَكْلِي[309]، وَأَحْفَظَ قَلْبَكَ. ولَكِنْ بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ عَلامَةً، [أَنْ] لا يُسيغَنِي طَعَاماً فِيهِ شُبْهَةٌ، فلَمْ يُمْكِنِّي ابْتِلاعُهُ. فَمِنْ أَيْنَ كَانَ ذَلِكَ الطَّعَامُ؟ فَقُلْتُ : إِنَّهُ حُمِلَ مِنْ دارِ قَرِيبٍ لِي مِنَ العُرْسِ. ثُمَّ قُلْتُ : تَدْخُلُ اليَوْمَ؟ فَقَالَ : نَعَمْ، فَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ كِسَراً [يابِسَةً][310] كَانَتْ لَنا، فَأَكَلَ وَقَالَ : إِذَا قَدَّمْتَ إِلَى فَقِيرٍ شَيْئاً، فَقَدِّمْ [إِلَيْهِ] مِثْلَ هَذَا[311].

308- كذا في الأصل : والأصح : الدَّهْليز، وهي كلمة فارسية معربة أصلها (دهله)، انظر : أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1943، ص 154) والدهليز : الممر الذي يكون بين باب الدار ووسطها، وهو الذي تقول له العامة : الأسطوان حسب ابن هشام اللخمي،

José Pérez Lázaro, "Palabras occidentales en el Sarh al Fasih de Ibn Hicham al Lajmi", *Al Qantara*, IX, 1988, fasc. 2. p. 361

309- في الأصل : يا علي

310- زيادة من **الرسالة القشيرية**، 430

311- وردت هذه الحكاية في **الرسالة القشيرية**، ص 429-430 مع بعض الاختلافات الطفيفة. كما وردت بصيغة مقتضبة في **تهذيب الأسرار** لعبد الملك النيسابوري، م. س. ص 360. ويُحكى عن الحارث المحاسبي أنه كان إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة، تحرك على إصبعه عرق، فكان يمتنع منه. انظر : **الرسالة القشيرية**، ص، 112، 429؛ **اللمع** لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق د. عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور، بغداد، 1960، ص 70

قَالَ الفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ يَسْكُرُ [312] : كَانَ حَجَّاجٌ يَنْزِلُ عِنْدِي. فإِذَا خَرَجَ لِصَلاةِ الصُّبْحِ، لَمْ يَدْخُلْ دَارَ الوُضُوءِ. فَسَأَلْتُهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لِي : إِنَّ مُوسَى بْنَ سَدَاتٍ [313]، الَّذِي سَاقَ المَاءَ مِنَ القَرَوِيِّينَ، تَمَّتْ دَرَاهِمُ الحَلالِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ [314]، فَأَسْلَفَ مِنْ إِنْسَانٍ دَرَاهِمَ حَرَاماً، وَبَنَى بِهَا دَارَ الوُضُوءِ. فَقُلْتُ لَهُ : نَطْلُبُهَا لِلنَّاسِ وَنَتَصَدَّقُ بِهَا. فَقَالَ : نَعَمْ. وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَسْكُرُ إِمَاماً فِي القَرَوِيِّينَ. فَقَالَ لِلنَّاسِ : نَحْتَاجُ خَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ نَتَصَدَّقُ بِهَا عَلَى دَارِ الوُضُوءِ، لأَنَّ الَّذِي بُنِيَتْ بِهِ غَيْرُ طَيِّبٍ. فَأَعْطَوْا النَّاسُ [315] فِي الوَقْتِ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَصَدَّقَ بِهَا لِلفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ.

وَقَالَ أَيْضاً أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ، المَشْهُورِ بِابْنِ حِيتْ، وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَكَانَ مِمَّنْ اطَّلَعَ عَلَى سِرِّهِ : قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ : كُنْتُ يَوْماً فِي الجَامِعِ بِصَفْرُويْ، وَإِذَا بِالشَّيْخِ حَجَّاجٍ قَدْ دَخَلَ المَسْجِدَ الجَامِعَ،/87/ وَكَانَ يَرْكَعُ، وَكُنْتُ بِإِزَائِهِ، فَإِذَا سَجَدَ، مَسَحَ الأَرْضَ عِنْدَ السُّجُودِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا شُغْلٌ فِي الصَّلاةِ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ، قَالَ

312- يسكر بن موسى الجوراني (وفي بعض الرسوم : الجوراري) ثم الغفجومي (نسبة إلى بني غفجوم، وهم بربر بتادلا) نشأ بتاجنيت من بلاد تادلا ثم نزل مدينة فاس، وبها توفي سنة 598 هـ /1202-1201م ولم يترك عقباً. تفقه على أبي خزر الأوربي وحضر مجلس أبي الربيع التلمساني وصحب أبا الحسن علي بن حرزهم، ولقي أبا يعزى وأكثر من زيارته، وكان إماماً في الفقه المالكي، وله حواش على المدونة، أقام إماماً بجامع القرويين أربعين سنة لم يسه فيها يوماً واحدا في الصلاة لشدة حضوره» . انظر ترجمته في : **التشوف**، ص 339-340؛ **جذوة الاقتباس**، عدد 655، ص 562؛ **بيوتات فاس الكبرى**، ص 41؛ **سلوة الأنفاس**، 3/164-165؛ **جنى زهرة الآس**، 56-58؛ **القرطاس**، 69-70 الصومعي، **المعزى**... م.س.، ص 171-172؛ **أنس الفقير**، 23؛ **شرف الطالب**، 97؛ **زهر الآس**، 1/310-311

313- في **روض القرطاس**، 69، 70 : موسى بن عبد الله بن سداب

314- يورد ابن أبي زرع معطيات تاريخية متناسقة مع ما يورده التميمي بخصوص بناء دار الوضوء بجامع القرويين والحرص على أن تشيد بمال حلال، وقد شرع في بناء الميضأة والسقاية في غرة صفر من سنة 576. انظر : **روض القرطاس**، ص 69. وانظر : د. عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**...م.س. ج1، ص 77-78

315- واضح أن العبارة من لغة (أكلوني البراغيث)

لِي : يا عَبْدَ اللهِ ! ما كُنتُ أَمْسَحُ إِلَّا لِضَرُورَةٍ. فَقُلْتُ لَهُ : يا سَيِّدِي ! رَأَيْتُ الحَصيرَ ما عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَمَا كُنْتَ تَمْسَحُ؟ قَالَ : تَعَرَّضَ لي جِنٌّ مُؤْمِنٌ، وكَانَ يَتَعَرَّضُ لي فِي السُّجودِ لِيَتَبَرَّكَ بِي، فَكُنْتُ مُكْرَهاً أَمْسَحُهُ عَنِ الأَرْضِ.

وَقَالَ أَيْضاً الشَّيْخُ الوَرِعُ الزَّاهِدُ، فَقِيهُ وَقْتِهِ، وعَارِفُ عَصْرِهِ، الشَّيْخُ أَبُو عِمْرانَ الجَنْيارِيُّ[316]، قَالَ : مَرَرْتُ يَوْماً لأَزُورَهُ بِالكَنْدَرِيِّينَ، فلَمْ أَجِدْهُ فِي دارٍ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقَالَ لي وَلَدُهُ : هُوَ فِي الجَبَلِ لَهُ أَيَّامٌ، وكَانَ فِي ذَلِكَ الجَبَلِ مَوْضِعٌ مُرْتَفِعٌ عَلَى تِلْكَ الجِبَالِ، وكُنْتُ مُتَعَبِّداً مَعَهُ فِيهِ، فَوَصَلْتُ إِلَيْهِ، وكَانَ قَدْ صَوَّرَ فِيهِ مَسْجِداً لِلصَّلاةِ. فَلَمَّا وَصَلْتُ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقَعَدْتُ لِنَاحِيَةٍ سَاعَةً. وَإِذا بِرَجُلٍ قَدْ نَزَلَ عَلَى الحَجَرِ الَّذي بِرُكْنِ المَقْصُورةِ، وَإِذَا بِالشَّيْخِ قَامَ إِلَيْهِ، فَعَانَقَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِكُلِّيَتِهِ. وَمَا رَأَيْتُهُ عَمِلَ ذَلِكَ لأَحَدٍ غَيْرِهِ. فَتَعَجَّبْتُ مِنْهُ. وَقَعَدوا يَتَحدَّثُونَ، فَسَمِعْتُه يَسْأَلُهُ عَنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى. [أَمَّا] حَجَّاج فَكَانَ يَقُولُ : فُلانٌ بِالمَوْضِعِ الفُلانِيِّ، وَفُلانٌ بِالمَوْضِعِ الفُلانِيِّ،/88/ وَأَنَا أَدْرَكَتْنِي هَيْبَةٌ مِنَ الرَّجُلِ، وَلَمْ أَقْدِرْ أَقُومُ إِلَيْهِ مِنَ الهَيْبَةِ. فَلَمَّا مَضَى، قُلْتُ لِلشَّيْخِ : من يَكُونُ هَذا؟ قَالَ لي : رَأَيْتَهُ؟ قُلْتُ : نَعَمْ. قَالَ لي : يُخْدِمُ قاعِداً لِسَاعِدٍ، هَذَا هُوَ رأْسُ

316- لعله الشيخ الفقيه الخطيب، أبو عمران موسى بن ابراهيم الذي سيترجم له التميمي لاحقاً. أما بيت بني الجنياري فهو من بيوتات فاس الكبرى، ينعت بكونه «بيت علم وفقه» ، أنظر : بيوتات فاس، ص 69

التَّبْرِيدِ[317]. ولِي عِشْرونَ سَنَةً أَطْلُبُ اللَّهَ فِي رُؤْيَتِهِ. فَلَمَّا كَانَ اليَوْم، جاءَنِي.

وَقَالَ أَبُو يعْقوبَ، الحَاجُّ البُسْتَانِيّ -وكَانَ حَجَّاجٌ رَبَّاهُ- قَالَ : كَانَ يَزْبِرُ العِنَبَ فِي جِنَانِه، فَخَطَرْنَا عَلَيْه، أنا وَوَلَدُهُ يَحْيى، فَقَالَ لَنَا : أَدْخُلوا عَاوِنُونِي فِي الزَّبِير. فَقَالَ لَهُ : لَوْ كَانَ العِنبُ إلَّا وَدَخَلْنَا. قَالَ : أَدْخُلوا تَأكُلُ العِنَب، إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعالَى. فَقُلْتُ لِوَلَدِه : أُدْخُلْ نَزْبِروا [هكذا] مَعَهُ. فَدَخَلْنا فَزَبَرْنا. فَلَمَّا فَرَغْنا، قَالَ: لِكُلِّ أجيرٍ أُجْرَةٌ. قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : مُوروا[كذا] للدَّالِيَةِ الفُلانيَّةِ إنَّ فِيهَا عُنْقوداً كُلُوه. فَمَضيْنا للدَّالِيَةِ، فَوَجدْنا العُنقودَ فَأَكَلْنَاهُ حَتَّى شَبِعْنا، وَتَرَكْنا مِنْهُ، وَمَا قَدَرْنا أَنْ نُخَلِّصُوه[318].

وَقَالَ أَيْضاً وَالِدُهُ يوسُفُ، وكَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى : كَانَ محْفُوظاً مِنْ صِغَرِه، وكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاة، وَهُوَ دُونَ صِيَامٍ، كَثِيرَ العُزْلَةِ عَنِ النَّاس. وكَانَ يَقُولُ يا أَبَتِ ! أَرَى الجِنَّ يَتَحَدَّثُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَيَقُولوا [هكذا] : أَقْتُلُوه، لِأَنَّهُ يَخْرُجُ لنَا فِيهِ أَشْيَاءُ، وَيَكُونُ وَلِيّاً. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ما تَقْدِروا عَلَيْه، لِأَنَّهُ مَحْفوظٌ.

/89/ وَحَدَّثَ عَنْهُ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّد، يَسْكُر[319]، قَالَ : كُنَّا نَقْعُدُ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ، شَيْخِ الشُّيوخِ، وكَانَ يَتَكَلَّمُ إمَّا فِي الفِقْهِ أَوْ فِي التَّصَوُّف. فَإذا جَاءَ حَجَّاجٌ لَمْ

317- لم أهتد إلى المقصود من عبارة «رأس التبريد» ولعلها «رأس التجريد» والعبارة كلها فيها قلق وقد تكون : يخدم قاعدٌ لساعٍ [كقولهم رب رمية من غير رام] هذا هو رأس التجريد. والتجريد «خلو قلب العبد وسرِّه عنَّا سوى الله... وهو ألَّا يأخذ من عَرَض الدنيا شيئاً ولا يطلب عمَّا ترك منها عوضاً من عاجل ولا آجل. (انظر؛ د. عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، ط2، ص 41: وهو كذلك «ما تجرد للقلوب من الشواهد الألوهية، إذا صفا كدورة البشرية» ؛ السهروردي، عوارف المعارف، دار الفكر، بيروت، ط. 3، 1991، ص 332؛ .أبو نصر السراج الطوسي، اللمع ، تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر/مكتبة المثنى ببغداد، 1960، ص 425

318- واضح أن صياغة هذه الفقرة تقترب كثيراً من اللغة العامية (انظر الباب المخصص لأسلوب التميمي في قسم الدراسة من هذه الأطروحة)

319- سبقت ترجمته

يَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ، فَسُئِلَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ فَوْقَ مَا عِنْدَنَا.

38= أَبُو مُوسَى، عِيسَى الزَّرْهُونِيّ

وَمِنْهُم الحاجُّ أَبُو مُوسَى، عِيسَى الزَّرْهُونِيّ، رَحِمَهُ اللّه تَعَالَى. كَانَ عَابِداً مُتَبَتِّلاً صَوَّاماً قَوَّاماً يَسْرُدُ الصَّومَ. وكَانَ لَهُ بِمَوْضِعِهِ جِنَانٌ، وكَانَ الأَسَدُ لا يُفَارِقُ ذَلِكَ الجِنَانَ. فَإِذا وَصَلَ الشَّيْخُ لِلجِنانِ فَرَّ الأَسَدُ مِنْهُ، فَيَتَصَرَّفُ الشَّيْخُ فِي الجِنانِ فِيما يُصْلِحُهُ، فَإِذا انْصَرَفَ الشَّيْخُ مِنَ الجِنانِ، رَجَعَ إِلَيْهِ الأَسَدُ، فَكَانَ الأَسَدُ حَارِسَ الجِنانِ.

39= عَمّور البَطّاط

وَمِنْهُم عَمُّورٌ البَطّاط، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى. كَانَ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ والجِدِّ فِي العِبَادَةِ، عَارِفاً بِطَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ. وكَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ كِتَابُ «الإحْيَاء»[320]، وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ بِكَلامِ القَوْمِ، واعِظاً يُتَّعَظُ بِكَلامِهِ. سَمِعْتُهُ فِي بَعْضِ مَجَالِسِ وَعْظِهِ وَهُوَ يَقُولُ : رُوِيَ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ أَنَّهُ قَالَ : مَا اسْتَغْنَى أَحَدٌ بِاللّهِ إِلَّا احْتَاجَ النَّاسُ إِلَيْهِ، /90/ ومَنْ كَانَ أَكْبَرُ هَمِّهِ غَيْرَ اللّهِ، فَلَيْسَ فِي شَيْءٍ.

320- كتاب لأبي حامد الغزالي المشهور، يعتبر من أجل الكتب التي أنتجتها الثقافة العربية الإسلامية وأعظمها حتى قيل فيه لو ذهبت كتب الاسلام وبقي «الإحياء» لأغنى عما ذهب، راجع : **كشف الظنون**، ج1، ص 23-24

40= أَبُو الْعَبَّاس بْنُ رُشَيْد

وَمِنْهُم الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ ابْنُ رُشَيْدٍ[321]، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى. كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِدِّ وَالاجْتِهَادِ. رَوَى أَنَّهُ فِي صِغَرِهِ أَرَادَ المسِيرَ مِنْ فَاسَ لِقَضَاءِ حجَّةِ الفَرِيضَةِ، وكَانَتْ لَهُ والِدَةٌ مَنَعَتْهُ مِنْ ذَلِكَ. فَرَأَتْ فِي المَنامِ قَائِلاً يَقُولُ لَهَا : لأي شَيْءٍ تمْنَعُ [كذا] ابْنَكِ مِنَ المَسِيرِ لِلْحَجِّ، وقَدْ جَاءَ وَقْتُ حَجِّهِ؟ قَالَ : فَأَذِنَتْ لِي فِي ذَلِكَ، وقَالَتْ : أَيُّ شَيْءٍ تَتْرُكُ لِي؟ فَقُلْتُ لَهَا : جَمِيعَ ما عِنْدِي.

فَدَفَعْتُ لَها ذَلِكَ، وَخَدَمْتُ أَيّاماً، فَتَوفَّرَ لِي إِثْنَا عَشَرَ دِرْهَماً، وعَزَمْتُ عَلَى المَشْيِ بِذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ، مَشَيْتُ إِلَى المَسْجِدِ الجَامِعِ، فَصلَّيْتُ مَعَ النَّاسِ صَلاةَ الجُمُعَةِ، ثُمَّ أَقَمْتُ حَتَّى صَلَّيْتُ العَصْرَ. فَلَمَّا أَرَدْتُ الانْصِرافَ، مَرَرْتُ بِشَيْخٍ كَبِيرٍ، وحَوْلَهُ جَماعَةٌ، وقَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعو لَهُم. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذِهِ سَاعَةٌ عَظِيمَةٌ. أَغْتَنِمُ دُعاءَ هَذَا الشَّيْخِ. فَجَلَسْتُ مَعَهُم. فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَانْصَرَفَ مَنْ كَانَ مَعَهُ، الْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُكَلِّمَكَ، وقَامَ، فَاتَّبَعْتُه حَتَّى خَرَجَ مِنَ الجَامِعِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ يَسْأَلُ مِنِّي شَيْئاً. فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الجَامِعِ، جَلسَ/91/ وَجَلَسْتُ مَعَهُ، فَقَالَ لِي : أَذِنَتْ لَكَ الوَالِدَةُ فِي الحَجِّ؟ فَقُلْتُ لَهُ : نَعَمْ.فَقَالَ لِي : تَصِلُ إِنْ شَاءَ اللّهُ فِي عافِيَةٍ، وَسَتَلْقى بِمدِينَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ رجُلاً مِنْ أَوْلِيَاءِ اللّهِ تَعَالَى، وَسَيَدْعُو لكَ بِثَلاثِ دَعَواتٍ، ولا يَزِدْكَ عَلَى ذَلِكَ. وَسَتَلْقَى بِمَكَّةَ امْرأَةً صَالِحَةً. قَالَ : فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ خُرُوجِي مِنْ فَاسَ إِلَى مَكَّةَ، خَرَجَ بَعْضُ أَصْهَارِي فِي تَشْيِيعِي، فَنَاوَلَنِي ثَلاثَةَ دَرَاهِمَ، فَكَمُلَتْ عِنْدِي خَمْسَةَ عَشَرَ دِرْهَماً.

321- لا ندري هل له علاقة عائلية بأبي الحسن رشيد الذي سيترجم له التميمي لاحقاً (رقم 80)

فَأَنْفَقْتُ مِنْهَا مِنْ فَاسَ إِلَى المَهْدِيَّةِ إِثْنَيْ عَشر دِرْهَماً. وَوَصَّلَنِي بَاقِي ذَلِكَ، مَعَ مَا خَدَمْتُ بِالمَهْدِيَّةِ أَيَّاماً إِلَى مَدِينَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، حَرَسَها اللَّهُ تَعَالَى. وَبَلَغْتُ سَالماً، لِلَّهِ الحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ. فَلَمَّا دَخَلْتُ الإِسْكَنْدَرِيَّةَ، مَشَيْتُ بِها، فَإِذا بِرَجُلٍ يَمْشِي شِبْهَ الأَحْمَقِ، وَخَلْفَهُ الصِّبْيَانُ. فَلَمَّا جَاءَنِي، سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَدَعَا لِي بِثَلاثِ كَلِمَاتٍ، لا غَيْرِ ذَلِكَ، وانْصَرفَ. فَكُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا لَقِيتُهُ وَهُوَ كَالوالِهِ، وَيَتَكَلَّمُ وَحْدَهُ، فَإِذا رَآنِي، أَشَارَ إِلَيَّ بِالسَّلامِ؛ لا يَزِيدُنِي عَلَى ذَلِكَ. ثُمَّ مَشَيْتُ مِنَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِلى مَكَّةَ -زادَها اللَّهُ شَرَفاً- فَخَرَجْتُ فِي بَعْضِ اللَّيالِي مِنْ بَيْتِي لِلطَّوافِ بِالكَعْبَةِ، وكَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، فَوَجَدْتُ النَّاسَ قَدْ خَرَجُوا مِنَ الطَّوافِ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ إِلاَّ امْرَأَةٌ. فَكُنْتُ /92/ أَطوفُ مَعَها. فَإِذا فَرَغْتُ مِنْ طَوافِي، فَيَبْقَى لَهَا شَوْطٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ، فَإِذا فَرَغَتْ هِي، بَقِيَ لِي كَذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَ النَّاسُ، فَرَكَعْتُ فِي آخِرِ شَوْطٍ فِي المَقَامِ. ثُمَّ التَزَمْتُ المُلْتَزَمَ أَدْعُو وَأَتَضَرَّعُ، فَمَرَّتْ بِي فَسَمِعَتْنِي، فَقَالَتْ : أَيْ رَبِّ! هَذَا عَبْدُكَ قَدْ ثَقُلَ ظَهْرُهُ حَتَّى كَلَّ لِسَانُهُ، فَاغْفِرْ لَهُ وارْحَمْهُ. قَالَ : ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ مَكَّةَ لِمَدِينَةِ الرَّسولِ، (ﷺ)، فَأَقَمْتُ بِها مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْهَا مَعَ جَماعَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلى مَكَّةَ. فَلَمَّا مَشَيْتُ نَحْوَ الثَّلاثَةِ أَمْيَالٍ، تَعَذَّرْتُ مِنْ رِجْلِي؛ أَصَابَنِي فِيهِ ما مَنَعَنِي مِنَ المَشْيِ عَلَيْهِ، وَلَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَضَعَهُ عَلَى الأَرْضِ مِنْ جُرْحٍ أَصَابَنِي بِهِ. فَقُلْتُ لأَصْحابِي : امْشُوا وَدَعُونِي حَتَّى يَلْطُفَ اللَّهُ بِي. فَتَرَكُونِي تَحْتَ شَجرةٍ مِنْ أُمِّ غَيْلانَ[322] وَانْصَرَفُوا. وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي مِنَ المَاءِ إِلاَّ مَا شَرِبْتُ. فَبَيْنَمَا أَنَا مُضْطَجِعٌ تَحْتَ الشَّجَرةِ، إِذْ أَصَابَتْنِي سِنَةٌ، فَإِذا بِامْرَأَةٍ مُقْبِلَةٍ مِنَ المَدِينَةِ تُرِيدُ مَكَّةَ، ومَعَهَا وَلَدٌ صَغيرٌ.

322- أم غيلان، شجر السَّمُر (لسان العرب : مادة غيل). وكانت مقدسة عند الجاهليين (كما يقول الفيروزآبادي) وقالوا إنها مسكونة بالأرواح ؛ النهاية في غريب الأثر ج/3، ص 255؛ وتسمى الشجرة أيضاً بالطلح وقد يطلق عليها أيضاً اسم الأقاقيا (ضياء النبراس...م.س. ص 21) وكثيرة هي الكرامات المرتبطة بهذه الشجرة أو تقع عندها (انظر مثلاً: السر المصون، 105؛ الرسالة القشيرية، 207؛ تهذيب الأسرار، م. س. ص 369)، وعن رموزها في الكرامة الصوفية بصفة عامة؛ انظر : علي زيعور، الكرامة الصوفية...م. س. ص 215.

فَلَمَّا وَصَلَتْ إليَّ، قالَتْ : سَلامٌ عَلَيْكَ يا أَحْمَدُ. فَقُلْتُ لها: وَعَلَيْكِ السَّلامُ. ثُمَّ نَزَلَتْ فِي فِناءِ الشَّجَرَةِ بِمَقْرُبَةٍ مِنِّي، وكَانَ ذَلِكَ /93/ وَقْتَ القَيْلُولَةِ. فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ، نَادَتْنِي، وَقَالَتْ لِي : الصَّلاة، قُمْ فَتَوضَّأْ. فَقُلْتُ لها : مَا عِنْدِي مَاءٌ. فَقَالَتْ لِي : المَاءُ عِنْدَكَ، اِصْعَدْ لِتِلْكَ الرَّبْوَةِ- وَأَشارَتْ إلى رَبْوَةٍ بِالقُرْبِ مِنَّا- واحْفِر بِيَدِكَ، تجِدِ المَاءَ. قَالَ : فَتَكَلَّفْتُ المَشْيَ إلى الرَّبْوةِ، ثُمَّ حَفَرْتُ بِيَدِي قَليلاً، فَإِذا المَاءُ يَنْبُع، فَحَوَّضْتُ عَلَيْهِ حَتَّى اجْتَمَعَ، فَشَرِبْتُ وَمَلأتُ رَكْوَتِي، وتَوَضَّأْتُ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَتْ، وتَوضَّأَ الصَّبِيُّ، وَقَدَّمَتْني لِلصَّلاةِ، فَصَلَّيْتُ بِها، ثُمَّ قالَتْ لِي : اسْتَرِحْ حَتَّى العِشَاءِ. فَلَمَّا جاءَ وَقْتُ العَصْرِ، تَوَضَّأْتُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ وَصَلَّيْتُ. فَقالَتْ لي : يا أَحْمَدُ ! لا تُبَالِ عَلَى مَنْ مَضَى من أَصْحَابِكَ عَنْكَ، أَرْجُو مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُوصِلَكَ وإِيَّاهُمْ فِي يَوْمٍ واحِدٍ. فَلَمَّا كَانَ العَشيُّ، قَالَتْ لِي : قُمْ خُذْ فِي المَشْيِ. فَقُمْتُ أَمْشِي ولَيْسَ بِرِجْلي أَلَمٌ مِمَّا كُنْتُ أَجِدُهُ. فَمَشَيْتُ مَعَها إلى مَكَّةَ مَشْياً رَفِيقاً، ولَمْ أَعْدَمِ المَاءَ؛ مَتى احْتَجْتُ إِلَيْهِ، وَجَدْتُه. فَوَصَلْتُ إلى مَكَّةَ فِي يَوْمٍ واحِدٍ مَعَ أَصْحابي، وَالحَمْدُ للهِ. فَلَمَّا دَخَلْتُ مَكَّةَ، لَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَراهَا، ولَمْ أَجْتَمِع بِها بَعْدَ ذَلِكَ. نَفَعَ اللهُ تَعَالَى بِها وَبِالصَّالحِينَ مِنْ عِبادِهِ، بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ.

41= أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ مَلِيح

/94/ وَمِنْهُم الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ مَلِيحٍ. إمامُ مَسْجِدِ عَيْنِ إيصْلِيتَن [323]. كَانَ مِنَ المجْتَهِدِينَ فِي العِبَادَةِ.

أَخْبَرَني الْفَقيهُ أَبُو مُحَمَّد عَبْدُ الحقِّ -وَلَدُهُ- أَنَّهُ كَانَ يَصُومُ رَجَباً وَشَعْبَانَ وَشَوَّال، وَذا

323- حي شهير بفاس من عدوة القرويين.حدد الجزنائي موقعه بين باب الگيسة وباب المحروق؛ ولم يوافقه في ذلك آخرون.

انظر : الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس،م.س.، ص 108

القَعْدَةِ وَذا الحِجَّةِ والمُحَرَّمَ إلى آخرِه، لا يُفْطِرُ بنَهارٍ في هَذِه السَّبْعَةِ أشْهرٍ إلاَّ الأيّامَ المنْهِيَّ عَنْ صِيَامِها. وكَانَ يُحْيي لَيالِي رَمَضانَ صَلاةً؛ يَخْتِمُ فِيهَا ثَلاثاً وَثَلاثِينَ خَتْمَةً. نَفَعَهُ اللّهُ بذَلِكَ. وكَانَ مَعَ ذَلِكَ قَليلَ الكَلامِ إلاَّ فيما يَعْنِيه، كَثيرَ الصَّدَقَة.

أخْبَرَني الفَقيهُ أبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ الحَقِّ -إبْنُهُ- أنَّهُ كَانَ بفَاسَ مَسْغَبَةٌ وارْتَفَعَ السِّعْرُ. وكَانَ عِنْدَ عَبْدِ الحَقِّ عَشْرُ صِحَافٍ مِنْ قَمْحٍ. فَقَالَ وَالِدي لِوالِدَتي : إذَا جَاءَ مَنْ يَسْأَلُ، لا تَرُدُّهُ [كذا] وادْفَعْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الطَّعامِ، وتَصَدَّقْ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ بما تَيَسَّرَ، حَتَّى خَرجَتِ الشَّتْوَةُ [324]. وَأقَامَتْ والِدَتي عَلَى الأكْلِ مِنْ ذَلِكَ الطَّعامِ والصَّدَقَةِ مِنْهُ أشْهُراً. ثُمَّ قَالَ والِدي لِوالِدَتي : كِلْ [كذا] ذَلِكَ الطَّعامَ حَتَّى تَعْرِفَ [كذا] ما بَقِيَ مِنْهُ، فَاكْتَلْنَاهُ فَإذا هُوَ عَلَى مَكِيلِهِ الأوَّلِ، ولَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ بِفَضْلِ اللّهِ. رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِه.

42= أبُو عَبْدِ اللّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ الخَيْرِ

/95/ وَمِنْهُم الشَّيْخُ أبُو عَبْدِ اللّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ الخَيْرِ. كَانَ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى، مِنْ أهْلِ الفَضْلِ وَالفِقْهِ، وَالعِبادَةِ والنُّسْكِ والإرَادَةِ وَالانْقِطَاعِ.

أخْبَرَني الفَقيهُ أبُو مُحَمَّدٍ، قاسمٌ الشَّرِيفُ -صَدِيقُنَا- أنَّهُ زارَهُ بمَوْضِعِهِ فِي جَبَلِ قَفْص [325]، بمَقْرُبَةٍ مِنْ مِكْنَاسَةَ، وَأنَّهُ أخْبَرهُ صِهْرُ الشَّيْخِ أنَّهُ كَانَ فِي لَيْلَةٍ من اللّيَالِي، يُصَلِّي مَعَ الشَّيْخِ صَلاةَ المَغْرِبِ خَارِجَ المَسْجِدِ. فَلَمَّا أحْرَمَا بِالصَّلاةِ، جَاءَ الأسَدُ حَتَّى قَرُبَ مِنْهُما ورَبَضَ. قَالَ صِهْرُهُ المذْكُورُ : فَكُنْتُ أرْكَعُ وَعَيْنِي فِي الأسَدِ، وكَذَلِكَ فِي سُجُودِي، والشَّيْخُ عَلَى حَالَتِهِ لَمْ يَعْرِفْ بالأسَدِ، وَلَمْ يلتَفِتْ إلَيْهِ. فَلَمَّا سلَّمَ مِنَ الصَّلاةِ،

324- كذا في الأصل.. ولعلها : الشِّدَّةُ.

325- لم يرد ذكر لهذا الجبل في غير المستفاد من المصادر التي بين أيدينا الآن.

قُمْتُ عَلَى عَجَلٍ، ودَخَلْتُ المَسْجِدَ، وَأَغْلَقْتُ البَابَ عَلَى نَفْسِي، وَأَعَدْتُ صَلاةَ المَغْرِبِ، وَبَقِيَ الشَّيْخُ عَلَى حَالَتِهِ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلى الأَسَدِ.

وَأَخْبَرَنِي الفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ، قاسِمُ المذكور، عَنْ مَنْ أَخْبَرَهُ مِمَّن يَثِقُ [به]، أَنَّ الشَّيْخَ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ خَرَجَ مِنْ مِكْنَاسَةَ وحْدَهُ يُرِيدُ مَوْضِعَهُ. فَرآهُ بَعْضُ اللُّصُوصِ فَتَبِعَهُ لِيَأْخُذَ كِسَاهُ، والطَّرِيقُ فِيهِ عَطَفَاتٌ. فَكَانَ اللِّصُ يَقُولُ : فِي هَذِهِ العَطْفَةِ، حَتَّى جَاءَ آخِرَ عَطْفَةٍ،/96/ فَإِذا بِأَسَدٍ قَدْ لَقِيَ الشَّيْخَ، فَبَصْبَصَ إِلَيْهِ. فَلَمَّا رآهُ اللِّصُ خَافَ، فَالْتَفَتَ الشَّيْخُ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ : ما لَكَ؟ فَقَالَ لَهُ : اتَّبَعْتُكَ مِنْ مِكْنَاسَةَ لِآخُذَ كِسَاكَ. فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : خُذْهُ بِلا تَعَبٍ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ الكِسَاءَ. فَأَخَذَهُ اللِّصُ وَانْصَرَفَ، وَدَعَا لَهُ الشَّيْخُ أَنْ يُرَاجِعَ اللهُ بِه. فَأَرْجُو أَنَّ اللهَ قَبِلَ دُعَاءَهُ.

43= أَبُو الحَجَّاجِ، يوسُفُ الجَزولِيّ

وَمِنْهُم أَبُو الحجَّاجِ، يُوسُفُ الجَزُولِيُّ، رَحِمَهُ الله تَعَالَى. كَانَ مَشْهُوراً بِالعِبَادَةِ وَالخَيْرِ وَالاجْتِهَادِ. وكَانَ مِنَ الكَرَّادِينَ؛ عُمُرُهُ كُلُّهُ مَعْمُورُ الأَوْقَاتِ بِالصَّلاةِ والذِّكْرِ.

أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ ابْنُ الغَزَالِ، أَنَّهُ رَآه بِمَوْضِعِه. قَالَ : فَرَأَيْتُ رَجُلاً قَدْ صَارَ كَالشَّنِّ البَالِي مِنَ العِبادَةِ، وكَانَ لا يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا يَوْمَ الجُمُعَةِ لِصَلاةِ الجُمُعَةِ. وَقَدْ حَفَرَ قَبْرَهُ فِي بَيْتِه، وَيَجْلِسُ بِإِزَائِه لِيَتَذَكَّرَ بِهِ المَوْتَ. وكَانَ لا يُفْطِرُ إِلَّا فِي كُلِّ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ؛ يَأْكُلُ أَكلةً واحِدَةً، وَيُحْيِى اللَّيْلَ صَلاةً؛ يَخْتِمُ القُرْآنَ فِي كُل لَيْلَةٍ، وَيَقْرَأُ فِي كُلِّ يَوْمٍ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) [326]، خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ مَرَّةٍ. وكَانَ كَثِيرَ الصَّمْتِ؛ /97/ لا يَتَكَلَّمُ

326- سورة الخلاص، الآية 1

إلاَّ فِيمَا يَعْنِيهِ. نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وهَذا اجْتِهادٌ عَظِيمٌ، وَفِي قَرِيبٍ مِنْ هَذَا، ما رُوِيَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ القَمُّودِيِّ [327] «أَنَّ الحَجَّامَ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئاً مِنْ شارِبِهِ، فلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ مِنْ شُغْلِهِ بِالذِّكْرِ، فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللهُ، أَتْرُكْنِي آخُذُ شَيْئاً مِنْ شَارِبِكَ. فَقَالَ لَهُ : يا هَذَا ! كُلُّ إِنْسَانٍ فِي شُغْلِهِ، خُذْ ما أَمْكَنَ» [328].

«وَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ ابْنُ دَارَةَ المُتَعَبِّدُ [329]، فَأَقْبَلَ يُحَدِّثُهُ [فَأَكْثَرَ عَلَيْهِ في حَدِيثِهِ] [330]، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ : يا [أبا] عَبْدَ اللهِ ! أَبَعْدَ المَوْتِ عَمَلٌ؟ فَقَالَ : لا. فَقَالَ : سَلامٌ عَلَيْكَ. وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، وَأَحْرَمَ لِلصَّلاةِ» [331].

وَحُدِّثَ عَنْهُ، رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّهُ «أُهْدِيَتْ لَهُ رُمَّانَةٌ، فَأَقَامَتْ عِنْدَهُ فِي الطَّاقِ مُدَّةً، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ إِخْوَانِهِ، فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللهُ. لِهَذِهِ الرُّمَّانَةِ عِنْدَكَ مُدَّةٌ، فَمَا مَنَعَكَ الانْتِفاعَ بِها؟ فَقَالَ لَهُ : وَمَنْ يَتَفَرَّغُ لِتَحْبِيبِهَا؟» [332]

327- في الأصل : العبُّودي وهو تصحيف. وأبو جعفر القمودي، من صلحاء إفريقية المشهورين. توفي بمدينة سوسة، سنة 324 هـ. انظر ترجمته وبعض كراماته في : رياض النفوس، ج 2/ ص 211-234.

328- وردت هذه الحكاية في رياض النفوس، ج2/ ص 214

329- لم نعثر له على ترجمة، إلا أن المالكي ذكره مرتين في كتابه رياض النفوس، ج2، ص 215، و 455 ، ضمن من كان يعمر قصر أبي الجعد بالمنستير بإفريقية، في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.

330-زيادة من رياض النفوس، ج2/ ص 215

331- وردت هذه الحكاية في رياض النفوس، ج2/ ص 215

332- وردت هذه الحكاية في رياض النفوس، ج2/ ص 214

44= أَبُو إِسْحَاق، إبْرَاهِيمُ بْنُ كانون

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الفَقِيهُ أَبُو إِسْحَاقَ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ كانُون، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. كَانَ شَيْخاً عَامِلاً فَاضِلاً، صَوَّاماً قَوَّاماً، مُنْقَطِعاً مُجْتَهِداً مَعْمُورَ الْأَوْقَاتِ، لا يُرَى إِلَّا فِي المجْلِسِ، أَوْ فِي صَلاةٍ أَوْ فِي ذِكْرٍ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الصالحُ، أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ -جَارُنَا [333] - عَنْ وَلَدِهِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ : تُوُفِّيَ أَبِي إِبْرَاهِيمُ،/98/ وأَنَا ابْنُ سِتَّةِ أَعْوامٍ، وَأَنَا لا أُمَيِّزُهُ ولاَ أَعْرِفُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ مِنَ البَيْتِ سَحَراً؛ ولا يَأْتي إِلَيْهِ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ أَنَامَ.

وَقَالَ مُحَمَّدٌ : وَهَذَا ذُكِرَ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، أَنَّهُ كَانَ يَكْبُرُ وَلَدُ أَحَدِهِمْ فَلا يعْرِفُ أَحَدَهُمْ، ولا يعْرِفُ الوَلَدُ وَجْهَ والِدِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ عَنْهُ فِي السَّحَرِ، وَيَأْتِي بَعْدَ أَنْ يَنَامَ. فَوافَقَ فِعْلُ هَذَا الشَّيْخِ فِعْلَ السَّلَفِ، رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ لِي الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ : كَانَ أَبُو إِسْحَاقَ لا يَحْرُثُ ولا يَحْصُدُ، ولا يَشْتَغِلُ بِشَيْءٍ، إِنَّمَا كَانَ قُوتُهُ وَمَؤُونَتُهُ مِنْ نَحْلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ؛ يَبِيعُ مَا يَفْتَحُ اللهُ فِيهَا مِنْ عَسَلٍ، وَيُدَبِّرُ مِنْ ذَلِكَ عَيْشَهُ. نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو الحَسن، عَنْ بَعْضِ طَلَبَتِهِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : مَشَيْتُ مَعَ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ سَحَراً مِنَ الأَسْحَارِ، لِلعَيْنِ التِّي كَانَتْ بِقُرْبِ مَسْجِدِهِ، فَلَمَّا وَصَلْنَا لِقُرْبِ العَيْنِ، سَمِعْنَا غَطِيطَ المَاءِ، فَوَقَفْنَا نَنْتَظِرُ فَراغَ المغْسَلِ، فَأَبْطَأَ. فَقَالَ الفَقِيهُ : امْشِ إِلَى المَاءِ،

333- سماه التميمي في مكان آخر علي بن الحسن [وليس الحسين] الفارسي، وخصه بترجمة (رقم 11).

إنَّمَا هُوَ العَدُوُّ يُمْسِكُنا حَتَّى يَمْضِيَ قَلِيلٌ مِنَ الوَقْتِ. فبَادَرْنَا العَيْنَ، فَإذا هِي لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ المذكورُ، أنَّ وَلَدَهُ [334] عَبْدَ اللهِ، أَخْبَرَهُ أنَّ رَجُلاً مِنَ الأنْدَلُسِ جاءَهُ، فَقَالَ لَهُ /99/ : يا فَقِيهُ ! جِئْتُ إليْكَ أُعَلِّمُكَ الكِيمِيَّاءَ، لِمَا بَلَغَنِي مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يَأْتِيكَ مِنَ المُنْقَطِعِينَ وَمِنَ الصَّالِحِينَ، لِتَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى ضِيَافَتِهِمْ وَالإِحْسانِ إِلَيْهِمْ [و]لِمَنِ احْتَاجَ مِنْهُمْ. فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي، كَفَانا قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ. إنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) [335]. وانْصَرَفَ الرَّجُلُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الأنْدَلُسِيُّ : لَوْ كَلَّمْتُ مَنْ كَانَ فِي المَسْجِدِ، لَعَلَّهُ يُعْطِينِي شَقَفاً مِنْ نَارٍ. فأتاهُ بِذَلِكَ، فَأَخْرَجَ شَيْئاً مِنْ رَصَاصٍ، وَجَعَلَهُ فِي الشُّقَفِ [336]، وجَعَلَ ذَلِكَ عَلَى النَّارِ حَتَّى انْحَلَّ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ غُبَاراً كَانَ عِنْدَهُ. ثُمَّ أَخَذَ عَصَاهُ وكَانَ فِيهَا زُجٌّ [337] يُضْرَبُ فِي الأرْضِ، ثُمَّ قَلَعَ العَصَا، وبَقِيَ أَثَرُ الزُّجِّ فِي الأرْضِ، فأَخَذَ الرَّصَاصَ، فَصَبَّهُ فِي مَوْضِعِ الزُّجِّ، ثُمَّ قَامَ وَانْصَرَفَ. فَأَتَى بَعْضُ أَهْلِ المَوْضِعِ لِذَلِكَ المَوْضِعِ وَحَفَرَ عَلَيْهِ، فَأَخْرَجَ شِبْهَ الزُّجِّ فِضَّةً، فَحَمَلَهُ [لِبَعْضِ] الصَّاغَةِ [338] فَاخْتَبَرَهُ، فَوَجَدَهُ فِضَّةً خَالِصَةً. فَقَالَ الصَّائِغُ : عِنْدَكُمْ مِنْ هَذَا شَيْءٌ؟ فَمَا رَأَيْتُ أَطْيَبَ مِنْ هَذِهِ الفِضَّةِ. فَطُلِبَ الرَّجُلُ الفَاعِلُ لِذَلِكَ فَلَمْ يُوجَدْ، ولَمْ يُقْدَر عَلَيْهِ، ولَمْ يُرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي /100/ ذَلِكَ المَوْضِعِ.

334- أي ولد الشيخ ابراهيم ابن كنون. وفي الأصل : والده

335- سورة الطلاق، آية : 1-2

336- الشُّقَفُ : الخزف المكسر

337- الزج (جمع أزجاج وأزِجَّة وزجاج وزججة) : الحديدة التي تركب في أسفل الرمح والسنام يركّب عاليتَهُ. والزج تركز به الرمح في الأرض، والسنان يطعن به. لسان العرب : مادة زجج

338- في الأصل : فحملة للصاغة

45= أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدٌ الأَنْدَلُسِيّ

وَمِنهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدٌ الأَنْدَلُسِيُّ. أَصلُهُ مِنَ الأَنْدَلُسِ، وَاسْتَوْطَنَ بِفَاسَ. كَانَ رجُلاً صَالِحاً مُتَعَبِّداً مُجْتَهِداً صَاحِبَ وَرَعٍ ومُكَاشَفَاتٍ، عُمِّرَ طَوِيلاً، وَزَادَ عَلَى التِّسْعِينَ عَاماً.

أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدُ اللَّهِ، مُحَمَّدُ السَّدْرَاتِيُّ -وكَانَ يَخْدِمُه- قَالَ : أَعْطَانِي يَوْماً دِرْهَماً وَقَالَ : اشْتَرِ مِنْهُ شَابِلاً[339] واطْبُخْهُ، لَعَلِّي آكُلُ مِنْهُ، لأَنِّي اشْتَهَيْتُهُ. قَالَ : فَاشْتَرَيْتُ لَهُ شَابِلاً ومَا يَصْلُحُ لَهُ، وَبَقِيَ لِي مِنَ الدِّرْهَمِ خَرُّوبَةٌ[340]، فَاشْتَرَيْتُ بِهَا نِصْفَ قُرْصَةٍ، وَأَخَذْتُ فُتَاتَهَا وَحَشَوْتُ بِهَا الشَّابِلَ وَطَبَخْتُهُ، وَأَتَيْتُهُ بِهِ إِلَى مَوْضِعِهِ. فَلَمَّا رَآهُ، عَجَبَهُ وَدَعَا لِي، فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ، أَتَيْتُهُ فَقَالَ لِي : أَلَمْ أَقُلْ لكَ لاَ تَخْلِطْ مَا أُعْطِيكَ مِنَ القِطَاعِ[341] بِغَيْرِهَا؟ قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لا أُشَارِكُكَ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي المَاءِ، لِأَنَّهُ مِنَ الوَادِي، وَذَاكَ أَنِّي كُنْتُ أَعْجِنُ قُوتَهُ فِي صَحْفَةٍ لَهُ، وَمِلْحُهُ وَجَمِيعُ ما أَتَصَرَّفُ لَهُ فِيهِ مِنْ طَبْخٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ لا يَكُونُ إِلاَّ مَتَاعَهُ، وَلا يُخْلَطُ بِغَيْرِهِ. فَقُلْتُ لَهُ : جَمِيعُ مَا عَمِلْتُ لكَ مَا هُوَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي وَأُنْسِيتُ أَنِّي اشْتَرَيْتُ بِالخَرُّوبَةِ التِّي بَقِيَتْ لَهُ مِنَ

339- من أسماك الأنهار، وكان صيادو فاس يصطادونه من وادي سبو ومن روافده، كوادي فاس، ومنها كان يحمل إلى النواحي المجاورة كمكناس «وتصنع منه ألوان كثيرة». الحميري، الروض المعطار، ص 606؛ وانظر كذلك : كتاب الاستبصار، ص 184؛ روض القرطاس، ص36؛ جلوة الاقتباس، 48/1؛ جنى زهرة الآس، 39؛ وصف افريقيا، 249/2

340- الخَرُّوبة : اسم لقطعة نقدية صغيرة لعلها كانت تساوي 1/16 جزءاً من الدرهم، إذ يذكر صاحب « المعجب» (ص 207) أن الموحدين كانوا يضربون «أنصاف الدراهم وأرباعَها وأثمانها والخراريب». وتطلقها العامة لفظ الخروبة على ثُمْن القيراط. Dozy, *Supplèment*, I. p. 357, الأهواني، ألفاظ مغربية، ص 282

341- القَطاع ج. قطاعة : الدراهم مطلقاً (Dozy, Supplément... II, p. 379)، وفي القاموس القطاع : الدراهم وتسمى دراهم الفضة قطعاً. والكلمة شائعة الاستعمال في الأمثال والأزجال الأندلسية (د، محمد بن شريفة ، أمثال العوام في الأندلس، فاس، 1971، ق2 ص 59 هامش 237)

الدِّرْهَمِ نِصْفَ خُبْزَةٍ،/101/ وَأَخَذْتُ فُتَاتَهَا؛ حَشَوْتُ بِهِ الشَّابِل. ثُمَّ تذكَّرْتُ، فَقُلْتُ لَهُ : نَعَمْ. بَقِيَتْ مِنَ الدِّرْهَمِ خَرُّوبَةٌ، وَاشْتَرَيْتُ بِهَا نِصْفَ خُبْزَةٍ حَشَوْتُ بِفُتَاتِها الشَّابِلَ. فَقَالَ لي : صَدَقْتَ، ارْفَعِ الطَّاجِنَ، وَادْفَعْهُ لِمُحْتَاجٍ يَأكُلُهُ. قَالَ : فَأَخَذْتُهُ فَتَصَدَّقْتُهُ فيما قَالَ. قَالَ : الحَمْدُ لله.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وفي قَرِيبٍ مِنْ هَذَا، مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي الفَضْلِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ مَسْرُورٍ[342]، المُتَعَبِّد بِالمُنَسْتِير[343]، أَنَّهُ اشْتَهَى تِيناً أَخْضَرَ. فَسَمِعَهُ إِنْسانٌ يَذْكُرُ ذَلِكَ. فَمَشَى إِلَى السُّوقِ، فَاشْتَرَاهُ لَهُ، وأَتَى بِهِ إِلَيْهِ. فَلَمَّا رَآهُ أَبُو الفَضْلِ مِنْ بعيدٍ، قَالَ لَهُ : اذْهَبْ عَنِّي، فَرَاعَ الرَّجُلَ ذَلِكَ، وَرَجَعَ إِلَى صَاحِبِ التِّينِ، وَقَالَ لَهُ : أُحِبُّ أَنْ تُقِيلَنِي فِي هَذَا التِّين[344]، لأَنَّ الَّذِي اشْتَرَيْتُهُ لَهُ لَمْ يُرِدْهُ. فَقَالَ لَهُ : ومَنْ [هُوَ][345]؟ قَالَ لَهُ : أَبُو الفَضْلِ الصَّالِحُ[346].قَالَ لَهُ : أَبُو الفَضْلِ لا يَصْلُحُ لَهُ هَذَا التِّينُ[347].فَقُلْتُ لَهُ : ولِمَ ذاكَ؟ قَالَ : لأَنَّهُ لِرَجُلٍ كُتَامِيٍّ سَخَّرَ عَلَيْهِ أَهْلَ المَنْزِلِ؛ حَرَثُوهُ لَهُ[348] : إِثْنَيْ عَشَرَ سِكَّةً فِي أَرْضٍ مَغْصُوبَةٍ. قَالَ : فأتَى الرَّجُلُ إِلَى أَبِي الفَضْلِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئاً، ولا قَالَ لَهُ

342- هو أبو الفضل يوسف بن مسرور مولى لجم الصيرفي المتوفى سنة 324 هـ (935م). ترجمته في المدارك، ج 5/ 143-146؛ الدباغ وابن ناجي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ط2، تحقيق شبوح، ماضور، أبو النور، تونس- القاهرة، المكتبة العتيقة ومكتبة الخانجي. (د.ت) ج 3/ص، 12-16

343- المنستير : محرس من محارس سوسة بافريقية، ورباطها اشتهر بدوره الروحي والجهادي. انظر،البكري، 36؛ معجم البلدان، ج5/ص 210؛ الحميري، الروض المعطار، ص 551؛ الاستبصار، 120؛ وانظر الدراسة القيمة لـ : Mikel de Epalza, Al- Munastir d'Ifriqiya et al munastir de xarq al Andalus, ضمن كتاب : التراث الأندلسي في الثقافة العربية والإسبانية، تونس، 1991، ص 95-106

344-في رياض النفوس، ج2/ص 238 «تقيلني من هذا التين»

345- زيادة من رياض النفوس

346- في رياض النفوس : أبو الفضل مولى لجم

347- في رياض النفوس : ولمثل أبي الفضل يصلح هذا التين ؟

348- كلمة ساقطة من رياض النفوس

«اذهَبْ عنِّي»، كمَا قَالَ لَهُ أوَّلَ مرَّةٍ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : ألَيْسَ اشْتَهَيْتَ التِّينَ؟ فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ.فَقَالَ لَهُ : ولِمَ رددْتَني بِهِ؟ فَقَالَ لَهُ : وأيُّ شَيْءٍ كَانَ /102/ مَعَكَ؟ واللهِ مَا خُيِّلَ لِي أنَّهُ كَانَ مَعَكَ إلَّا خِنْزِيرٌ تَقودُهُ، فَلِذلكَ صرَفْتُكَ. فَأَخْبَرَهُ بما قَالَ لَهُ صَاحِبُ التِّينِ[349].

قَالَ أبُو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّدُ السَّدْرَاتِيّ -خَادِمُ الشَّيْخِ- أنَّهُ كَانَ يَوْماً مِنَ الأيَّامِ عِنْدَهُ حَتَّى وَصَلَ أخُوهُ، فَقَالَ لِلشَّيخِ : ادْعُ اللهَ لِي، فَإنَّ فُلاناً كَانَ مَكْتُوباً فِي العَسْكَرِ، فَكَتَبَنِي بَدَلاً مِنْهُ[350]. فَأطْرَقَ الشَّيْخُ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ لِي : مَا يَكُونُ ذَاكَ، ولاَ يَأتِي ضَحْوَةَ[351] غداً، إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، إلَّا وقَدْ أُسْقِطْتَ مِنَ الزِّمَامِ[352]، ولا يمْشِي إلَّا الَّذِي جَعلَكَ بَدلاً مِنْهُ. فَانْصَرفَ أخِي، فَلَمَّا كَانَ فِي الغَدِ، وقَعَ العَرْضُ فِيمَنْ كُتِبَ. فَلَمَّا وقَفَ أخِي بَيْنَ يَدَيْ مَنْ يَنْظُر فِي ذَلِكَ، قَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ عِنْدِي ! فَقِيل لَهُ : هَذَا بَدلٌ مِنْ فُلان، فَقَالَ : لا يَكُونُ ذَلِكَ. إنَّما يمْشِي المَكْتُوبُ أوَّلاً. انْزِلْ عَنِ الفَرَس. ودَعا ذَلِكَ الرَّجُلَ الأوَّلَ، وأَثْبَتَهُ، وانْصَرفَ أخِي مُعافىً مِنَ السَّفَرِ بِبَرَكَةِ دُعاءِ الشَّيْخِ.

وقَالَ أبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ السَّدْرَاتِي : ولَمَّا ضَاقَ عَلَى الشَّيْخِ قُوتُهُ مِنَ الحَلالِ البَيِّنِ الَّذِي لا شُبْهَةَ فِيهِ، انْتَقَلَ مِنْ فاسَ إلَى جَبَلِ غَيَّاثَة[353]، وقَالَ : الحَلالُ بِذَلِكَ المَوْضِعِ

349- الجملة الأخيرة لم ترد في رياض النفوس. وانظر الخبر كله في المصدر نفسه، ج 2/ ص 238-239

350- يبدو من هذه المعطيات وغيرها الواردة في التشوف (ص 279)، أن الموحدين قد نهجوا سياسة التجنيد الإجباري.

351- أي لا يكون ضحى الغد

352- الزمام (ج. أزمّة) هنا هو السجل الذي يتضمن أسماء الجند. وقد ورد المصطلح في ترجمة أبي خزر يخلف الأوربي بمعنى سجل تقييد الواجبات الجبائية المفروضة على الأرض الفلاحية.

353- يقع على بعد نحو خمسة أميال من تازة، يمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة قرابة ثمانية أميال طولاً وخمسة أميال عرضاً. وهو جبل كثيرة التين والأعناب وجميع الفواكه، خاصة الجوز، وتسكنها قبائل من البربر يعرفون بغياثه. **الاستبصار**، 186 الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج356/1

مَوْجودٌ، وَالْمُبَاحُ كَثِيرٌ[354]، فاستَوْطَنَهُ حَتَّى مَاتَ، رَحِمَهُ اللهُ.

46= أَبُو عَبْدِ اللّٰهِ، مُحَمَّدٌ البَلَنْسِيّ

/103/ وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللّٰهِ مُحَمَّدٌ البَلَنْسِيُّ. رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. كَانَ من أَصْحَابِ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ، وكَانَ صَاحِبَ كَرَامَاتٍ، وَمِمَّنِ انْقَطَعَ إلى اللّٰهِ تَعَالَى.

أَخْبَرَنِي أَبُو العَبَّاسِ ابْنُ رُشَيْدٍ، وكَانَ مِنْ أَصْحَابه، أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا كُنْتُ بِبجَايَةَ، وَقْتَ سَفَرِي إلى المَشْرِقِ، واجْتَمَعْتُ بِأَبِي عَبْدِ اللهِ البَلَنْسِيِّ بِبجَايَةَ، وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلى المَشْرِق، فَقَالَ لي : لَوْلاَ والِدَتُكَ التِّي بِفَاسَ، لَرَجَعْتَ مَعِي إلى مَكَّةَ. قَالَ أَبُو العَبَّاسِ : فَفَارَقْتُهُ ومَشَيْتُ إلى الجَامِعِ، فَوَجَدْتُ بابَ الجَامِعِ مُغْلَقاً، فَقَعَدْتُ أَنْتَظِرُ فَتْحَهُ، فإذا بِأبي عَبْدِ اللهِ قَدْ أَقْبَلَ، فَقَالَ لي : ما حَبَسَكَ هَا هُنا؟ فَقُلْتُ لَهُ : وَجَدْتُ البَابَ مُغْلَقاً. فَقَالَ لي : مَشِيتَ إلى المَشْرِقِ، ورَجَعْتَ مِنْهُ كَمَا مَشِيتَ؟! ثُمَّ تَقَدَّمَ إلى البَابِ، فدَفَعَهُ فَانْفَتَحَ. قَالَ أَبُو العَبَّاسِ : وَلَقَدْ دَفَعْتُهُ المرَّةَ بَعْدَ المرَّةِ، فَمَا اهْتَزَّ، ومَا كَانَ إِلَّا مُغْلَقاً مُثَقَّفاً.

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ : وَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ بِجَايَةَ أُرِيدُ المَغْرِبَ، خَرجَ أَيْضاً هُوَ يُرِيدُ المَشْرِقَ. قَالَ لي : ما مَعَكَ مِنَ الدَّرَاهِمِ؟ فَقُلْتُ لَهُ : دِرْهَمٌ واحِدٌ. فَقَالَ لي : اشْتَرِ بِهِ الخُبْزَ. فَاشْتَرَيْتُ بِهِ رَغَائِفَ كَثِيرَةً، فَمَرَرْنَا بِسَائِلٍ فَقَالَ : أَعْطِهْ. فَأَعْطَيْتُهُ رَغِيفَتَيْنِ. /104/ ثُمَّ مَرَّ بِآخَرَ، فَقَالَ : أَعْطِهْ. فَأَعْطَيْتُهُ كَذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّ بِثَالِثٍ وَرَابِعٍ، فَأَعْطَيْتُهُمَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعي

354- ميز بعض متصوفة الغرب الإسلامي بين القوت «المباح» و«الحلال» و«الطيب» و«الصافي». «فالمباح ما كان مستوي الطرفين؛ ما على أخذه عقاب، ولا على تركه ثواب. والحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحداً من النساء والرجال، والطيب هو ما أخذه العبد بوصف الفناء، إذ لا وصف له مع مولاه، والصافي هو ما عاينه العبد من المنبع، يعني من عين قدرة الله»، إبن عطاء الله السكندري، لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص124.

إلَّا رَغيفَانِ. فَقَالَ لي : اعْدِلْ بِنا عَنِ الطَّرِيقِ نَأْكُلْ؛ فَعَدَلْنا. ثُمَّ جَلَسْنا وكَسَّرْنَا ما بَقِيَ مَعَنا مِنَ الرَّغَائِفِ. فَلَمَّا فَرَغْنا، قَالَ لي : فِي غَدٍ عِنْدَ الضُّحَى، يُخْلِفُ اللهُ عَلَيْكَ هَذَا الدِّرْهَمَ. قَالَ : فَوَدَّعْتُه، وانْصَرَفَ شَرْقاً، وانْصَرفْتُ غَرْباً. فَوَصَلْتُ إلى مَنْزِلٍ يُسَمَّى بِأُمِّ العُلُوِّ، فَنَزَلْتُ فِي مَسْجِدٍ خَارِجَ المَنْزِلِ. فَلَمَّا أَمْسَى اللَّيْلُ، أَغْلَقْتُ عَلَى نَفْسِي. قَالَ : فَلَمَّا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ بُرْهَةٌ، إِذَا بِضَارِبٍ يَضْرِبُ البَابَ، فَقُلْتُ : مَنْ؟ قَالَ : افْتَحْ ! فَفَتَحْتُ البابَ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، وَقَالَ لِي : تَفَضَّلْ بِالوُصولِ مَعِي لِبَيْتِي. فَقُلْتُ : نَعَمْ. فَمَشَيْتُ مَعَهُ إِلى بَيْتِهِ، فَقَرَّبَ لي قَصْعَةً مِنْ ثَرِيدٍ وَدَجَاجٍ، فَأَكَلْتُ مَعَهُ، وَبِتُّ عِنْدَهُ باقِيَ اللَّيْلِ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ، انْصَرَفْتُ عَنْهُ. فَبَيْنَمَا أَنا أَمْشِي فِي الجَبَلِ، فَإِذا بِفَارِسٍ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ، فَسَأَلَنِي : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ فأَعْلَمْتُهُ. فكَبُرَ عَلَيْهِ مَا قُلْتُ لَهُ، وَقَالَ لي : أَنْتَ مَشَيْتَ هَذا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ.فَقَالَ لي : لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ تَقْضِيها ؟ فَقُلْتُ لَهُ : أَقْدِرُ عَلَيْها ؟

فَقَالَ : نَعَمْ. فَقُلْتُ لَهُ : أَقْضِيها. فَأَخرَجَ صُرَّةً فِيهَا دَراهِمُ مِنَ الحَنْدُوسِ[355]، صَرْفِ دينارٍ، فَقَالَ لي : تَقْبَلُ /105/ هَذِهِ مِنِّي؟ فَأَخَذْتُها مِنْهُ وانْصَرَفْتُ، وتَذَكَّرْتُ عِنْدَ ذَلِكَ قَوْلَ الشَّيْخِ لي : فِي غَدٍ يُخْلِفُ اللهُ عَلَيْكَ، إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، هَذَا الدِّرْهَمَ الَّذِي اشْتَرَيْتَ بِهِ الخُبْزَ.

47= أَبو الطَّيِّب، سَعيدُ بْنُ حَنين[356]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ سَعيدُ بْنُ حَنِينٍ، المُكنَّى بأَبِي الطَّيِّبِ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. كَانَ شَيْخاً فاضِلاً حَافِظاً لِكِتابِ اللهِ تَعَالَى، تَالِياً ذاكِراً لَهُ، لا يَفْتُرُ مِنْ تِلاوَتِهِ لَيْلاً وَلا نَهاراً، نَفَعَهُ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.

355- لا يرد ذكر هذا النقد ضمن أسماء نقود الموحدين المعروفة. إلا أن الحندوس ورد في نص لابن خلدون حينما تعرض للاصلاحات النقدية التي سنها الخليفة المستنصر الحفصي بافريقية حوالي سنة 660 هـ/ 1262م يقول : « استحدث [السلطان] سكة من النحاس مقدرة على قيمته من الفضة، حاكى بها سكة الفلوس بالمشرق تسهيلاً على الناس في المعاملات بإسرافها وتيسيراً لاقتضاء حاجاتهم. [...] وسمى سكته التي استحدثها بالحندوس» العبر، ج 6/ ص 371. (ومن المعلوم أن الحفصيين يعتبرون ورثة النظم الموحدية). ويؤكد الزركشي من جهته هذا التاريخ بقوله : «وفي سنة ستين وستمائة [1262م] في شهر ربيع منها صنع الحندوس؛ وهي فلوس النحاس بتونس، ليتصرف الناس بها وقطعت في شوال من السنة المذكورة» . **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتقديم الحسين اليعقوبي، المكتبة العتيقة ، تونس، ط1، 1998، ص 80؛ إلا أن نصوصاً أخرى تشير إلى تداول قراريط الحندوس في المعاملات التجارية بافريقية قبل هذا التاريخ. انظر : د. ابراهيم القادري بوتشيش، **التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب...**، منشورات جامعة السلطان قابوس، ط1، 2000، ص 64 (ويحيل المؤلف على كتاب **طبقات مشايخ الأباضية** للدرجيني)

وانظر كذلك : Robert Brunschvig, Esquisse d'histoire monétaire almohado-hafside, in *Etudes d'Islamologie*,t. 1, Paris, 1973, p. 79

356- في **جلوة الاقتباس**...م.س.، (ص518) ترجمة لسعيد بن حنين الفقيه الشاعر المتوفى سنة 463 هـ. لكن لا يبدو أن له صلة بالشخص الذي يترجم له التميمي.

48= أَبُو الحَسَن، عَلِيٌّ الفارِسِيّ [357]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ الحَسَنِ الفَارِسِيُّ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى. كانَ، رَحِمَهُ اللّهُ، مِنْ أَهْلِ الانْقِباضِ وَالانْزِواءِ؛ مُلازِماً لِدَارِهِ لا يَتَصَرَّفُ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، مُشْتَغِلاً بِحالِهِ، تالِياً لِكِتابِ اللّهِ العَزِيزِ؛ كَانَ يَخْتِمُ القُرْآنَ فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ، كَثِيرَ الصَّدَقَةِ، ولا سِيَما عَلَى أَهْلِ السِّتْرِ وَالفَضْلِ. وكَانَ لا يَخْرُجُ مِنْ مَوْضِعِهِ إلّا لِصَلاةِ الجُمُعَةِ. أَقَامَ عَلَى تِلْكَ الحالَةِ إلى أَنْ تُوُفِّيَ، رَحِمَهُ الله تَعَالَى، ونَفَعَ بِهِ بِمَنِّهِ وفَضْلِهِ.

49= أَبُو عَبْدِ اللّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ أَمْغَار [358]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللّهِ، مُحَمَّدُ بْنِ أَمَغَارَ /106/ الزَّمُّورِيّ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى. كَانَ

357- أبو الحَسَن عَلِيّ ابن مُلُولة الفارسي، كان جاراً للتميمي. وقد وفد بنو ملولة من العراق على الإمام إدريس، بعيد بنائه لمدينة فاس حسب ابن أبي زرع. (**القرطاس**، ص 39)، أو إنهم «من الفرس، حسب صاحب «**بيوتات فاس الكبرى**» (ص 38). وقد تولى القضاء منهم بفاس جماعة وانقرضوا، ولا عقب لهم» ؛ **زهر الآس**، 221/2

358- أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن اسماعيل أمغار. ينتمي إلى بيت الأمغاريين الشهير بـ «تيط الفطر» ويبدو أن ترجمة التميمي لأبي عبد الله لا تعكس بوضوح أهمية هذه الشخصية التي كان لها شأن كبير على عهد المرابطين، إذ راسله السلطان المرابطي علي بن يوسف سنة 517 هـ وتردد إليه والتمس بركة دعائه، واستشاره في قضايا اقتصادية واجتماعية من قبيل إتمام سور حول العاصم مراكش (**بهجة الناظرين مخطوط**، 25). وقد استرسل الصلاح في عقب أبي عبد الله أمغار واشتهر عدد منهم (انظر مثلاً : **بهجة الناظرين (في أماكن متعددة)**، **التشوف**، 426)؛ محمد المازوني، **آل أمغار في تيط وتصلوحت**، بحث د، د، ع، في التاريخ ، 1986-1987،، (نسخة مرقونة بكلية الآداب بالرباط)، ولنفس الباحث «قضية الأمغاريين كمتصوفة وأشراف من خلال كتاب بهجة الناظرين»، ضمن كتاب، **محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني**، تنسيق وتقديم محمد العيادي، أعمال مجموعة الأبحاث في التاريخ الديني، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الحسن الثاني -عين الشق الدار البيضاء، سلسلة ندوات ومناظرات، 8، 1996، ص 131-150: أحمد الوارث، «**بهجة الناظرين... ومسألة شرف الأمغاريين** أو «**هامش سيرة آل أمغار**»، ضمن نفس الكتاب السابق الذكر، ص 151-161

مِنْ أَهْلِ الجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، وَالكدِّ والتَّبتُّلِ وَالعِبادَةِ، حَتَّى صَارَ كالشَّنِّ البالي.

أَخْبَرَنِي الْفَقِيهُ أَبُو القاسمِ، عَبْدُ الرَّحْمَانِ ابْنُ الْفَقِيهِ عِيسَى بْنِ يُوسُفَ الأَزْدِي[359]، أَنَّهُ اجْتَمعَ بِهِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ رَجُلاً كَانَتْ الآخِرَةُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ؛ لَوْ قِيلَ لَهُ إِنَّ القِيَامَةَ غَداً مَا زَادَ عَلَى ما هُوَ فِيهِ مِنَ العِبَادَةِ. مَقَامُهُ المُرَاقَبَةُ وَالهَيْبَةُ، مَعَ وَرَعٍ صَادِقٍ وَتَقَلُّلٍ مِنَ الدُّنْيَا، لا يَأْخُذُ مِنْهَا إِلَّا أَخْذَ الكَفَافِ. نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.

50= الشَّيْخ الفُتوح

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الفَتُوحُ[360]، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. مِنْ أَصْحَابِ أَبِي الحَسَنِ بْنِ حِرزِهِم. كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِدِّ والاجْتِهَادِ فِي العِبادَةِ. خَرجَ مِنْ مَدِينَةِ فاسَ إِلَى مَكَّةَ، وَجَاوَرَ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ عاماً، وكَانَ بِها فِي طُولِ مُجَاوَرَتِهِ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الاجْتِهادِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلى فَاسَ وماتَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

359- لعله أبو القاسم عبد الرحيم بن عيسى بن يوسف الأزدي المعروف بابن الملجوم المتوفى سنة 603 هـ/1206م، أو 604 هـ/1207م. انظر ترجمته في **جلوة الاقتباس**...م.س، ص 416، 417

360- ترجم التميمي لشخص آخر يحمل اسم الفتوح أيضاً، وهو المذكور في **جلوة الاقتباس** ...م.س، ص 507؛ **السلوة**، 5/2 ويسميانه الغازي ابن الفتوح، ويقولان: «...ذكره الكتاني في المستفاد ولم يذكر وفاته وإنما عينَهُ بوقت دراس بن اسماعيل فقط رحمة الله على الجميع»، أما الذي في القطعة فهو ليس الغازي قطعاً لأنه من معاصري أبي الحسن ابن حرزهم المتوفى سنة 559 هـ /1163م

51= رَجُلٌ خَيّاطٌ

وَمِنْهُمْ رَجُلٌ خَيَّاطٌ كَانَ بِمِكْنَاسَةَ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو الحسَنِ، عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ[361] - جارُنَا- قَالَ : أَخْبَرَنِي قاسِمٌ المُعَلِّمُ عَنِ الرَّجُلِ الخَيَّاطِ، أَنَّهُ لَمَّا /107/ حُصِرَتْ مِكْنَاسَةُ وَغُلِّقَتْ أَبْوابُها، أَنَّهُ كَانَ يُرى خارِجَ البَلَدِ فِي أَوْقاتٍ، ثُمَّ يُرى بَعْدَ ذَلِكَ داخِلَ البَلَدِ، وَالأَبْوابُ كُلُّها مُغْلَقَةٌ، والحُرّاسُ عَلَيْها؛ لا تُفْتَحُ لأَحَدٍ[362].

قَالَ قاسِمٌ المَذْكورُ : وَأَتَانِي يَوْماً بِكَفَنٍ فِي يَدَيْهِ فَقَالَ لي : هَذَا كَفَنِي، فَكَفِّنِّي فِيهِ، فَإِنِّي أَمُوتُ غَداً أَوْ بَعْدَ غَدٍ، فَافْتَقِدْني. فَمَاتَ اليَوْمَ الثَّالِثَ مِنْ يَوْمِ وُصُولِهِ إِليَّ بِالكَفَنِ، رَحِمَهُ الله.

361- كذا في الأصل، ولعله علي بن الحسن (وليس الحسين) الفارسي الذي سبقت ترجمته

362- تتفق المصادر على أن فتح مدينة مكناسة لم يكن بالعملية الهينة وأن حصارها استغرق مدة طويلة، إذ ظلت الحامية المرابطية التي كانت مقيمة بها تقاوم بقيادة يدر بن ولكوط من أواخر عام 540 هـ /1145م إلى أول عام 545 هـ./1151م بل قيل أن الحصار استمر سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام. وكثيرة هي الإشارات التي تفيد بقساوة الحصار وشدته، فابن الخليفة الأمير أبو محمد عبد المؤمن «جد في حصارها». ويروي ابن غازي أن الموحدين «خندقوا عليها خنادق زعموا إنها سبعة خنادق ليحصنوا بها محلتهم.. ولما فتحت المدينة «قتل أكثر رجالها وأخذت أموالهم وسبي حريمهم».(**الروض الهتون**، ص 20-2 ؛ ابن عذاري، **البيان** (قسم الموحدين)، 23-25؛ البيذق، **أخبار المهدي ابن تومرت**، ص 62، 67، **القرطاس**، 263

أما بخصوص هذه الكرامة فقد أورد ابن مريم ما يشبهها للشيخ ابراهيم المصمودي الذي أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة. (**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**.. م.س. ص 65-66

52= أَبُو زَيْد، عَبْدُ الرَّحْمَان المِكْنَاسِيّ

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ، أَبُو زَيْدٍ، عَبْدُ الرَّحْمَانِ المِكْنَاسِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ -عُرِفَ بِابْنِ الصَّبَّاغِ - قَالَ : أَخْبَرَنِي الحاجُّ عَبْدُ العَزِيزِ بْن عَلِيِّ الخَيْطِيِّ، أَنَّهُ لَمَّا اجْتَمعَ بِأَبِي زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بِمَكَّةَ، رَأَى عَلَيْهِ أَثَرَ الجَهْدِ ظاهِراً. قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : ما هَذَا الَّذِي أَرَى بِكَ؟ قَالَ : فَقَالَ لِي : إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ إِلى المَوْصِلِ أُرِيدُ العِراقَ، أَدْرَكَتْنِي شِدَّةٌ وَقِلَّةٌ، فَوَصَلْتُ الكوفَةَ، وأَتَيْتُ المَسْجِدَ الجامِعِ، وَحَوْلَ الجَامِعِ مَنْصَبَةٌ، فَنَزَلْتُ عَلَيْها، وَقَدْ أَجْهَدَنِي الجُوعُ والضَّعْفُ. فقُلْتُ فِي نَفْسِي : ما كُلِّفْتُ هَذَا، إِنَّما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) [363]. قَالَ : فَاضْطَجَعْتُ عَلَى تِلْكَ المَنْصَبَةِ، وَنِمْتُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ،(ﷺ)، فِي النَّوْمِ، فَقَالَ لِي : أَنْتَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ.

/108/ قَالَ مُحَمَّدٌ : فَلا أَدْرِي هَلْ أَرادَ النَّبِيُّ،(ﷺ)، بِقَوْلِهِ : «أَنْتَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ»، لِلَّذِي جَاءَ فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَسْعودٍ، عَنِ النَّبِيِّ، (ﷺ)، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ[364] ثَلاثَمِائَةٍ قُلوبُهُم عَلَى قَلْبِ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلام، وَلَهُ فِيهَا سَبْعَةٌ قُلوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلام، وَلَهُ فِيهَا ثَلاثَةٌ قُلوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ ميكائيل، عَلَيْهِ السَّلام، وَلَهُ فِيهَا واحِدٌ قَلْبُهُ عَلَى قَلْبِ إِسْرافيل، عَلَيْهِ السَّلام [365]؛ الحَدِيثَ بِكَمَالِهِ[366]، فَمَنْ أَرادَ الوُقُوفَ عَلَيْهِ وَعَلى أَمْثالِهِ مِنْ الأَخْبارِ فِي ذَلِكَ، فَلْيَطْلُبْهُ فِي كِتابِنا المُسَمَّى بِكِتابِ

363- سورة آل عمران، آية 97

364- عند صاحب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج1، ص 9 : في الخلق

365- انظر الحديث وتتمته في حلية الأولياء، ج1، ص 8-9. مع اختلافات بسيطة في اللفظ

366- انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ط. 1، ج 3/ص 150؛ و انظر تفسير ابن عربي لهذا الحديث في « الفتوحات المكية»، ج 11، ص290-304

«أَدَبُ المُرِيدِ السَّالِكِ وَالطَّرِيقِ إِلى الواحِدِ المَالِكِ» [367]

53= أَبُو زيد، عَبْدُ الرَّحْمَانِ الخَرَّاز

وَمِنْهُمْ أَبُو زَيْد، عَبْدُ الرَّحْمَانِ الخَرَّازُ. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. كَانَ رَجُلاً صَالِحاً مُنْقَبِضاً عَنِ النَّاس، مُقْبِلاً عَلَى حِرْفَتِهِ. فَإِذا جَاءَ الصَّيْفُ خَرَجَ لِلْحَصاد؛ يَحْصُدُ بِيَدِهِ عِنْدَ مَنْ يَرْضَى حَالَهُ، وَلا يَأْخُذُ زائِداً عَلَى إِجَارَتِهِ المَعْلُومَة، فَيَتَقَوَّتَ بِذَلِكَ، وَيَتَفرَّغُ لِعِبادَةِ مَوْلاهُ، وَالتَّلَذُّذِ بِهِ فِي الخَلْوَةِ وَمُنَاجاتِهِ. نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.

54 = أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ مَعْبَد

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ [368]، مُحَمَّدُ بْنُ مَعْبَد./109/ ذُكِر أَنَّهُ كَانَ مِنْ بَنِي حَمَد، مِنْ عِلْيَةِ [369] أَهْلِ قُرْطُبَةَ، وَكَانَ لا يُنْسَبُ إِلى أَحَدٍ. وَكَانَ صَاحِبَ عُزْلَةٍ وَاجْتِهادٍ، مُجابَ الدَّعْوَةِ. وذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَ الخَضِرِ [370]، عَلَيْهِ السَّلام.

أَخْبَرَنِي مَحَلُّ الإبْنِ البِرِّ، الصَّالِحُ الخَطِيبُ، أَبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ ابْنُ الشَّيْخِ الفَقِيهِ الخَطِيبِ أَبِي عِمرانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، عَنْ والِدَتِهِ، صَانَها اللَّهُ، عَنْ زَوْجَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ

367- أورده ابن عبد الملك المراكشي على رأس لائحة مؤلفات محمد التميمي، (الذيل والتكملة، 8/ 356)

368- في الأصل : عبد الرحمان. وسيكرر كنيته (أبو عبد الله) مرتين في متن ترجمته.

369- عِلْيَة الناس : أشرافهم وجِلتهم لا من سِفْلتهم. وفلان من عِلْيَةِ قومه وعِلِيِّتهم وعُلِيِّهم أي في الشرف والكثرة (لسان العرب، مادة علا)

370- يكثر ذكر الخضر في حكايات الصالحين ودوره في كراماتهم، وقد «اختلف في حياته وموته وزمانه واسمه ونسبه ونبوته أو ولايته». وقد خصص العزفي (في دعامة اليقين، ص 81-93) فصلاً شيقاً يناقش فيه جميع هذه القضايا حسب أقوال العلماء. وقد افردت الأستاذة حليمة فرحات دراسة عن الخضر في المغرب الوسيط بعنوان:
Reflexions sur al Hadir au Maghreb médiéval : ses apparitions et ses reflexions, in, *Le Maghreb aux XII è et XIIIe siècles : Les siècles de la foi*, Wallada, Casablanca, 1993, pp. 41-53

بْنِ مَعْبَد، أنَّها فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ أَخَذَهَا الطَّلْقُ، وكَانَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ زَوْجُها جَالِساً مَعَ الخَضِرِ، عَلَيْهِ السَّلَام، [قالَتْ] : فَقَالَ لي الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللّهِ : ما شَأْنُكِ؟ فَأَعْلَمْتُهُ بِالَّذِي أَخَذَنِي. فَأَعْلَمَ بِذَلِكَ الخَضِر، عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَالَ لَهُ : قُلْ لَها تَنْظُرْ فِي جَمِيعِ أَسْبَابِها، ومَا يَصْلُحُ لِلنُّفَسَاءِ. قَالَتْ : فَنَظَرْتُ فِي جَمِيعِ أُمُورِي وَأَسْبَابِي، ثُمَّ كَتَبَ لي أَبُو العَبَّاس [371] بَراءَةً وَقَالَ لي : قُلْ لَها تُعَلِّقْهَا عَلَى وَرِكَيْهَا. قَالَتْ : فَلَمَّا فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَضَعْتُ الجَنِينَ فِي الحَالِ، دُونَ أَلَمٍ وجَدْتُ لِذَلِكَ. وَأَحْوالُ هَذا الشَّيْخِ عَالِيَةٌ، ومَذاهِبُهُ جَمِيلَةٌ. [372]

55= أَبُو عَبْدِ اللّهِ، مُحَمَّدٌ التَّاوِدِيّ [373]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللّهِ، مُحَمَّدٌ التَّاوِدِيُّ. كَانَ مُعلِّماً لِكِتابِ اللّهِ العَزيز. وكَانَ

371- أبو العباس هنا هي كنية الخضر. (انظر : دعامة اليقين...م.س.، ص 81)

372- بين آخر سطر في ترجمة ابن معبد وبداية ترجمة التاودي، سجل الناسخ في طرة عبارة «توفي عام ثمانين وخمسمائة». ولا ندري هل هي متعلقة بترجمة ابن معبد أم أنها إنها متعلقة بالتاودي الذي توفي بالفعل سنة 580هـ

373-أبو عبد الله محمد بن يعلى الفاسي التاودي. يدعى أيضاً بأبي عبد الله الخياط وبالمعلم الخياط وبشمس البلد. اشتهر بنسبة التاوُدي نسبة إلى تاودة من أعمال فاس «وقيل منسوب إلى قرية تاوّدة التي «ببلاد الصحراء بين بلاد السودان وبلاد المغرب ومنها قدم إلى فاس واستقر بها إلى أن توفي» حسبما يورد صاحب سلوة الأنفاس (ج3/ 115). وقيل إنه أندلسي. كان يسكن بحومة زقاق الماء من عدوة فاس القرويين، توفي بفاس سنة 580 ودفن خارج باب الجيسة.. قال الساحلي بأن «كراماته أكثر من أن تحصى وكان له في طريق القوم قدم راسخة وحال كبير ومذاق شريف، وكان الشيخ أبو يعزى يشهد له بالفضل والتقدم ويطلق لسانه ثناء عليه. أخذ عن شيخه أبي الحسن بن حرزهم». انظر ترجمته كذلك في : **الروض العاطر**، ص271؛ **جذوة الاقتباس**، 219؛ **سلوة الأنفاس**، 3/110-111؛ **الاستقصا** 2/203؛ **التشوف**، عدد 120، ص 272-275؛ **بغية السالك** ورقة 113، 130-131؛ **كتاب المعزى**، م. س. ص 179-180؛ **أنس الفقير**، ص30؛ **القرطاس**، 269؛ **الروضة المقصودة**، ج 2/ ص 603؛ محمد المهدي الفاسي، **مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات**، القاهرة، 1970، ص 194؛ **زهر الآس**، 1/239-240

رَجُلاً صَالحاً مُتَعبِّداً، /110/ ناسِكاً مُتَقلِّلاً مِنَ الدُّنْيَا، زَاهِداً فِيهَا. ظَهَرَتْ لَهُ بَراهِينُ وكَراماتٌ[374]. أَدْرَكْتُهُ وَصَحِبْتُهُ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ. رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى.

سَمِعْتُ غَيْرَ واحِدٍ مِنْ أَصْحَابِنا يَقُولُ : إِنَّهُ اجْتَمَعَ مَعَ جَماعَةٍ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ فاسَ، مِمَّنْ يُحِبُّ الفُقَراءَ، فَرآهُ الرَّجُلُ صاحِبُ المَنْزِلِ، وَثَوْبُهُ خَلَقٌ لا يَكادُ يَسْتُرُهُ، فَاشْتَرى لَهُ شُقَّةً[375]، وَقَالَ لَهُ : تَقْطَعُ مِنْهَا لِنَفْسِكَ ثَوْباً وَلأَحَدِ أَوْلادِكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللّهِ : نَعَمْ، فَأَرْسَلْ فِي الخَيَّاط[376]. فَأَخَذَ أَبُو عَبْدِ اللّهِ الشُّقَّةَ وَجَعلَها تَحْتَهُ، وَأَخْرَجَ طَرَفَها، وَقَالَ لِلخَيَّاطِ : اقْطَعْ مِنْهَا ثَوْباً لِلبَاسي، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ : اقْطَعْ مِنْهَا ثَوْباً لأَهْلي، فَفَعلَ. ثُمَّ قَالَ : اقْطَعْ مِنْهَا ثَوْباً لاِبْنَتي، ثُمَّ قَطَعَ ثَوْباً لِوَلَدِه. فَقَالَ لَهُ الخَيَّاطُ : كَمْ مِنْ ذِراعٍ كَانَ فِي هَذِهِ الشُّقَّةِ؟ فَسَكَتَ الشَّيْخُ عَنْهُ، وَتَمَّتِ الشُّقَّةُ عِنْدَ ذَلِكَ. وَهَذِهِ القِصَّةُ[377] مَشْهورَةٌ عَنْهُ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ المُؤَذِّنُ الخَرَّازُ، أَنَّهُ باتَ عِنْدَهُ أَبُو عَبْدِ اللّهِ التَّاوديّ، مَعَ بَعْضِ الفُقَهاءِ[378]، وكَانَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ لَيالي الشِّتاءِ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : وَغُطِّينا عِنْدَ

374- ذكر صاحب سلوة الأنفاس (ج3/111) أنه «كانت له -رضي الله عنه- كرامات كثيرة، وبراهين عظيمة شهيرة، ذكر بعضها التميمي في المستفاد».

375- الشُّقة (جمع شِقاق وشُقق): من الثياب السبيبة المستطيلة، وجنس من الثياب، وقيل : هي نصف ثوب (لسان العرب : مادة شقق)

376- في الروض العطر، ص 271: فأرسل للخياط

377- في الروض العطر : الشقة.

378- ذكر التادلي (التشوف، ص 274)أن منهم الفقيه أبو يحيى أبو بكر بن خلف الأنصاري المعروف بالمواق ويعرف عنه أنه حظي بخدمة السلطان بمراكش وولي قضاء مدينة فاس وتوفي بها سنة 599 هـ/1202-1203م؛ وأبو عبد الله بن البقار. راجع عنهما بالتوالي : التكملة، 221/1؛ الذيل والتكملة، سفر الغرباء، ص 143.

النَّومِ بِلِحافٍ[379] كَانَ لِخَتَنِي[380]. قَالَ : فَلَمَّا أَصْبَحْنا، وَخَرَجْنا عَنِ المَنْزِلِ، /111/ أُخِذَ اللِّحافُ، وَجُعِلَ عَلَى حَائطٍ. قَالَ : فَجاءَ بَعْضُ الأَهْلِ، وَوَضَعَ بِإِزاءِ الحَائطِ مَجْمَراً فِيهِ نارٌ، فوَقَعَ اللِّحافُ، وَجاءَ عَلَى المجْمَرِ فَاحْتَرَقَ فِيهِ مَواضِعُ كَثِيرَةٌ. فَلَمَّا أَتَيْتُ المَنْزِلَ، أَعْلِمْتُ بِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ الحَرْقَ، فَساءَنِي ذَلِكَ. قَالَ أَبُو إِسْحَاق : فَأَتَيتُ لِلشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللهِ التَّاوديِّ، فَأَعْلَمْتُهُ بِذَلِكَ، وَأَنَّ اللِّحافَ لَيْسَ لِي وَ[لا] لأَهْلِي، وَإِنَّما هُوَ لِخَتَنِي. فَقَالَ : احْمِلْهُ إِليَّ عَسى نَنْظُرُ فِي صَلاحِهِ. قَالَ : فَحَمَلْتُهُ إِلَيْهِ[381]، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ما شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَاءَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بِاللِّحافِ وَقَالَ لي : خُذْهُ، فأَخَذْتُهُ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَلَمْ نَرَ فِيهِ موْضِعَ الحَرقِ ولا إِصْلاحٍ[382]، ولا هُوَ إِلَّا مِنْ جِنْسٍ واحِدٍ لَيْس فِيهِ شَيْءٌ، قَالَ : فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ مَنْ عِنْدِي من الأَهْلِ، وَبَقِينَا مُتَعَجِّبِينَ مِنْ ذَلِكَ. ولوْ لا مَعْرِفَتُنا بِاللِّحافِ لَقُلْنَا : بُدِّلَ بِغَيْرِهِ.

وَأَوْصافُ هَذَا الشَّيْخِ كُلُّها جَميلَةٌ حَسَنَةٌ. نَفَعَنا اللهُ تَعَالَى بِصُحْبَتِهِ بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ.

379- في الأصل : لحافاً. واللحاف والملحف والملحفة : اللباس الذي فوق سائر اللباس ، وكل شيء تغطيت به فقد التحفت به (لسان العرب : لحف)

380- في الروض العطر: لختنني. ولا معنى له. و الختن هو أخ الزوجة (الصهر) واستعمل التادلي كلمة «صهري» عوض ختني. واستعمل التميمي الكلمة في موضع آخر (عند كلامه عن ختن شاكر)

381- كذا في الروض العطر. وفي الأصل : عِنْدَهُ

382- كذا في الأصل : ولعلها : لم نر فيه موضعاً لحرق ولا إصلاح

وَمَشَيْتُ إِلَيْهِ يوماً [من الأيَّام][383]، زائراً، فَوَجَدْتُهُ فِي الكُتَّابِ[384] مَعَ الصِّبْيَانِ[385]، فَقَالَ لَهُمْ : سَلِّمُوا عَلَى[386] عَمِّكُمْ الحَاجِّ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهُ : ما هَذا ؟ فَقَالَ لِي : هَذَا وَقَعَ بِسرِّي. فَقُلْتُ : لَعَلَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ذَلِكَ. فَما أَقَمْتُ إِلَّا قَليلاً وَخَطَر بِبالي /112/ المَسيرُ إلى الحَجِّ، ويَسَّرَ اللهُ ذَلِكَ بِمَنِّه.

وكَانَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، رَحِمَهُ الله تَعَالَى، مُتَقَشِّفاً، بَذَّالهَيْئَةِ، تارِكاً للتَّنَعُّمِ بلَذَّاتِ الدُّنْيَا. بَلَغَهُ قَوْلُ النَّبِيِّ، (ﷺ) : مَنْ قَضَى نَهْبَتَهُ مِنَ الدُّنْيَا[387] حِيلَ بَيْنَهُ وَبَينَ شَهْوَتِهِ فِي الآخِرةِ، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَهُ إِلى زِينَةِ المُتْرَفِهينَ، كَانَ مَهِيناً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى القُوتِ الشَّديدِ صَبْراً طَويلاً، أَسْكَنَهُ اللهُ مِنَ الفِرْدَوْسِ حَيْثُ شاءَ[388].

56= أَبُو الحَجَّاج، يوسُفُ الفَرَّار

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو الحَجَّاجِ، يوسُفُ، عُرِفَ بِالفَرَّارِ. كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، مِمَّنِ انْقَطَعَ إِلَى

383- زيادة من الروض العطر

384- في الروض العطر : المكتب

385- كان مكتبه يوجد بحومة زقاق الماء من عدوة القرويين، وبقي قائماً إلى مطلع القرن العشرين. و«كان في المتأخر من عمره يعلم الصبيان بفاس فيأخذ الأجرة من الأغنياء فيردها على الفقراء، ويغسل أثواب ضعفاء الصبيان ويخيطها لهم ويرقعها لهم ويرقعها بيده ولا يأخذ على ذلك كله أجراً» ابن عيشون، الروض العطر،، 274؛ سلوة الأنفاس، 3/ 111؛ جلوة الاقتباس، 219 ؛ التشوف، ص272

386- في الأصل : سلوا عمكم

387-في كتب الحديث : نهمته في الدنيا (الترغيب والترهيب للمنذري، ج4، ص 77؛ الدر المنثور للسيوطي، دار الفكر، بيروت، 1/ 161؛ المعجم الصغير للطبراني، 252/2؛ المعجم الأوسط، ج 8، ص 45)، مجمع الزوائد للهيثمي، 10/ 248؛ كنز العمال للمتقي الهندي، دار التراث الإسلامي، رقم 6277

388- انظر «الترغيب والترهيب»ج 77/4 (عن البراء بن عازب)؛ الدر المنثور، 1/ 161؛ المعجم الصغير، 252/2؛ المعجم الأوسط، ج 8، ص 45

اللهِ؛ لَيْسَ لَهُ هَوى، ولا يَسْتَوْطِنُ مَوْضِعاً، ولا يَمْلِكُ إلاَّ جُبَّةَ صوفٍ لا غَيْرَها. وَإذا بَاتَ بِمَسْجِدٍ انْتَقَلَ إلى غَيْرِهِ لَيْلَةً أخْرى، وَلا يَدَّخِرُ شَيْئاً. ومَا أشْبَهَهُ، رَحِمَهُ اللهُ، بِقَوْلِ القَائِلِ[389]

[الخفيف]

أنَا في حَالِيَ الذي قَدْ تَراهُ # إنْ تَأمَّلْتَ أنْعَمُ النَّاسِ بَالا

مَنْزِلي حَيْثُ شِئْتُ مِنْ مُسْتَقَرِّ الـ # أرْضِ أسْقى مِنَ الماءِ الزُّلالا[390]

لَيْسَ لي كِسْوَةٌ أخَافُ عَلَيْها # مِنْ مُغيرٍ ولا تَرى لِيَ مَالا

أجْعَلُ السَّاعِدَ اليَمِينَ وِسَادي # ثُمَّ أثْنِي إذا انْقَلَبْتُ الشِّمالا

لَيْسَ لي والِدٌ وَلا لي مَوْلُو # دٌ ولا حُزْتُ مُذْ عَقَلْتُ عِيالا

/113/ قَدْ تَلَذَّذْتُ حِقْبَةً بِأمُورٍ # لَوْ تَدَبَّرْتَها لَكانَتْ خَيَالا

أخْبَرَنِي أبُو القاسم، عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ القُضَاعِي[391]، قَالَ: أخْبَرَنِي أبو زَكَرِيَا، يَحْيَى بْنُ سَيِّدِ الدارِ الصَّيْقَل، قالَ: كُنْتُ لَيْلَةً فِي داري بَعْدَ صَلاةِ العِشاءِ الآخِرَةِ، إذْ سَمِعْتُ صَوْتاً عَالِياً مِنِ امْرَأةٍ مِنْ جيراني؛ كَانَتْ سَاكِنَةً مَعي فِي

389- تنسب هذه الأبيات لأبي وهب، عبد الرحمان الزاهد القرطبي المتوفى سنة 344 هـ/955-956 م. (ابن الأبار، التكملة، عدد 2029 ؛ القاضي عياض (أبو الفضل)، الغنية، دراسة وتحقيق د. محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا -تونس1978، ص 211-212؛ وقد وردت الأبيات كذلك في التشوف، ص 378 وكذا في نفح الطيب، (207/3) وفي ، المغرب..لابن سعيد. (م.س. ج 1، ص 58)؛ وفي : الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» للعباس بن ابراهيم، المطبعة الملكية، الرباط، 1974، ج2/113 مع بعض الاختلافات الطفيفة.

390- في الأصل : أسقى الماء من الزلالا

391- لعله : أبو محمد (وليس أبو قاسم) قاسم بن محمد بن عبد الله القضاعي، شهر بابن الطويل، خطيب جامع القرويين وكان حياً بعد السبعين وخمسمائة /1174م. ترجمته في الجذوة، ص 512

الدَّارِ. فَسَأَلْتُ زَوْجَتِي عَنْ خَبَرِها، فَقَالَتْ لِي : جَارَتُنَا فُلانَة، أَخَذَهَا الطَّلَقُ، وَلَيْسَ عِنْدَها قَابِلَة. فَقُلْتُ : زَوْجُها حاضِرٌ؟ فَقَالَتْ لِي : نَعَمْ، فَأَوْقَدْتُ شَمْعَةً وَنَادَيْتُ بِزَوجِها وَقُلْتُ لَهُ : قُمْ بِنَا حَتَّى نَرى لَهَا قَابِلَةً. وَخَرَجْتُ أَنا وَهُوَ مِنَ الدَّارِ، حَتَّى أَتَيْنا دَرْباً كَانَ قَرِيباً مِنَّا، فَإِذا بِأَبِي الحَجَّاجِ الفَرَّارِ واقِفاً خَلْفَ الدَّرْبِ، وَهُوَ يَقْرأ. فَسَلَّمتُ عَلَيْه، وَقُلْتُ لَهُ : ما أَوْقَفَكَ ها هُنا؟ فَقَالَ لِي : هُنا أَخَذَنِي اللَّيْلُ. ثُمَّ قَالَ لِي : وَأَنْتَ، مَا الَّذِي أَخْرَجكَ فِي هَذا الوَقْتِ؟ فَقُلْتُ لَهُ : هَذا الرَّجُلُ لَهُ زَوْجَةٌ أَخَذَهَا الطَّلَقُ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ لأَطْلبَ لَهَا قَابِلَةً. فَقَالَ لِي : ارْجِعْ، فَإِنَّها قَدْ وَلَدَتْ غُلاماً جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ مُبارَكاً، فَقُلْتُ لِزَوْجِها : ارْجِعْ، فَكأَنَّهُ لمْ يَحْفَلْ بِقَوْلِي وَلا بِقَوْلِ أَبِي الحَجَّاجِ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ رَجُلٌ صالِحٌ. فَرَجَعْنا. فَإِذا المَرْأَةُ قَدْ وَضَعَتْ غُلاماً /114/ ذَكَراً. قَالَ أَبُو زَكَرِيا : فَرَجَعْتُ لأَبِي الحَجَّاجِ لأُعْلِمَهُ بِصِحَّةِ ما ذَكَر، فَإِذا الدَّرْبُ مُركَّبٌ باباً عَلَى آخَرَ، وَلَمْ نجِدْ لأبِي الحَجَّاجِ أَثَراً.

أَخْبَرَنِي أَبُو القاسِمِ[392]، عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عُرِفَ بِابْنِ الطَّوِيلِ، عَنْ يَعْلَى الحَايِكِ، أَنَّ الفَرَّارَ كَانَ يَتَصَرَّفُ عِنْدَهُ فِي صِنَاعَةِ الحَاكَةِ[393] قَبْلَ أَنْ يَتَزَهَّدَ وَيَنْقَطِعَ، وَأَنَّهُ نَزَلَ يَوْماً مِنَ المَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يَخْدِمُ فِيهِ الصِّنَاعَةَ لِقَضَاءِ حاجَتِهِ فِي المِيْضَأَةِ الَّتِي بِجِنانِ الأَمِيرِ، فاحْتُبِسَ، وَأَنَّ يَعْلَى المَذْكُورَ أَتَى لِلْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يَخْدُمُ فِيه، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُ المَوْضِعِ إِنَّهُ نزَلَ لِقَضَاءِ حاجَتِهِ وَلَمْ يَرْجِعْ. قَالَ : فَأَتَيْتُ لِلْمِيْضأةِ، فَوَجَدْتُهُ عِنْدَها جَالِساً، فَقُلْتُ لَهُ : قُمْ لِشُغْلِكَ. فَقَالَ لِي : لا أَعْمَلُ الْيَوْمَ عَمَلاً. وَإِذا بِهِ قَدْ دَخَلَ المِيْضَأةَ، لِقَضاءِ حَاجَتِهِ، فَوَجَدَ فِيها مَرْبَطاً فِيهِ خَمْسُمِائَةِ دِينارٍ. فَجَلَسَ يَنْتَظِرُ رُجُوعَ صاحِبِهِ حَتَّى أَقْبَلَ اللَّيْلُ. ثُمَّ انْصَرَفَ، ثُمَّ عادَ إِلَى المَوْضِعِ بِالغَدِ، فَإِذا بِصَاحِبِهِ قَدْ أَتَى مَلْهوفاً، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ لَهُ : نَسِيتُ هُنا خَمْسَمِائَةِ دِينارٍ. فَقَالَ الفَرَّارُ : ما تُعْطِي إِذَا رَدَّها اللَّهُ

392- كذا في الأصل، ولعل الصواب هو : أبو محمد كما سيرد في ترجمة أبي عبد اللّه القَصْري، وفي ترجمة علي الكتاني، وفي جذوة الاقتباس، ص 512

393- كذا في الأصل. ولعلها : الحياكة

عَلَيْكَ؟ فَقَالَ : كَذا وكَذا / 115/ دِينَار، لِعَدَدٍ سَمَّاهُ. فَقَالَ لَهُ الفَرَّارُ : إِنَّما أُرِيدُ أنا مِنْكَ أَنْ تَمْضِي فِي طَرِيقٍ وَأَنا فِي طَرِيقٍ ثَانٍ. وَدَفَعَ إِلَيْهِ مالَهُ وَانْصَرَفَ. ثُمَّ جَاءَ صاحِبُ المَالِ، فَأَعْلَمَنا بِما جَرى لَهُ مَعَهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى.

57= اَلحاجُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ البَنَّاء

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الحاجُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ البَنَّاء. كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، مُولَعاً بِبِناءِ المَسَاجِدِ فِي البَادِيَةِ وَبِناءِ القَناطِير، كَثِيرَ السِّياحَةِ، لَهُ طَرِيقَةٌ يَخْتَصُّ بِها فِي الفُتُوَّة[394] وحُسْنِ الخُلُقِ. أَدْرَكْتُهُ وَلَمْ أَجْتَمِعْ مَعَهُ. حَضَرْتُ جَنازَتَهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى.

58= أَبُو الْعَبَّاس، أَحْمَدُ بْنُ لُبٍّ السَّلاوِيّ

وَمِنْهُمُ الشَّيْخُ الخطيبُ، أَبُو العَبَّاسِ، أَحْمَدُ بْنُ إسماعيلَ بْنِ لُبٍّ، عُرِفَ بِالسَّلاوِيِّ.

394- الفتوة في الأصل مفهوم خلقي يعني الخصال التي يطلب أن يتحلى بها فتى من الفتيان في بلاد العرب قبل الإسلام، وأبرزها الكرم والشجاعة. ومع الإسلام أصبحت الفتوة مسلكاً أخلاقياً يؤدي إلى تهذيب الأخلاق، وتؤكد المواخاة بين الناس والدعوة إلى الفضائل والشجاعة والابتعاد عن الرذائل والجبن. واتصلت الفتوة بالتصوف وأصبحت مذهباً من مذاهبه بل صارت المفهوم الأساسي الأخلاقي عند المتصوفة بما تعنيه من الايثار، وكف الأذى والعفو عن زلات الغير وغير ذلك من معاني التصوف، إلا أن الفتوة أخذت بعداً اجتماعياً وشبه عسكري ضمن التنظيمات التي عرفتها المجتمعات الإسلامية خاصة خلال القرن الهجري الثاني مع جماعة «الشطار والعيارين». انظر: عمر الدسوقي، **الفتوة عند العرب**، القاهرة، لا ت، ص 13 ؛ احمد أمين، **الصعلكة والفتوة في الإسلام**، القاهرة، 1952، ص16؛ أبو العلا عفيفي، **الملامتية والصوفية والفتوة في الإسلام**، م.س. ص 24-34؛ القشيري، **الرسالة القشيرية**، ص 226-230؛ صباح ابراهيم سعيد الشيخلي، **الأصناف في العصر العباسي**، بغداد، 1976، ص 171 -172

وَتُوُفِّيَ عامَ أَرْبَعَةٍ[395].

كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، مِنْ أَهْلِ الزُّهْدِ والتَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا. صَحِبْتُهُ مُدَّةً، وكَانَ أُسْتَاذاً فِي النَّحْوِ؛ يُقْرِئُهُ لِلنَّاسِ، ويَقْبلُ الإجَارةَ عَلَى ذَلكَ مِمَّنْ أَعْطاهُ مِنْ غَيْرِ مَسألَةٍ. فَإذا أَخَذَ ذَلكَ مِمَّنْ يَدْفَعُهُ لَهُ، أَعْطاهُ لِلفُقَراءِ مِمَّنْ يَحْضُرُ عِنْدَهُ وَغيْرِه[396]. وكَانَ يَصُومُ دائماً لا يُفْطِرُ إلَّا في الأيَّامِ المَنْهِيِّ عَنْ صِيامِهَا، ولا يُفْطِرُ إلا عَلَى الخُبْزِ والمَاءِ دُونَ إدامٍ، إلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ المُبَاحَاتِ التِّي لا تُتَمَلَّكُ بِزِراعَةٍ، مِثلَ البَقْلِ /116/ وأَشْباهِهِ. وكَانَ لا يَأْكُلُ اللَّحْمَ إلَّا مِنْ أُضْحِيَّتِهِ أَوْ مِنْ وَجْهٍ طَيِّبٍ. وكَانَتْ أُضْحِيَّتُهُ تَأْتِيهِ مِنْ مَوْضِعٍ يَعْرِفُ طِيبَهُ، ولا يُخالِطُ النَّاسَ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَأْكُلُونَ مما هُوَ شَهْوَةٌ، وَلا يَلْبِسُ إلَّا مِنْ غَزْلِ زَوْجَتِهِ مِنَ الصُّوفِ مِنْ أُضْحِيَتِهِ، ومِنَ المَوْضِعِ الَّذِي يَرْضَاهُ. فَكَانَتْ زَوْجَتُهُ تُدَبِّرُ لَهُ ذَلِكَ. وَما رَأَيْتُهُ يَلْبِسُ كَتَّاناً وَلا قُطْناً؛ إنَّما كَانَ لِباسُهُ جُبَّةَ صُوفٍ، وَإحْرامَ صُوفٍ، وَسَراوِيلَ صُوفٍ، وَغِفَارَةَ صُوفٍ. وكَانَ يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ بِجامِعِ القَرَوِيِّينَ، وَهُوَ عَلَى هَيْئَتِهِ فِي مَلْبَسِهِ فِي سَائِرِ الأيَّامِ، إلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُنَظِّفُ ذَلكَ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ. وكَانَ يغْتَسِلُ يَوْمَ الجُمُعَةِ ولا يَتْرُكُ ذَلكَ، للحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ فِي ذَلِكَ[397]. وكَانَ صَاحِبَ كَرَامَاتٍ ظَاهِرةٍ؛ عَرَفَ ذَلكَ أَهْلُ البَلَدِ وغَيْرُهُمْ.

أَخْبَرَنِي، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّهُ كَانَ بِمسْجِدِ آزَمُّور بالَّليْلِ، والمسْجِدُ خالٍ ولَيْسَ فِيهِ غَيْرُهُ. قَالَ : فَسَمِعْتُ فِي زاوِيَةِ المَسْجِدِ قِراءَةً، وَتَأَخَّرْتُ فِي صَلاتِي، وَمَشَيْتُ لِلمَوْضِعِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ الصَّوْتَ، فَإذا بِرَجُلٍ قَائِمٍ يُصَلِّي. فَصَلَّيْتُ بِالقُرْبِ مِنْهُ، فَأَوْجَزَ فِي صَلاتِهِ

395- هكذا، ولا ندري أية عشرية يقصد من القرن السادس الهجري

396- يشبه هذا الفعل ما اشتهر به كذلك الشيخ التاودي كما ورد في ترجمته السابقة الذكر.

397- من بين الأحاديث الواردة بهذا الصدد قوله (ﷺ) : «يا معشر المسلمين، إن هذا يوم جعله الله عيداً، فاغتسلوا، ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمس منه، وعليكم بالسواك»؛ أخرجه مالك في الموطأ، ج65/1؛ والشافعي في المسند، ص 63؛ وابن أبي شيبة في المصنف، ج96/2 والطبراني في المعجم الصغير، ج269/1 . وانظر أحاديث نبوية أخر كثيرة في : اللمعة في خصائص يوم الجمعة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق وتخريج وتعليق محمد شكور الميادينى، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، 1986، ص، 23، 25، 29، 44-45...

وَسَلَّمَ، فَانْصَرفَ[398]. فَمَشَيْتُ خَلْفَهُ، فَخَرجَ /117/ مِنْ باب المَسْجِدِ لِلبَحْرِ، فَسَبقَنِي لِلْبَحْرِ. فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى الماءِ، فَإذا بِهِ يَمْشِي عَلَى الماءِ حَتَّى غَابَ عَنْ عَيْنِي.

وكَانَ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى، مُشْتَغِلاً بِحَالِهِ؛ لا يَعْرِفُ شَيْئاً مِمَّا فِيهِ النَّاسُ. أَخْبَرَنِي غَيْرُ واحِدٍ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُؤَذِّنُ فِي الصَّوْمَعَةِ الَّتِي فِي المَسْجِدِ الَّذِي يَؤُمُّ فِيهِ، [وَ] أَنَّ الطَّيْرَ الَّذِي كَانَ يُفَرِّخُ فِي الصَّوْمَعَةِ لا يَفِرُّ مِنْهُ وَلا يَزُولُ مِنْ مَوْضِعِهِ. عَرَفَ ذَلِكَ أَهْلُ المَسْجِدِ بِالنَّظَرِ إِلَى ذَلِكَ، وَإذا صَعَدَ غَيْرُهُ طارَتْ مِنْ مَوْضِعِهَا.

أَخْبَرَنِي، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى، أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ المُنْقَطِعِينَ إِلَى اللّهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ مُلازِماً بِرَابِطَةِ[399] جَبَلِ المِينَة[400] الَّتِي بِسَبْتَةَ، حَرَسَهَا اللّهُ تَعَالَى، وَأَنَّهُ يَوْماً صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الرَّابِطَةِ، وَجَلَسَ عِنْدَ بَابِهَا يَذْكُرُ اللّهَ تَعَالَى، وَيَنْظُرُ إِلَى البَحْرِ. وَذَلِكَ مِمَّا يَلِي المَرْسَى المَعْرُوفَ بِالحُفْرَةِ[401]، فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ : فَلَمَّا حَاذَ رَأْسَهُ فِي الجَوِّ، قَالَ لَهُ الرَّجُلُ الَّذِي فِي الجَوِّ : يا عَبْدَ اللّهِ ! أَيْنَ أَنَا مِن بِلادِ اللّهِ؟ قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ عَلَى سَبْتَةَ. قَالَ : سُبْحانَ مَنْ يُسَيِّرُ عِبادَهُ حَيْثُ شَاءَ مِنْ بِلادِهِ، قَالَ الرَّجُلُ : فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ لَهُ : أُدْعُ اللّهَ لِي، فَتَخَطَّانِي بِسُرعَةٍ إِلَى البَحْرِ، وَغَابَ عَنِّي فِي الهَوَاءِ.

398- كذا في الأصل. ولعلها : وانصرف

399- ذكر محمد الأنصاري أن «عدد الروابط والزوايا بسبتة كان سبعاً وأربعين ما بين زاوية ورابطة محاذية للبحر من جانبي الجنوب والشمال داخل المدينة والأرباض»، انظر: محمد الأنصاري، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تحقيق عبا الوهاب بن منصور، الرباط، 1983، ص 30

400- يكتب كذلك بألف ممدودة، «الميناء» وتسميه المصادر المسيحية Al Mina، ويقع شرق المدينة يحيط به البحر من ثلاث جهات.، انظر، الإدريسي، **نزهة المشتاق**،528 كتاب **الاستبصار**،137؛ محمد الأنصاري، **اختصار الأخبار**...م.س. ص 13، 14؛ Cherif Mohamed, *Ceuta aux époques almohade et mérinide*, L'Harmattan, Paris, 1996, 86-87

401- من بين المراسي السبتية الثلاثين، ذكر محمد الأنصاري «مرسى المدينة المعروف بحفرة مختار من بحر الرملة»، أي الشمالي الغربي لشبه الجزيرة السبتية على مضيق جبل طارق. واعتبره «من المراسي الجيدة...ويخاف فيها من الريح البراني»، انظر : **اختصار الأخبار**، م. س. ص 50

59= أَبُو يَحْيى بْنُ بكّارِ بَن حَبوس اللّمائِيّ

/118/ وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو يَحْيَى بْنُ بكّارٍ[402] بْنِ حَبُوسٍ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى، اللّمائِيُّ. كَانَ فاضِلاً عَابِداً مُجْتَهِداً خَاشِعاً مُتَواضِعاً يُحْسِنُ الفِقْهَ. أَقَامَ يَؤُمُّ فِي مَسْجِدِ إفْرِيقِيَةَ نَحْواً مِنْ خَمْسِين سَنَةً. كَانَ إذَا صَلّى الفَرْضَ، انْصَرَفَ إلى بَيْتِهِ، فَيَتَنَفَّلَ فِيهِ، لِقَوْلِهِ، (ﷺ): (اجْعَلُوا صَلاَتَكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ)[403]. وَيَسْتُرُ أَيْضاً لحَالِه. وَيُقَالُ أَيْضاً إِنَّهُ أَدْرَكَ الصَّنَاعَةَ الكَبِيرةَ، وإِنَّهُ وَاصَلَ[404]. شَاعَ عَنْهُ ذَلِكَ وَذُكِرَ بِهِ، رَحِمَهُ اللّهُ.

60= أَبُو عامِرٍ النّاسِخُ

وَمِنْهُمْ أَبُو عَامِرٍ النَّاسِخُ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى. كَانَ مِنْ أَهْلِ الأنْدَلُسِ، وَاسْتَوْطَنَ مَدِينَةَ فاس، وَتُوُفِّيَ بها، رَحِمَهُ اللّهُ. وكَانَ عَابِداً فَاضِلاً حَسَنَ الخُلُقِ، مُتَقَشِّفاً مُتَقَلِّلاً مِنَ الدُّنْيَا.

402- ذكر أبو القاسم بن محمد الغساني (ت.1019 هـ/ 161م) ضريح «الولي الصالح سيدي يحيى بن بكّار» وكان يوجد بموضع يقال له سُليلجر من عمل فاس. انظر : **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 8

403- ورد الحديث بصيغة «صلوا أيها ا لناس في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة». انظر : **صحيح البخاري**، ط. دار الفكر، ج 1، ص 186؛ ج9، ص 117؛ **مسند ابن حنبل**، ج5، ص 182؛ **السنن الكبرى للبيهقي**، ط. بيروت، ج 2، ص 494؛ ج 3، ص 109؛ **اتحاف السادة المتقين للزبيدي**، ط. بيروت، ج 3/ ص 419؛ ، **الترغيب و الترهيب**، ج1، ص 280

404- الوصال : «هو الانقطاع عما سوى الخالق... وأدنى الوصال مشاهدة العبد ربه تعالى بعين القلب، فإذا رفع الحجاب عن قلب السالك وتجلى له يقال إن السالك الآن واصل». د. عبد المنعم الحنفي، **معجم مصطلحات الصوفية**، ..م.س.، ص 267

كَانَ يَتَقَوَّتُ مِنْ نَسْخِهِ، نَهَكَتْهُ العِبَادَةُ حَتَّى صَار كالشَّنِّ البَالي. وكَانَ يُشِيرُ إِلَى المحَبَّةِ والشَّوْقِ. صَحِبْتُهُ مَرَّةً وانْتَفَعْتُ بِهِ، وكَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ الزُّهْدِ وَالانْقِطَاعِ. أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

[البسيط]

زُهَّادَ لُبْنَانَ شَوْقِي طَالَ نَحْوكُمُ # طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَزُوركُمُ
اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مُغْرَمٌ بِكُمُ # نَفْسِي ومَالِي وَمَنْ أُلْفِي سَافِراً لكُمُ
/119/عَجِبْتُ مِمَنْ بِأَرْضِ الغَرْبِ مَسْكَنُهُ # وَجِسْمُه مَعَهُ، وَالقَلْبُ عِنْدَكُمُ

61= أَبُو عَبْدِ اللَّهِ القاصيرِيّ

وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ القَاصِيرِيّ، السَّاكِنُ بِقَرْيَةِ خَوْلانَ [405]، بِمَقْرُبَةٍ مِنْ فاس. ظَهَرتْ لَهُ كَرَامَاتٌ.

أَخْبَرَنِي الفَقِيهُ أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَبِي شِتَاءٍ. قَالَ : كُنْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللهِ القَاصِيرِيِّ جَالِساً بِمُصَلَّى عُدْوَةِ الأَنْدَلُسِ فِي يَوْمٍ صَاحٍ، والشَّمْسُ حارَّةٌ، وَأَنَا أَتَحَدَّثُ مَعَهُ، حَتَّى قَالَ لِي : قُمْ بِنا نَدْخلِ الدَّارَ، لأَنَّ المَاءَ قَدْ أَقْبَلَ. فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ فِي السَّمَاءِ سَحَابَةً، إِلَّا قِطعَةَ سَحَابٍ فِي الغَرْبِ، بَعِيدَةً عَنِ البَلَدِ. فَقُلْتُ لَهُ : ما نَرى أَمارَةَ المَطرِ ! فَقَالَ لِي : قُمْ، فإِنَّهُ أَصَابَتْنِي سِنَةٌ، فَقِيلَ لِي : قُمْ ! أَدْخُلِ البَلَدَ لِئَلَّا يَأْخُذَكَ المَاءُ. فَمَشَيْنا، فَلَمْ نَصِلْ إِلَى البَلَدِ حَتَّى جاءَتِ السَّمَاءُ بِماءٍ كَثِيرٍ.

405- تشير إليها المصادر وتنعتها بحمة خولان، وهي الحمة التي تعرف الآن بسيدي حرازم، الواقعة على بعد 15 كلم جنوب شرق فاس. وقد اعتنى السلطان أبو الحسن المريني بحمة خولان وجهزها «على وجه محكم لتتم مصالح الناس فيها ومنافعهم». انظر : الجزنائي،...م.س. ص 36؛ القرطاس، ص 36؛ الوزان، وصف افريقيا...م.س.، 293/1

62= أَبُو عِمْران، مُوسَى ابنُ تانْدَلُست

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عِمْرانَ مُوسَى، عُرِفَ بابْنِ تانْدَلُستْ. رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى. كَانَ رَجُلاً صَالحاً مُتَعَبِّداً نَاسِكاً، مُجْتَهِداً تلّاءً للقُرْآنِ، لا تَراهُ فِي جَمِيعِ نَهارِهِ إِلّا قَارِئاً لِكِتابِ اللّهِ أَوْ مُصَلِّياً. خَرَجَ إِلى الحَجِّ.

أَخْبَرَني، رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى، أَنَّ بَعْضَ الصَّالحِينَ المُجاورينَ[406] بِمَكَّةَ -زادَها اللّهُ تَعَالَى شَرَفاً- أَخْبَرَهُ أَنَّ مَنْ صَامَ بِمَكَّةَ أَرْبَعَةَ أَسَابِيعَ؛ يُفْطِرُ /120/ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عَلَى ماءِ زَمْزَمَ، لا بُدَّ أَنْ تَظْهَرَ لَهُ كَرامَةٌ. قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ آخِرَ لَيْلَةٍ، دَخَلْتُ إِلَى زَمْزَمَ لأُفْطِرَ عَلَى الماءِ، فإِذا بِرَجُلٍ يَسْتَقِي بِرَكْوَةٍ مِنَ البِئْرِ. فَلَمَّا طَلَعَتِ الرَّكْوةُ، أَخَذَهَا وَشَرِبَ، ثُمَّ ناوَلَنِي فَضْلَةً، فَشَرِبْتُ لَبَناً سُكَّراً. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، دَعَوْتُ اللّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنِي وَلَداً ذَكَراً. فَرَزَقَهُ اللّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَى كِبَرِ سِنِّه، وإِياسِهِ مِنَ الوَلَدِ.

قَالَ مُحَمَّدُ المؤلِّفُ[407] : وتُشْبِهُ هَذه الحِكايَةُ التِّي حَكى الشَّيْخُ، رَحِمَهُ اللّه، ما حَدَّثَنِي بِهِ الشَّيْخُ الفاضِلُ، الفَقِيهُ المحدِّثُ، أَبُو حَفْصٍ، عُمَرُ بْنُ عَبْدِ المجِيدِ البيّاسيّ[408] بِالمَسْجِدِ الحَرامِ، عَنْ شَيْخِهِ عَبْدِ اللّهِ، أَنَّ بَعْضَ أَشْياخِهِ مِمَّنْ كَانَ مُجاوِراً بِمَكَّةَ، أَخْبَرَهُمْ أَنَّ مَنْ صَامَ بِمَكَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ويُفْطِرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عَلَى مَاءِ زَمْزَمَ، يُخْلِصُ فِي صَوْمِهِ وَيَحْفَظُهُ، وَيَكُونُ صَوْمُهُ بِالنَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالعَقْلِ ؛ فَصَوْمُ النَّفْسِ بِالإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرابِ، وَصَوْمُ الرُّوحِ بِفِطْرِ الأَصْلِ، وَصَوْمُ العَقْلِ بِخِلافِ الهَوى، فَإِنَّهُ إِذا فَعَلَ ذَلِكَ تَظْهَرُ لَهُ

406- المجاورة : الاعتكاف في المسجد. أما المجاورة بمكة والمدينة فيراد بها المقامُ مطلقاً غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي (لسان العرب : مادة جور)

407- هذه هي المرة الوحيدة الذي نقرأ فيها صراحة أن محمداً هو مؤلف الكتاب

408- كذا في الأصل . ولعله الميانجيّ الذي يذكره ابن عبد الملك المراكشي (الذيل والتكملة 8/353)

الكَرامات، أوْ يَرى الخَضِر، عَلَيْهِ السَّلام. قَالَ شَمَيْلَة [409] : فَفَعَلَ ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ أَصْحَابِنا. فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ الأيَّامُ، قَالَ فِي نَفْسِهِ : أعْتَمِرُ عِنْدَ تَمامِ الأرْبَعِينَ /121/ شُكْراً للهِ تَعَالَى الَّذي قَوَّاني عَلَى صِيَامِها، عَلَى الشَّرْطِ الَّذي سَمِعَهُ مِنَ الشَّيْخِ. وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الكَرامات فِي خِلالِ الأرْبَعينَ يَوْماً. فَخَرَجَ للتَّنْعيم، وَأَحْرَمَ بعُمْرَة، وَأَتى إلى مَكَّةَ وَطَاف. ثُمَّ خَرَجَ لِلسَّعْي. فَبَيْنَمَا هُوَ فِي السَّعْي يَمْشِي، إِذْ وَطِئَ رِجْلَهُ شَيْخٌ، فدَفَعَهُ عَنْ نَفْسِهِ حَتَّى سَقَطَ. فَلَمَّا أكْمَلَ السَّعْيَ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ، دَخَلَ الحَرَمَ، وَجَاءَ الشَّيْخُ الَّذي سَمِعَ مِنْهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ : يا سَيِّدي ! سَمِعْتُكَ تَقولُ : مَنْ صَامَ أرْبَعينَ يَوْماً عَلَى الشَّرْطِ الَّذي ذَكَرتَ، لا بُدَّ أنْ تَظْهَرَ لَهُ كَرامَةٌ، أوْ يَرى الخَضِرَ، عَلَيْهِ السَّلام؛ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، وَلَمْ تظْهَرْ لِي كَرامَةٌ ولا رَأَيْتُ الخَضِر!. فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : لَوْ صَبَرْتَ عَلَى وَطْءِ رِجْلِكَ لَكَلَّمَكَ. فَكَانَ الَّذي وَطِئَ رِجْلَهُ الخَضِرُ، عَلَيْهِ السَّلام، لِيُعْلِمَهُ أنَّهُ بقِيَتْ فيه بَقِيَّةٌ مِنَ النَّفْس.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَأَظُنُّ أنَّ هَذا الَّذي صَامَ هذِهِ الأيَّامَ مَغْرِبِيٌّ، لأنَّ هَذِهِ الأخْلاقَ بالمَغارِبَةِ أَلْصَقُ [410]. وَذَلِكَ أنِّي لَمَّا مَشَيْتُ لِلْمَشْرِق، وكُنْتُ قَدْ رَيَّضْتُ نَفْسِي عَلَى الصَّبْرِ وَالاحْتِمَالِ، لأنِّي قُلْتُ : إنِّي أتَغَرَّبُ وَأَدْخُلُ بِلاداً لا أعْرِفُ فِيهَا. فَلَمَّا وَصَلْتُ الإسْكَنْدَرِيَّةَ، أقَمْتُ بِها أشْهُراً فِي المَدْرَسَةِ عِنْدَ الإمامِ الحافظِ السِّلَفِي [411]، وَتَأدَّبْتُ بِأدَب

409- هو عبد الرحمان بن أبي شميلة الأنصاري الهناني، قال النسائي : هو غير ثقة ولا مأمون، وقال مرة كذاب... وكان يضع الحديث. (الذهبي، تاريخ الإسلام، ص 2241 (موقع الوراق على شبكة الأنترنيت www.alwaraq.com)

410- ورد حكم قيمة آخر بخصوص طباع المغاربة «الميالين إلى العنف» في كرامة للشيخ أبي مروان اليحانسي، (تحفة المغترب، م. س. ، ص 41)

411- في الأصل : السابقي. وهو تصحيف. والسِّلَفي (أبو الطاهر أحمد بن محمد) (485 هـ- 576 هـ) أصله من أصبهان واستقر بالإسكندرية وأقام بها خمساً وستين سنة. وبها نال مكانة عالية وقصده الناس من كل صوب وتتلمذ عليه عدد كبير من أعلام الغرب الإسلامي، خصوصاً وأن الإسكندرية كانت محطة أساسية للمغاربة والأندلسيين المتجهين للمشرق.(انظر مقدمة كتاب : أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ط 2، 1979،

/122/ الَّذينَ رَأَيْتُ هُنَاكَ مِنَ المِصْرِيِّينَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَالعِراقِ وَالعَجَمِ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ الحافظُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، خَرَجْتُ إِلى مَكَّةَ، وكُنْتُ أَلْقى طَلَبَةَ العِلْمِ وَالعُلَماءَ وَالصُّوفِيَّةَ فِي كُلِّ بَلَدٍ أَدْخُلُهُ، حَتَّى وَصَلْتُ إِلى مَكَّةَ، وَدَخَلْتُها وَفِي رَأْسِي نَخْوَةُ الصُّوفِيَّةِ، وَقُلْتُ : مَاتَتْ نَفْسِي. فَدَخَلْتُ يَوْماً إِلَى زَمْزَمَ، وَبِيَدِي رَكْوَةٌ فِيهَا شَرِيطٌ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ المَوْسِمِ. فَوَجَدْتُ عَلَى البِئْرِ جَمَاعَةً مِنَ المَشْرِقِ؛ هُمْ مِنَ اليَمَنِ، ولَيْسَ عِنْدَهُمْ بِما يَسْقُونَ مِنَ المَاءِ، فَأَلْقَيْتُ الرَّكْوَةَ فِي البِئْرِ [وَرَفَعْتُها، فَلَمَّا وَصَلَتْ] أَخَذَها أَحَدُهُمْ فَشَرِبَ، ثُمَّ ناوَلَها آخَرَ فَشَرِبَ، ثُمَّ آخَرَ حَتَّى فَرَغَتْ. فأَلْقَيتُها فِي البِئْرِ ثَانِيةً، وَرَفَعْتُها، فَلَمَّا وَصَلَتْ فَمَ البِئْرِ، أَخَذَها أَيْضاً أَحَدُهُم فَشَرِبَ، ثُمَّ أَعْطاها لِصَاحِبِهِ، ثُمَّ دارَتْ بَيْنَهُمْ، حَتَّى فَرِغَ المَاءُ. فَأَلْقَيْتُ بِها مَرَّةً ثالِثَةً، وَقَدْ خَالَطَنِي الغَضَبُ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَيْنَ أَنا مِمَّا غَلَبَ عَلَيَّ مِنَ الغَضَبِ، فَلَمَّا طَلَعَتِ الرَّكْوَةُ، وَحَصَلَتْ عَلَى فَمِ البِئْرِ، أَخَذَها أَحَدُهُمْ فَشَرِبَ. فَلَمَّا أَزَالَها عَنْ فِيهِ، خَطَفْتُها مِنْ يَدِهِ، وَضَرَبْتُهُ بِها عَلَى وَجْهِهِ. وَبِاللَّهِ ما عَرَفْتُ ما صَنَعْتُ ولا أَيْنَ كُنْتُ. فَما انْتَهَرَنِي وَلا سَبَّنِي، وَمَا زادَ عَلَى أَنْ قَالَ لِي : يا حَاجُّ ! وَفِي مِثْلِ هَذَا المَوْضِعِ تَصْنَعُ هَذَا وَأَنا وَأَنْتَ وَمَنْ حَضَرَ هُنا ضِيافُ اللَّهِ؟! /123/ فَتَصْنَعُ هَذَا بِضَيْفِهِ فِي بَيْتِهِ؟ فَرَجَعَ إِلَيَّ عَقْلِي، وَأَلْقَيْتُ بِنَفْسِي عَلَى رِجْلِهِ أُقَبِّلُها، وقُلْتُ لَهُ : اجْعَلْنِي فِي حِلٍّ، فَقَالَ لِي : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَجَعَلَكَ فِي حِلٍّ مِمَّا صَنَعْتَ.

أَخْبَرَنِي رفِيقِي فِي الغُرْبَةِ، الشَّيْخُ أَبُو القاسِمِ المَكِّيِّ، عَنِ الشَّيْخِ أَبِي العَبَّاسِ المُرِّي، أَخْبَرَ أَنَّهُ وَقْتَ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ، دَخَلَ لَيْلَةً إِلَى زَمْزَمَ، فَاسْتَقَى مِنْهَا بِرَكْوَةٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ. فَلَمَّا وَصَلَتْ فَمَ البِئْرِ، أَخَذَها رَجُلٌ كَانَ واقِفاً فَشَرِبَ. قَالَ أَبُو العَبَّاسِ : فَلَمَّا أَبانَها عَنْ فِيهِ، قُلْتُ لَهُ : لا سَقَاكَ اللَّهُ! فَقَالَ لِي : ولا أَنْتَ، لا سَقَاكَ اللَّهُ! ثُمَّ خَرَجْتُ، ثُمَّ نَدِمْتُ عَلَى قَوْلِي، فَرَجَعْتُ أَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِي : نَحْنُ مِمَّنْ لا نَدْعو عَلَى أَحَدٍ. لَمَّا قُلْتَ لِي :

لا سَقاكَ اللّهُ، فَقُلْتُ لكَ : ولا أنتَ، فَلا سَقاكَ اللّهُ ثمّ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ[412].

قَالَ مُحَمَّدٌ : أيْنَ هَذَا مِمّا حَدَّثَنِي بهِ الشَّيْخُ الصُّوفيُّ، زكَرِيَاءُ بْنُ صَالِحِ المُوفَاتِيّ [مِنْ أنّ] شيْخاً مِنَ الصُّوفيَّةِ؛ كَانَ فِي خَانَقَةٍ[413] فِي بَعْض بلاد خُراسانَ، ولَهُ أصْحَابٌ يَسْكُنُونَ مَعَهُ فِي الخانَقَةِ، وكَانَ أحَدُهُمْ لَهُ لِحْيَةٌ عَظِيمَةٌ جِداً خارِجَةٌ عَنِ الحَدِّ، وكَانَ لا يَزالُ يمْشُطُها. ومِنْ أخْلاقِ الصُّوفِيَّةِ أنَّهُ كُلَّما أحْدَثَ تَوضَّأ وَصَلّى رَكْعَتَيْن. فَكَانَ هَذَا /124/ الصُّوفِيُّ صاحِبُ اللِّحْيَةِ كُلَّما تَوضَّأ مَشَطَها، وكَانَتْ مُسْبَلَةً كَثيراً. فَقَالَ بَعْضُ أصْحَابِهِ لِشَيْخِهِمْ : يا سَيِّدَنا ! أمَا تَرى فُلاناً جَعَلَ لِحْيَتَهُ مَعْبَدَةً لا يَزالُ يَشْتَغِلُ بِها ؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : لَقَدْ رَأيْتُ ذَلِكَ وَانْتَقَدْتُه مِنْهُ. فَنامَ الرَّجُلُ صاحِبُ اللِّحيَةِ، فَأمَرَ الشَّيْخُ الخَادِمَ أنْ يَقُصَّ لِحْيَتَهُ، ولا يُبْقِيَ مِنْهَا إلّا مَا أبْقى المِقْراضُ. ففَعلَ ذَلِكَ. ثُمَّ قامَ الرَّجُلُ مِنْ نَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ : لا يُكلِّمُهُ أحَدٌ مِنكُمْ إذا تَكلّمَ. فَلَمَّا تَوضَّأ الرَّجُلُ ورَكَعَ، قَالَ لَهُمْ : يا أصْحابَنا ! نِمْتُ وَأنَا بِلِحْيَتِي. ثُمَّ قُمْتُ ولَيْسَ لِي لِحْيَةٌ، ما هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : إنَّ بَعْضَ الفُقَراءِ مِنْ أصْحابِنَا زارَنَا، وَاشْتَهى حَلْوى. ولَمْ يَكُنْ عِنْدَنا فِي الوَقْتِ بِما نَشْتَري لَهُ ذَلِكَ، وَدَفَعْناها لِصَاحِبِ الحَلْوى، فَأعْطانا مَا أكَلَ الفَقيرُ وَأكَلَ الأصْحابُ، فَقَالَ الرَّجُلُ : وَأيْنَ نَصِيبِي ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ لِلْخَادِمِ : ادْفَعْ لَهُ نَصِيبَهُ. قَالَ : فجاءَهُ الخادِمُ بِقَلِيلِ حَلْوى،

412- الخبال : عُصارة أهل النار. وفي الحديث : «من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة»؛ وطينة الخبال : ما سال من جلود أهل النار. وفي الحديث أيضاً : «من أكل الربا أطعمه الله من طينة الخبال يوم القيامة». انظر : **لسان العرب**، مادة خبل

413- الخانقة لفظ أعجمي يطلق في المشرق على ما يسمى في الغرب الإسلامي بالرابطة. والخانقات ترادف في وظيفتها - المتمثلة في ممارسة العبادة والإيواء والإطعام- الزوايا في التاريخ الديني للغرب الإسلامي. انظر : ابن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق دة. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص411، 413 وهو يصرح قائلاً : «والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لارفاق الواردين واطعام المحتاجين من القاصدين. وأما الربط على ما هو المصطلح عليه في المشرق فلم أر في المغرب على سبيلها ونمطها إلا رباط سيدي أبي محمد صالح والزاوية المنسوبة لسيدنا أبي زكريا يحيى بن عمر -نفع الله بهم- بسلا غربي الجامع الأعظم منها، ولم أر لهما ثالثاً على نحوهما في ملازمة السكن وصفاتهم وشبههم بما ذكر»

فَأَخَذَهَا الرَّجُلُ وَأَكَلَهَا. فَلَمَّا فَرَغَ، رَفَعَ سَجَّادَتَهُ، وَأَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا دَنَانِير، ذكر لِي أَبُو يَحْيى زكَرِيًا عِدتَها، وَأُنْسِيتُ أنا ذَلِكَ، فَرَمَى بِهَا لِلشَّيْخِ، وَقَالَ لَهُ : يا سَيِّدِي ! عَسَى تَعْمَلُ هَذِهِ دَعْوَةً لِلأَصْحابِ، شُكراً لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ فِيَّ مَا قَضَى بِهِ شَهْوَةَ فَقِيرٍ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : إنَّ هَذَا لَعَجَبٌ لَمْ أَسْمعْ مِثْلَ /123/ هَذَا.

63= أَبُو مَروان، عَبْدُ الْمَلك

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو مَروانَ، عَبْدُ الْمَلِكِ[414] الْمُنْقَطِع، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، بِالرَّابِطَةِ الَّتِي عَلَى أُسِّ الجَبَلِ بخَارِجِ بَابِ ايصْليتن[415]. كَانَتْ لَهُ أَوْصافٌ جَميلَةٌ حَسَنَةٌ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ ابْنُ الْفَقِيهِ أَبِي مَرْوانَ، عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مُحَمَّدٍ القَيْسِيِّ[416]، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو مَرْوانَ العَابِدِ، قَالَ : كُنْتُ يَوْماً جَالِساً فِي الرَّابِطَة، إِذْ أَخَذَتْنِي سِنَةٌ، فَرَأَيْتُ امْرأَةً، فَقَالَتْ : لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ. فَقُلْتُ لَها : ومَا هِيَ؟ فَقَالَتْ لِي : عَسى تَتَفَضَّلُ وتَصِلُ إِلَى فُلانٍ البَقَّالِ بِحارَةِ القَلْعَةِ، فَإِنَّهُ زَوْجِي، وتَسأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي

414- يضيف د. بنشريفة نعت «العابد» إليه ويحيل على ترجمة أبي عبد الملك مروان ابن عبد الملك اللمتوني العابد في التشوف (بنشريفة : حول كتاب المستفاد.. م. س. ، ص 29) .ويقول ابن الزيات إنه «أشخص من مدينة فاس وقدم إلى مراكش فتاب إلى الله تعالى وأقام بمراكش إلى أن توفي بها عام أحد وسبعين وخمسمائة وقيل عام إثنين وسبعين» (التشوف، رقم 93، ص 238) وقد نقل عنه صاحب جلوة الاقتباس المعطيات ذاتها (ص 334). ولا يبدو لي أنه نفس الشخص الذي يُترجم له التميمي (أبو مروان عبد الملك) ويمكن أن يكون والد المذكور في التشوف (أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك).

415- ورد ذكر هذه الرابطة كذلك في روض القرطاس، 170

416- لم نقف على ترجمته. أما أبوه أبو مروان عبد الملك بن محمد القيسي الفاسي المعروف بابن بيضاء فقد ولي قضاء فاس سنة 539 هـ/1144م، وعليه دخلها الموحدون سنة أربعين» وكان «فقيهاً عفيفاً ديناً». انظر ترجمته في : صلة الصلة، ق3/ص 246، وورد ذكره في جلوة الاقتباس، ص 56-69

حلٌّ. فَقُلْتُ لَها : إنَّما أنَا أنْزِلُ مِنْ هَذَا المَوْضِعِ إلى المَدينَةِ يَوْمَ الجُمُعَةِ. فَقَالَتْ لِي : عَسى تَتَفَضَّلُ بِذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ، نَزَلْتُ إلى المَدينَةِ، وَصَلَّيْتُ الجُمُعَةَ، ومَشَيْتُ إلى حَانوتِ الرَّجُلِ. فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنَ الحَانوتِ، نَزَلَ الرَّجُلُ مِنَ الحَانوتِ وقَبَّلَ يَدي، وَقَالَ لِي : مَا حَاجَتُكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ : أنْ تَغْفِرَ لِزَوْجَتِكَ فُلانَةٍ، فَامْتَنَعَ وَحَلَفَ ألاَّ يَفْعلَ ذَلِكَ. فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ، جَاءَتْني المَرْأَةُ في حالِ النَّوْمِ، فَقُلْتُ لَهَا : إنِّي مَشَيْتُ إلى زَوْجِكِ وسَأَلْتُهُ فيمَا ذَكَرْتِ لِي فَامْتَنَعَ. فَقَالَتْ لِي : لَعَلَّكَ تُكَلِّمُ أَوْلادَ ابْنِ أحْمَدَ وَأَوْلادَ ابْنِ بَيْضاء [417]، فَإنَّهُمْ أَضْيَافُهُ، /126/ وتَسْأَلهُمْ أنْ يَصِلُوا مَعَكَ إلَيْهِ، فإنَّهُ سَيَفْعلُ ذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ، ونَزَلْتُ إلى الصَّلاةِ، فَلَمَّا انقَضَتِ الصَّلاةُ، مَشَيْتُ لِدارِ الفَقِيهِ أبي عَلِيٍّ، مَنْصورِ بْنِ أحْمَدَ، وَأَعْلَمْتُهُ بِالمَسْأَلَةِ. وَاجْتَمَعَ مَنْ بِالمَوْضِعِ مِنْ بَني بَيْضاءَ وَبَعَثُوا لِلرَّجُلِ. فَلَمَّا حَضَرَ، سَأَلُوهُ فِي ذَلِكَ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ. فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ، وَأَقَمْتُ نَحْواً مِنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ لَمْ أَرَ المَرْأَةَ. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، رَأَيْتُها وَقَدْ أَضَاءَتْ الرَّابِطَةُ مِنْ نُورِها، فَقُلْتُ لَهَا : مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ : غَفَرَ اللَّهُ لِي.فَقُلْتُ لَهَا : بِمَاذا؟ فَقَالَتْ : مَاتَ رَجُلٌ مِنَ الصَّالِحينَ بِمِكْنَاسَةَ، ودُفِنَ بِها، فَغَفَرَ اللَّهُ لِجيرانِهِ وَمَنْ يَقْرُبُ مِنْهُمْ كَذا وكذا ميلاً [418]. فَكُنْتُ فِيمَنْ دَخَلَ فِي الحَدِّ، فَغَفَرَ لِي. قَالَ : فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ، وَنَزَلْتُ إلى الصَّلاةِ، صَلاةِ الجُمُعَةِ، أَتَيْتُ إلى الرَّجُلِ زَوْجِ المَرْأَةِ فَأَعْلَمْتُهُ بِحَالِ امْرَأَتِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ غَفَرَ لَها. فَقَامَ [419] أَيَّاماً ثُمَّ تُوُفِّيَ. رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَطَفَ بِهِ.

417- لعل الفقيه القاضي عبد الملك بن بيضاء القيسي ينتمي إلى هذه العائلة ؛ وهو الذي ينسب إليه الإشراف على تتميم صناعة منبر جامع القرويين بفاس سنة 538 هـ/1143-1144م.

418- وردت حكاية مشابهة في معناها عند ابن الزيات (**التشوف**، ص 443) «ودفن بجوارنا رجل صالح من أهل مراكش، فشفع الله في كل من يجاوره من أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله بأربعين ذراعاً»

419- كذا في الأصل. ولعلها : أقام

64= أَبُو الحَسَن، عَلِيٌّ ابْنُ السَّكاكِ

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو الحَسنِ، عَلِيٌّ ابْنُ السَّكَاكِ[420]. كَانَ رَجُلاً صَالحاً مُتَعَبِّداً نَاسِكاً مُجْتَهِداً. خَرجَ إِلَى الحَجِّ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ مُجاوِراً. ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى دِمَشْقَ، وَأَقَامَ بِها أعْواماً. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ، وَأَقَامَ بِها أَعْواماً. رَأَيْتُهُ بِها. وكَانَ، رَحِمَهُ الّلهُ تَعَالَى، صَمُوتاً قَلِيلَ الكَلَامِ، مُشْتَغِلاً بِحالِهِ، مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ، دَائِمَ الفِكْرَةِ.

أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْر، طَلْحَةُ -صَدِيقُنَا /127/ أَنَّهُ رأَى الحقَّ، سُبْحانَهُ، فِي النَّومِ وَالخَلْقُ قَدْ حُشِروا، فَنَاداهُم الحَقُّ سُبْحانَهُ : اشْهَدوا يا عِبادِي أنِّي غَفَرْتُ لمحَمَّدٍ المُؤَدِّبِ. اشْهَدوا يَا عِبادِي أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَلِيٍّ ابْنِ السَّكَّاكِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : ولَمَّا اجْتَمَعْتُ بِالحَرَمِ الشَّرِيفِ بِالشَّيخِ أَبِي الحَسَنِ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ لِي : هَذَا بِساطُ الخِدْمَةِ، وَمَوْضِعُ النَّجاةِ، إِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغِلَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ، فَيَطْرُدَكَ مِنْ بابِهِ. فَقُمْتُ عَنْهُ، وَما كنْتُ أزيدُهُ عَلَى السَّلَامِ طُولَ مُقَامِي بِمَكَّةَ. وَتَركتُهُ بِها مُجَاوِراً. ثُمَّ بَلَغَنِي أَنَّهُ انْتَقَلَ إلى مَدِينَةِ حَلَب، وَهُوَ مُقِيمٌ بِها، وَجَعلَ يَنْشَجي[421] فِي خَانَقَةٍ بها. نَفَعَهُ الّلهُ بِذَلِكَ.

420- لم نقف على ترجمة أخرى له. إلا أن صاحب **بيوتات فاس الكبرى** يقول أن بيت بني السكاك «بيت فقه وعلم وحسب» ويورد من أعضائه قاضي الجماعة بفاس ومفتيها محمد بن أبي غالب المتوفى سنة 818 هـ. ويبدو أنه من حفدة الذي يترجم له التميمي. فهو يورد نسبه كالتالي : «محمد بن الفقيه أبي غالب ابن الخير الناسك احمد ابن الفقيه محمد ابن الفقيه العلامة الولي الصالح المتبرك به علي ابن الفقيه العدل محمد السكاك»

421- النشيج : أشد البكاء، وصوت معه توجّع وبكاء كما يردد الصبي بكاءه ونحيبه في صدره (**لسان العرب**، مادة نشج)

65= أَبُو جَعْفَر، أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الفَنَكِيّ [422]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو جَعفَر، أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بكرِ بْنِ إِسْماعيل، عُرِفَ بِالفَنَكِيِّ. أَصْلُهُ مِنْ قُرطُبةَ، واسْتَوْطَنَ بِمَدينَةِ فاس مَعَ أَبيهِ، وَهُو إِذْ ذاكَ صَغيرٌ، وَبِها قَرَأَ القُرْآنَ العَظِيمَ. كَانَ وَسِيماً حَليماً وَقُوراً مُجْتَهِداً فِي العِبادَةِ مِنْ صِغَرِه، تَلَّاءً لِلقُرآنِ، حَسَنَ الصَّوْتِ به [423]. خَرَجَ إِلى الحَجِّ وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ أَعْواماً [424]، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلى مَدِينَةِ دِمَشقَ وَاسْتَوْطَنَها [425] حَتَّى تُوُفِّيَ بها [426]. وكَانَ يَخْتَلِفُ مِنْ دِمَشقَ إِلى مَكَّةَ، وَيُجَاوِرُ بِها مَعَ صَاحِبِهِ أَبِي الحَسَنِ ابْنِ السَّكّاكِ المُقَدَّمِ ذِكْرُهُ. وَفِي عَامِ دُخُولِي مَكَّةَ، وَجَدتُهُ بِها وَأَخَذَنِي/128/ بِهَا شَهْرُ رَمَضَانَ. فَقَدَّمَ مَشْيَخَةُ الصُّوفِيَّةِ لأَبِي العَبَّاسِ يُصَلِّي بِهِمُ القِيامَ

422- أحمد بن علي بن أبي بكر عتيق بن أبي محمد اسماعيل (أبو جعفر بن الفنكي)، المقرىء ولد بقرطبة سنة 528. وتوفي بدمشق سنة 596 هـ شافعي المذهب. انظر ترجمته في : التكملة، (ط. القاهرة) ج1، ص 90 ترجمة 236؛ الذيل والتكملة، 1/311-313؛ (رحل إلى المشرق سنة 546 هـ) السر المصون، 114-115 (يسميه أبو العباس أحمد بن اسماعيل.)؛ الوافي بالوفيات، 7/205؛ شذرات الذهب، 4/343؛ سير أعلام النبلاء، 21/ 303 ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر، 1980، 68-81-123-240 (وابن جبير يصفه بـ«الصديق» وينقل عنه بعض معطيات رحلته. وانظر كذلك؛ الذيل والتكملة، س5/ 596). وانظر ترجمة أبيه في الذيل والتكملة ج 5/ ص 268-269. وفي ابن الزبير، صلة الصلة القسم الرابع، تحقيق د. عبد السلام الهراس و سعيد أعراب، 1994، ص 206

ولأبيه علي بن أبي بكر عتيق بن اسماعيل ترجمة في التكملة، ج3/ ص 204 طبعة د. الهراس

423- يقول ابن عبد الملك المراكشي إنه «حين مجاورته بمكة شرفها الله كان أحد المتناوبين في قراءة التراويح برمضان في المقام المكرم». (الذيل والتكملة، 1/313) ويقول ابن جبير الذي حضر هذه التراويح المقامية أن المتناوبين عليها كانوا خمسة أئمة «وأوسطهم صاحبنا الفقيه الزاهد الورع أبو جعفر بن علي الفنكي القرطبي»، ويضيف قائلاً : « وقراءته ترقّ الجمادات خشوعاً».. رحلة ابن جبير، دار صادر، ص 123

424- جاور بمكة ست سنين حسب ابن عبد الملك المراكشي (الذيل والتكملة، 1/ ص 312)

425- سنة 570 هـ (الذيل والتكملة،نفسه)

426- توفي سنة 596 هـ ودفن بجبل «قاسيون خارج دمشق» (الذيل والتكملة، 1/313)

عِنْدَ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ. فَكَانَ أَهْلُ الفَضْلِ مِنَ المجَاوِرِينَ يَقْصِدونَ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ لحُسْنِ صَوْتِهِ وَفَضْلِهِ [427]، ومَا رَأَيْتُهُ فِي الحَرمِ إِلَّا طائفاً أَوْ تَالِياً لِلْقُرآنِ. نَفَعَهُ اللّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ. ولَقَدْ كَانَ يُذَكِّرُنِي بِحَالِهِ قَوْلُ ابْنُ شُبْرُمَةَ [428] :

[البسيط]

لَوْ شِئْتُ كُنْتُ ككُرْزٍ فِي تَعَبُّدِهِ # أَوْ كابْنِ طَارِقٍ حَوْلَ البَيْتِ وَالحَرَمِ

قَدْ حَالَ دُونَ لَذِيذِ العَيْشِ خَوْفُهُمَا # وَسَارَعا فِي طِلابِ الفَوْزِ وَالكَرَمِ [429]

وكَانَ كُرْز بْنُ وَبَرَةَ [430] لا يُرى فِي ساعَةٍ قَطُّ إِلَّا مُصَلِّياً. وكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ طارِقٍ [431] يَطُوفُ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ أُسْبوعاً فَكا [نَتْ] تُعْدَلُ بِعَشْرَةِ فَراسِخَ.

427- يؤكد هذه المعطيات ابن عبد الملك المراكشي بقوله : «كان شافعي المذهب... وكان يؤم بمسجد الكلاسة المتصل بجامع دمشق الأعظم فكان الناس يتزاحمون على الصلاة خلفه التماساً لبركته واستماعاً لحسن صوته »، **الذيل والتكملة**، 313./1، وكذلك ابن جبير، **الرحلة**، 240

428-هو عبد الله بن شبرمة بن عمرو بن ضرار بن الطفيل بن حسان بن المنذر ابن ضرار، قاضي الكوفة. ولد سنة اثنتين وسبعين للهجرة وتفقه بالشعبي ومات سنة 144 هـ. قال حماد بن زيد : ما رأيت كوفياً أفقه من ابن شبرمة. انظر : ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ط. المكتب التجاري، 378/2؛ أبو اسحاق الشيرازي، **طبقات الفقهاء** ، تحقيق د. إحان عباس، ط. دار الرائد، ، ص84؛ **المعارف** لابن قتيبة، ص 207، ؛ ابن حزم (أبو محمد علي)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط4 ج 1/ ص204

429- انظر ؛ **حلية الأولياء**، 79/5-80

430- كرز بن وبرة الحارثي، كوفي الأصل نزيل جرجان، دخلها غازياً سنة 98 هـ مع يزيد بن المهلب، له الصيت البليغ والمكان الرفيع في النسك والتعبد، انظر بعض أخباره في : **حلية الأولياء**، 79/5- 83؛ **سير أعلام النبلاء**،ج 6/ ص 84

431- محمد بن طارق المكي : انظر عنه ؛ ابن الجوزي، **صفوة الصفوة** ،م.س.، ج 2، ص 129

66= أَبُو الْعَبَّاس، أَحْمَدُ بْنُ طُوال

وَمِنْهُمُ الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ، أَحْمَدُ بْنُ طُوَال، رَحْمةُ اللهِ تَعَالى عَلَيْه. كَانَ مَشْهوراً بِالخَيْرِ، كَثِيرَ الصَّدَقَةِ. فَضائِلُهُ وَأَوْصَافُهُ جَمِيلَةٌ.

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الحاجُّ أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ عَتيقٍ[432] قَالَ : كَانَ أَبُو العَبَّاسِ بْنُ طُوالٍ مِنْ أَهْلِ المُراقَبَةِ وَالصَّمْتِ؛ لا يَتَكلَّمُ إِلَّا فيما يَعْنِيهِ، مُقْبِلاً عَلى شَأْنِهِ. وكَانَ كَثِيرَ الإِحْسَانِ إِلى النَّاسِ، لا يَأْتِيهِ أَحَدٌ يَسْأَلُهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَعْطاهُ. إِنْ كَانَ مُحْتاجاً لِلسَّلَفِ أَسْلَفَهُ عَلى حالِهِ، [و] إِنْ كَانَ فَقيراً أَسْلَفَهُ عَلَى الفَتْحِ، وَرُبَّما /129/ جاءَ لأبي العَبَّاسِ مِنْ ذَلِكَ البَابِ، فَيَلْقى ذَلِكَ الفَقيرَ فَيَقُول لَهُ : قَدْ قَضَى اللهُ عَنْكَ ما عَلَيْكَ. وَمَنْ كَانَ صَاحِبَ سَبَبٍ، أَسْلَفَهُ عَلَى ذَلِكَ السَّبَبِ.

أَخْبَرَنِي أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ عَتيقٍ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلى أَبِي العَبَّاس، وَمَعي ابْنُ عمَّةٍ لِي، وكَانَ مُؤَدِّباً لِلصِّبْيانِ، فَسَلَّمْنا عَلَيْهِ. فَأَقْبَلَ أَبُو العَبَّاسِ عَلى ابْنِ عَمَّتي فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حالُكَ؟ فَقَالَ لَهُ : فِي تَعَبٍ مَعَ الصِّبْيَانِ، لأنَّ صِبْيَانَ هَذَا الوَقْتِ فِيهِمْ حِدَّةٌ وحَرَكَةٌ. فَقَالَ لَهُ أَبُو العَبَّاس : اذْكُرِ اللهَ ! هَكَذا تَأْخُذُ أَعْرَاضَهُمْ وَهُمْ صِغارٌ لَمْ يَبْلُغوا التَّكْلِيفَ. ادْعُ لَهُمْ ولا تَقُلْ إِلَّا خَيْراً. قَالَ : فانْصَرَفْنا مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ خَجِلٌ مِنْ ذَلِكَ.

432- انظر ترجمته ومصادرها بهوامش ترجمة رقم 35

67= أَبُو عَبْدِ اللَّهِ القَصْرِيّ [433]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ القَصْرِيُّ المُؤَدِّب. رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى. كَانَ رَجُلاً فَاضِلاً مُتَقَلِّلاً مِنَ الدُّنْيا، مُنْقَبِضاً عَنِ النَّاسِ. وكَانَ يُعَلِّمُ القُرْآنَ العَظِيمَ. أَدْرَكْتُهُ وَصَحِبْتُهُ، وَظَهرَتْ لَهُ كَرَامَاتٌ.

أَخْبَرَنِي الفَقيهُ الأُسْتاذُ أَبُو مُحَمَّدٍ، قاسِمُ بْنُ مُحَمَّد، صاحِبُنا -عُرِفَ بِابْنِ الطَّوِيل- أَنَّهُ خَرجَ مَعَهُ إِلى مَغِيلَةَ [434]، وكَانَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما عَلى حِمارٍ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ قَاسِمٌ: فغَرِقَ الحِمارُ الَّذِي ركِبْتُ عَلَيْهِ فِي الطَّرِيقِ إِلى رُكْبَتَيْهِ. قَالَ: فَنَزَلْتُ عَنْهُ وَأَخَذْتُ بِيَدِه، فَقَلَعْتُها /130/ مِنَ الطِّينِ بِشِدَّةٍ. قالَ: فَانْفَكَّتْ يَدُ الحِمارِ، وبَقِيَ لا يَقْدِرُ عَلَى وَضْعِه عَلَى الأَرْضِ. فَرَآنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ فَنَزَلَ عَنْ دابَّتِه، وَقَالَ: مَا لِدابَّتِكَ؟ فَقُلْتُ: انْفكَّتْ يَدُهُ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ الحِمارِ، وَهِي مِثْلُ الخِرْقَةِ، فَجَرَّ عَلَيْها يَدَهُ مِراراً. ثُمَّ قَالَ: أَرْجُو أَنَّهُ

433- يترجم أبو العباس أحمد الغبريني لأبي عبد الله محمد بن علي القصري ويصفه بـ «الفقيه الجليل الفاضل العالم العارف العابد الزاهد الولي» ويقول عنه أن «كان متقدماً في علم التصوف سيداً في طريق الانقطاع والعبادة متواضعاً موصوفاً بالتقوى على ما عليه السلف الصالح رضي الله عنهم..» وبعد إشارته إلى تمكن المترجم له من معاني الرسالة القشيرية يقول: «وكان رحمه الله يكاشف أصحابه بأحوالهم ويطلعهم على أخبارهم»؛ وإذا كانت هذه الأوصاف تنطبق على الشخص الذي يترجم له التميمي فإن بقية عناصر الترجمة لا تتقاطع مع ما ورد في المستفاد، وخاصة ما يتعلق منها بالعرض الذي قُدم لأبي عبد الله القصري بتولي العدالة والقضاء ببجاية ورفضه لهم، وأنه كان «له مجلس لتدريس مشهور»..الغبريني، عنوان الدراية، (تحقيق رابح بونار، الجزائر،د. ت. ص ,171-170)

434- مغيلة: مدينة صغيرة أسسها الرومان، تقع على الطريق الرابطة بين فاس ومكناس على مرحلة من فاس، على جبل زرهون من الجانب الذي يطل على المدينة الادريسية، ذكرها البكري، ص 114؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، 244؛ و الاستبصار، 193؛ الحسن الوزان، وصف افريقيا، 297 وبها وافت المنية القاضي أبا بكر، محمد ابن عربي سنة 543 هـ

َما أَصَابَهُ شَيْءٌ. ثُمَّ قَالَ لِي : ارِكَبْ، فَركِبْتُ. وَمَشَى الحِمارُ عَلَى حالَتِهِ الأُولَى؛ لَيْسَ بِهِ عَرَجٌ ولا أَلَمٌ. وَالحَمْدُ لِلهِ. رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى، وَنَفَعَ بِهِ وَبالصَّالحِينَ.

68= أَبُو مُحَمَّد، عَبْدُ الحَميدِ بْنُ صالِحٍ[435]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّد، عَبْدُ الحَميدِ بْنُ صالِحٍ. كَانَتْ لَهُ أَوْصافٌ جَميلَةٌ حَسَنَةٌ، وَفَاقَ أَهْلَ وَقْتِهِ بِالوَرَعِ. كَانَ لا يَأْكُلُ إلَّا الخُبْزَ والعَسَلَ؛ لا يُشَارِكُ النَّاسَ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَأْكُلُونَهُ إلَّا فِي ذَلِكَ. أَدْرَكْتُهُ وَصَحِبْتُهُ. لَهُ بَراهِينُ. وَرَأَيْتُ فِيهِ خُلُقاً حَسَناً وَاحْتِمالاً وَصَبْراً، نَفَعَهُ اللّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ، وَظَهَرَتْ لَهُ بَراهِينُ وكَرامَاتٌ.

باتَ لَيْلَةً عِنْدَ أَصْحَابِهِ بِمَقْرُبَةِ مَسْجِدِ أَبِي جَعْفَرٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ، قَام وَتَوضَّأَ وَخَرَجَ. فَفَطِنَ أَهْلُ المَوْضِعِ أَنَّهُ خَرَجَ للمَسْجِدِ. فَخَرجَ فِي طَلَبِهِ[436]، فَوَجَدَ المَسْجِدَ لَمْ يُفْتَح، وَالدَّرْبَ مُغْلَقاً. فَجَلسَ حَتَّى فُتِحَ الدَّرْبُ، ومَشَى إلَى الجَامِعِ، فَوَجَدَهُ فِي الجَامِعِ. أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ مَنْ حَضَرَهُ وشَاهَدَهُ.

/131/ قَالَ مُحَمَّدٌ : وَخَرَجْتُ مَعَهُ يَوماً لِجِنانٍ دَعَاهُ إِلَيْهِ صاحِبُهُ، وَحَملَ مَعَهُ وَلَدَيْهِ أَبا عَبْدِ اللّهِ مُحَمَّداً، وَأَبا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ. وكانا فِي حَدِّ الصِّبَا. فَمَشيَا فِي الجِنانِ، فَرَأَوْا شَجَرَةَ جوزٍ باسِقَةً وَفِيها جوزٌ. فَأَخْبَرانِي بِذَلِكَ، فَمَشيْتُ لِلشَّجَرَةِ وَطَلعْتُهَا، وَأَخَذْتُ نَقْطَعُ

435- يبدو أنه هو أبو محمد عبد الحميد ابن صالح الهسكوري، المذكور في التشوف،(ص 196)؛ وفي **جذوة الاقتباس**،(387/2)؛ و**سلوة الأنفاس**(، 43/2) أصله من بلد تادلا وبه نشأ ثم نزل مدينة فاس فصحب بها أبا الحسن بن حرزهم وأبا عبد الله الدقاق، وكان أسمر اللون. (**التشوف**، 196-197) وقال ابن القاضي في نهاية ترجمته : «ذكره التادلي في المستفاد»، وهو سبق قلم، إذ أراد أن يقول إما : ذكره «التادلي في التشوف» أو «ذكره التميمي في المستفاد»

436- كذا في الأصل. ولعلها : خرج بعض أهل الموضع في طلبه

[هكذا] الجَوْزَ وَتَرْمي بِهِ إِلَيْهِما. وكَانَتِ الشَّجَرَةُ عَلَى حَافَةٍ عَلَى الوادي. فَتَعَلَّقْتُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصانِها، وَبَقيتُ أَنْظُرُ إِلى الوادي وَفيهِ أَحْجَارٌ عَظيمةٌ؛ فَذُهِلْتُ. فَمَشَيا لأَبيهما فَأَعْلَماهُ بِذَلِكَ. فَدَعا لِي بِالخَلاصِ. ثُمَّ قَامَ نَحْوي، فَلَقيتُهُ فِي الطَّرِيقِ. فَقَالَ لِي : كَيْفَ تَخَلَّصْتَ؟ فَقُلْتُ لَهُ : ما أَعْرِفُ. إِنَّمَا كُنْتُ مُتَعَلِّقاً وَرِجْلايَ فِي الهواءِ، فَمَا عَرَفْتُ كَيْفَ صَارَتْ عَلَى غُصْنٍ مِنْ أَغْصانِها. فَنَزَلْتُ مِنْهَا، وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ دُعائِه. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وكَانَ صَوَّاماً قَوَّاماً، طَيِّبَ الخُلُقِ لَيِّنَ الجانِبِ، صَبوراً عَلَى الجَفَاءِ، لا شُغْلَ لَهُ غيْرُ العبادةِ. نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.

69= ابنُ هَـــرَان

وَمِنْهُمْ ابْنُ هران، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. كَانَ مُولَعاً بِالسِّيَاحَةِ وَطَلَبِ الرِّجالِ.

أَخْبَرَنِي صَاحِبُهُ أَبُو العَبَّاسِ، أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي الفَرَجِ، عَنْ والِدِهِ عَنِ ابْنِ هَرَان، [قَالَ] : كَانَ /132/ يُواصِلُ سِتِّينَ يَوْماً. مِنْهَا أَرْبَعُونَ يَوْماً لا يُفْطِرُ بِشَيْءٍ. ومِنْها عِشْرُونَ يَوماً يُفْطِرُ كُلَّ لَيْلَةٍ عَلَى لَعْقَةٍ مِنْ عَسَلٍ، وكَانَ يُداوِمُ عَلَيْها فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ.

أَخْبَرَنِي أَبُو العَبَّاسِ عَنْ جَدَّتِهِ، أَنَّهُ أَقامَ مُدَّةً لا يَلْتَفِتُ إِلى زَوْجَتِهِ. فَلَمَّا طالَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، لَبِسَتْ أَفْخَرَ ثِيَابِها، وَجَعَلَتْ عَلَى نَفْسِها حَلْياً، وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ القِبْلَةَ. فَسَمِعَ حِسّاً، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : زَوْجَتُكَ المُهْمَلَةُ المَتْروكَةُ الَّتِي لا تَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. فَقَالَ لَها : مِسْكِينَةٌ ! خَمْسَةُ أَيَّامٍ بَقِيَ لَكَ وَتَسْتَرِيحُ. فَلَمَّا تَمَّتِ الأَيَّامُ الَّتِي ذَكَرَ، تُوُفِّيَ. رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَخْبَرَنِي عَنْ أَبيهِ أَنَّهُ لَمَّا جُعِلَ فِي قَبرِهِ، أَقبَلَ طَيْرٌ كَثيرٌ، فَجَعَلَ يَقَعُ فِي قَبْرِهِ ويَخْرجُ، وَيُوجَدُ مِنْهَا رِيحُ المِسْكِ. شَهِدَ بِذَلِكَ جَميعُ مَنْ حَضَرَ دَفْنَهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

70= مُسْلمٌ الحَبَشِيُّ

وَمِنهُمْ مُسْلمٌ الحَبَشِيُّ. كَانَ مَشْهوراً بِالعِبَادَةِ وَالبُكاءِ، كَانَ إِذَا صَلّى بَكَى، وإذَا تَكلَّمَ بَكَى. أَخْبَرَنِي الأسْتَاذُ أَبُو مُحَمَّدٍ، قاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ القُضَاعِيّ، أَنَّهُ اجْتَمعَ [مَعَهُ] يَوْماً، فَرَغِبَ مُسْلِمٌ إِلَيْهِ، وَقَالَ : أُحِبُّ أَنْ تُسْمِعَنِي كَلامَ ربِّي. قَالَ : فَتَوَعَّدْتُهُ [437] إِلى اللَّيْلِ، وَأَخْلَيْتُ مَوْضِعاً /133/ فِي مَنْزلي. فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ أَقْبَلَ فَدَخَلتُ مَعَهُ فِي البَيْتِ الَّذِي أَخْلَيتُ، وَتَقَدَّمْتُ أُصَلِّي بِه، وَافْتَتَحْتُ القِراءَةَ. فَما أَكْمَلْتُ الفَاتِحَةَ إِلَّا وَأَنا أَسْمَعُ وَقْعَ دُموعِهِ عَلَى الحَصيرِ. فَلَمَّا أَكْمَلْتُ رُبُعَ القُرْآنِ، سَقَطَ مَغْشِيّاً عَلَيْه، وَلَمْ يَزَلْ فِي غَشْيَتِهِ إِلى الصَّباحِ، وَبَقِيَ أَيَّاماً مُتَأَلِماً مِنْ ذَلِكَ. نَفَعَهُ اللّٰهُ بِذَلِكَ.

وكَانَ أَيْضاً يَأْخُذُ بِما رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ، (ﷺ)، أَنَّهُ قَالَ : «مَنِ اشْتَاقَ إِلى الجَنَّةِ، سَارَعَ إِلى الخيْراتِ. وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ، لَهَا عَنِ الشَّهَواتِ. وَمَنْ رَاقَبَ الموْتَ، تَرَكَ اللَّذَاتِ. وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا، هَانَتْ عَلَيْهِ المُصيبَاتُ» [438].

وَرُوِيَ عَنْ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : «لَنْ تَنالُوا مَا تُحِبُّونَ، إِلَّا بِتَرْكِ ما تَشْتَهونَ. وَلَنْ تَبْلُغُوا مَا تُريدونَ، إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ». اسْتَعْمَلَنا اللّٰهُ تَعَالَى بِذَلِكَ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ.

437- كذا في الأصل

438- أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، مسند الشهاب، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ج 1/ ص 226؛ الكامل عن ضعفاء الرجال، ج 3، ص 358؛ اتحاف السادة المتقين للزبيدي، مصورة عن طبعة بيروت، ج 5/ ص 150؛ تهذيب تاريخ دمشق لابن عسكر، بيروت، ج 4/ 289؛ الأصبهاني، حلية الأولياء، 5/ ص10؛ وقد علق على الحديث قائلاً :«غريب من حديث محمد [بن حميد] تفرد به الرصافي. رواه مسلمة ابن علي والمسيب بن شريك عن الرصافي»

71= أَبُو مُحَمَّد، قاسِمُ القَيْسِيّ[439]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ، قاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ القَيْسِيُّ. كَانَ رَجُلاً صَالحاً كَرِيمَ الأَخْلاقِ، سَمْحَ النَّفْسِ مُتَواضِعاً. وكَانَ لَهُ فِي ابْتِداءِ إرادَتِهِ مُجاهَداتٌ. وكَانَ الصَّالحُونَ فِي وَقْتِهِ إذَا اجْتَمَعُوا فِي مَبِيتٍ عِنْدَ أَحَدِهِمْ، أَوْ مَوْضِعٍ قَدَّمُوهُ لِلصَّلاةِ بِهِمْ لِلْفَرْضِ وَالنَّافِلَةِ، وكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ؛ لَهُ نَغْمَةٌ طَيِّبَةٌ.

/134/ أَخْبَرَنِي، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّهُ باتَ لَيْلَةً مَعَ جَماعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فِيهِمْ الشَّيْخُ أبو يَدُّو وَابْنُ الهَزَّالِ. وكانُوا فِي دارِ أَحْمَدَ بْنِ الخَضَّارِ؛ شَيْخٌ صَالِحٌ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ قَاسِم : فَتَقَدَّمْتُ لِلصَّلاةِ بِهِمْ. فَلَمَّا أَخَذْنَا فِي وِرْدِنَا، وَنَحْنُ فِي الصَّلاةِ، إذْ صَاحَ أَبُو يَدُّو وَسَقَطَ إلى الأَرْضِ. فَلَمَّا فَرَغْنا مِنَ الصَّلاةِ، قَالَ أَبُو يدُّو لأَحْمَدَ الخَضَّارِ : مَالي رَأَيْتُكَ وَوَجْهُكَ لِلْقِبْلَةِ قَدْ صُرِفَ، وَأَنْتَ تَقُولُ : بَرْنُوسِي، بَرْنُوسِي؟ فَلَوْلا أَنَّ الخَضِرَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، أَمَرَ فُلاناً أَنْ يَرُدَّ وَجْهَكَ لِلْقِبْلَةِ، لَبَقِيتَ كَذَلِكَ. قَالَ الخَضَّارُ : ثُمَّ كَانَتْ مِنِّي التِفاتَةٌ لِلشَّرِيطِ الَّذِي أَعلَّقُ عَلَيْهِ البَرْنُوسَ فَلَمْ أَرَهْ، فَجُلْتُ فِيمَنْ أَخَذَهُ، حَتَّى تَذَكَّرْتُ أَنَّ أَخِي أَخَذَهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هَذِهِ الحِكايَةُ فِي أَخْبارِ أَبِي يَدُّو[440].

وكَانَ الشيخُ أَبُو مُحَمَّدٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، يَصْنَعُ الشِّعْرَ وَيُجِيدُهُ. أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْ لَفْظِهِ :

[الكامل]

نَفْسِي تُطَالِبُنِي فَقُلْتُ لَهَا اصْبِري # وَاسْتَمْسِكي بِمُسَبِّبِ الأَسْبَابِ

439- ترجمته في جلوة الاقتباس، 512/2 (نقلاً عن المستفاد)

440- انظر ترجمة رقم 33

وَإِذَا رَأَيْـتَ لِـذِي المـواهـب[441] طَـالِـبـاً # نَـادَى بِـدَمـع[442] وَاكِـف التّـسْكَـاب[443]
بِاللّهِ رِبِّـكَ إِنْ دَخَـلْتَ فَـقُـلْ لَـهُ # هَا أَنَـا عَـبْـدُكَ[444] وَاقِـفٌ بِـالـبَـاب
فَـلَـئِنْ رَضِيـتَ فَـأَنْـتَ مَـوْصُـوفٌ بِـهِ # رَبُّ الجَـمِـيعِ وَمَـالِـكُ الأَرْبَـاب
/135/ يَـرْجُـو الوُصُـولَ وَيَـخْشَى سُـوءَ فِـعَالِـهِ # وَالجُودُ مُنْتَظَرٌ مِـنَ الوَهَّاب
وَلَـئِـنْ رَدَدْتَ فَـمَـنْ يُـجِـيرُ صَـبَابَـتِي # ذُلُّ الحِـجَـابِ وَفُـرْقَـةُ الأَحْـبَـاب
فَـارْحَـمْ ضَـرَاعَـةَ مِـسْكِـينٍ[445] حَـائِـرٍ # قَـلِـقَ الفُـؤَادِ وَطَالِـبَ المـتَـاب
وَامْـنُنْ عَـلَـيَّ بِنَـظْـرَةٍ تَـحْـظَى بِـهَـا # فِـي حِـينِ مُنْقَـلَبِي وَيَـوْمَ حِسَـاب

قَالَ مُحَمَّدٌ : وكَانَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ قاسِمٌ، مِمَّنْ رَأَى أَوْلِيَاءَ اللّهِ وفُضَلاءَ[هُم]، وَصَحِبَهُمْ وَتَأَدَّبَ بِآدابِهِمْ. نَفَعهُ اللّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.

وَتُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى، يَوْمَ الجُمُعَةِ، الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَوَّال، عامَ ثَمانِيَةٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَذَكَر لِي ابْنُهُ العَبَّاسُ أَنَّ مَولِدَهُ عَامَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

441- في الأصل : المراحب. والتصحيح من الجذوة
442- في الأصل: نَادِبُهُ مَحَ
443- ورد هذا البيت في في جذوة الاقتباس ص 513: كما يلي
وإذا رأيت لذى المواهب طالبـاً # نادى بدمع واكف التسكـاب
444- في الجذوة ، ص 512: هذا عبيدك
445- في الجذوة : مستهام

72= أَبُو الْعَبَّاسِ، أَحْمَدُ الْمُرادِيُّ الدَّرَّاج

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الأُسْتاذُ أَبُو الْعَبَّاسِ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُرادِيُّ، عُرِفَ بِالدَّرَّاجِ [446]. كَانَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، مِنْ أَهْلِ القِراءَةِ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، تَلاءً لَهُ. أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يَخْتِمُ خَتْمَةً فِي الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ عَلَى الدَّوامِ؛ كَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ الكِتابُ العَزِيزُ، وجِلَّةُ [447] قُرَّاءِ فَاسَ تَخَرَّجُوا عَلَيْهِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَحَضَرْتُ فِي بَعْضِ الأَعْوامِ، [وَهُوَ] يُصَلِّي بِالنَّاسِ القِيامَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي الجامِعِ الأَعْظَمِ؛ فَكَأَنِّي مَا سَمِعْتُ القُرْآنَ. وكَانَ النَّاسُ يَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ، ويَخِرُّونَ فِي الصَّلاةِ. /136/ ولَقَدْ ذَكَّرَنِي بِقِراءَتِهِ ما رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، رضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لأَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ [448] : شَوِّقْنا إِلى رَبِّنا، أَوْ خَوِّفْنا رَبَّنَا، قَالَ : فَيَقْرَأُ [449] لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ تَحَسُّنِ القِراءَةِ وتَحْسِينِهَا. وَفِي وَقْتِ قِراءَةِ

446- هو أحمد بن محمد بن أحمد بن خلوص المرادي، نزيل فاس،(الذيل والتكملة.. س 1 ص 367-368؛ جذوة الاقتباس، 117/1 اعتبره من أهل مدينة فاس). بينما جعله ابن عبد الملك المراكشي «نزيل فاس». واعتبره «أحد كبارالمقرئين وأئمة القراء المجودين» كذلك، التكملة 1، ص 28 ؛صلة الصلة، 5/ 275

447- في جذوة الاقتباس: جل، وفي طبعتها الحجرية، ص 8 : أكثر.

448- أبو موسى عبد الله بن قيس بن خضار بن حرب، صحابي جليل استعمله رسول الله ﴿ﷺ﴾ على زبيد وعدن وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة 17 هـ وأقره الخليفة عثمان عليها ثم عزله. مثل الخليفة علي في قضية التحكيم، توفي سنة 52 هـ. ويقال سنة 42 هـ. كان من أحسن الصحابة صوتاً في التلاوة، له في الصحيحين 355 حديثاً، انظر : ابن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط. 2، ص 266؛ الزركلي (خير الدين)، الاعلام، ج 4/ ص 267؛ حلية الأولياء، ج1/ ص 256-264

449- ورد في حلية الأولياء، (ج1/ ص 258) أن عمر بن الخطاب كان يقول لأبي موسى الأشعري : «ذكرنا ربنا عز وجل، فيقرأ»

الشَّيْخ، [كانَ] قَدْ طعَنَ فِي السِّنِّ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى الاسْتِواءِ فِي القِيَامِ. وكَانَ مَعَ هَذَا مُتَواضِعاً سَخِيَّ الكَفِّ وَالنَّفْسِ، كَثِيرَ البُكاءِ؛ إذَا سَمِعَ مَوْعِظَةً أَوْ قَرَأَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ مِمَّنْ لَهُ شَجِيُّ صَوْتٍ. نَفَعَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ.

أَخْبَرَنِي، رَحِمَهُ اللَّه، أَنَّهُ رَأَى بَعْضَ قَرابَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي المَنامِ، فَقَالَ لَهُ : مَا فَعلَ اللَّهُ بِكَ ؟ أَوْ قَالَ : فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ، فَأَنْشَدَنِي :

[السَّرِيع]

نَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي نِعْمَةٍ قَدْ # سَهَّلَ اللَّهُ جَوَازَ الصِّرَاطِ
لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لاَمَنَا # أَوْ يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ[450]

73= أَبُو عَلِيٍّ الخَرَّاط

وَمِنْهُمْ أَبُو عَلِيٍّ الخَرَّاطُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. كَانَتْ لَهُ أَوْصَافٌ جَمِيلَةٌ حَسَنَةٌ؛ مَذْكُورٌ بِالخَيْرِ والدِّينِ وَالحَقَائِقِ. صَحِبَ أَكَابِرَ، وَتَأَدَّبَ بِآدابِهِمْ. كَانَ الفُقَهَاءُ فِي وَقْتِهِ، وَالعُلَمَاءُ يُعَظِّمُونَهُ وَيَسْمَعُونَ مَوَاعِظَهُ. رَأَيْتُهُ وَأَنَا إِذْ ذاكَ صَغِيرٌ. نَفَعَ[ـهُ] اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.

450- يشير البيت الثاني إلى الآية الكريمة : ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّحُ لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط﴾ سورة الأعراف، 38

74= أَبُو الرَّبيع، سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَان [451]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو الرَّبِيعِ، رَحِمَهُ اللَّه،/137/ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَانِ. كَانَ فَقِيهاً وَرِعاً مُنْقَبِضاً مُعَظِّماً لِلعِلْمِ، مُوَفِّيَهُ حَقَّهُ؛ لَهُ حَالَةٌ يُخْتَصُّ بِها فِي الوَرَعِ. أَدْرَكْتُهُ وَخَالَطْتُهُ وانْتَفَعْتُ بِهِ.

أَخْبَرَنِي أَبُو إِسْحَاقَ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ العَجَمِيُّ [452]، وَقَدْ اجْتَمَعْتُ بِهِ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي طَرِيقِهِ إلى الْحَجِّ. وَقَدْ تَذاكَرْتُ مَعَهُ فِي وَرَعِ الْفَقِيهِ أَبِي الرَّبِيعِ، فَقَالَ لِي : لَمَّا مَاتَ والِدُ زَوْجَتِي، وَوَصَلَتْ تَرِكَتُهُ إلى مَدِينَةِ فاسَ مِنْ بِلادِ السُّودانِ [453]، وَجَاءَنَا فِي تَرِكَتِهِ صُرَّةُ تِبْرٍ عَلَيْها مَكْتُوبٌ : «الْفَقِيهُ أَبُو الرَّبِيعِ»، فَوَصَلْنَا بها إِلَيْهِ، وَقِيلَ لَهُ : وَجَدْنا هَذِهِ

451- انظر : التشوف، ترجمة 126، ص 280-282 ؛و جلوة الاقتباس، عدد 597، ص 517-518 (ويسميانه : أبا الربيع سليمان بن عبد الرحمان بن المعز الصنهاجي المعروف بالتلمساني) «كان وثاقاً [أو موثقاً] بمدينة سلا... واستقر أخيراً بفاس وبها مات سنة تسع وسبعين وخمسمائة /1183-1184م. سلوة الأنفاس، 316/3

452- انظر : التشوف، 282 حيث يورد هذه القصة مع اختلافات لفظية طفيفة، ويستهلها بقوله : «وقال إبراهيم بن أبي بكر العجمي» من دون الافصاح عن مصدرها الحقيقي.

453- المقصود ببلاد السودان هنا هو ما يسميه الباحثون المحدثون بـ «السودان الغربي»، أي المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى على حوض النيجر ونهر السنيغال والتي ربطت بينها وبين المغرب علاقات تجارية وطيدة منذ فترة مبكرة؛ حملت معها مختلف التأثيرات المتبادلة بين المنطقتين. وقد شكل التبر، أي الذهب الخام، والعبيد وريش النعام أهم واردات المغرب من بلاد السودان الغربي. وكان الملح المعدني والمواد المعدنية (نحاس، فضة..) ومواد الصناعة التقليدية والمنسوجات الصوفية والقطنية والحريرية والمنتجات الفلاحية والخيول على رأس الصادرات المغربية إلى تلك المنطقة . إلا أن مادتي الذهب والملح شكلتا عصب تلك العلاقة التجارية إلى مطاع العصر الحديث. انظر ،عبد العزيز العلوي، «العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب المريني وامبراطورية مالي»، مجلة كلية الآداب، فاس، عدد 5، 1989؛ محمد الشريف، «ابن بطوطة وأزمة التجارة الصحراوية»، ضمن كتاب : الغرب الإسلامي، نصوص جديدة ودراسات، ص .111-124

الصُّرَّةَ فِي تَرِكَةِ فُلانٍ، فَهَلْ وَجَّهْتَ مَعَهُ شَيْئاً؟ فَقَالَ نَعَمْ. وَجَّهْتُ مَعَهُ أَرْدِيَةً. فَقُلْنا لَهُ : لَعَلَّ هَذَا ثَمَنُها، فَقَالَ : لا آخُذُ ذَلِكَ. فَقيل لَهُ : لِمَ؟ فَقَالَ : لَوْ وَجَدْتُمْ مَكْتُوباً عَلَيْها : «هَذَا ثَمَنُ الأَرْدِيَةِ الَّتِي بَعَثَ بِها فُلانٌ» لأَخَذْتُهُ، وَلَعَلَّ أَحَدَ النَّاسِ كَتَبَ ذَلِكَ. فَقالُوا [هكذا] لَهُ الوَرَثَةُ : نَحْنُ نَجْعَلُكَ مِنْ ذَلِكَ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ. فَقَالَ : ما أَنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ الصَّدَقَةَ. اِجْعَلوهَا فِي جُمْلَةِ التَّرِكَةِ، فَإِنْ كَانَتْ لِي، فَأَنْتُمْ مِنْهَا فِي حِلٍّ. والمَيِّتُ مِنْ ذَلِكَ فِي حِلٍّ. وَلَمْ يَأْخُذْها. رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى [454].

قَالَ مُحَمَّدٌ : وكَانَ، رَحِمَهُ اللهُ، لا يَأْخُذُ قُوتَهُ مِنَ الطَّعامِ، إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ يَعْرِفُ /138/ أَهْلَهُ، ولا يَقْبَلُ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ خَاصَّةِ إِخْوانِه مِمَّنْ يَثِقُ بِدِينِه، وَيَعْرِفُ طِيبَ مَكْسَبِه.

أَخْبَرَنِي أَبُو عَلِيٍّ، حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَانِ، وكَانَ مِنْ خَاصَّةِ أَصْحَابِ الْفَقِيهِ، قَالَ : كُنتُ عِنْدَهُ يَوْماً، فَجاءَهُ بَعْضُ الفُقَهاءِ مِنْ أَصْحَابِه، فَقَالَ لَهُ : فُلانٌ مِنْ أَصْحابِنا؛ بُغِيَ عَلَيْهِ وسُجِنَ، ويَخَافُ مِنَ البَاغي عَلَيْهِ أَنْ يَضْرِبَهُ. فَقَالَ لَهُمُ الفَقيهُ أَبُو الرَّبِيع : اللهُ يَكفِي شَرَّهُ، وَيَأْخُذُ مَنْ بَغَى عَلَيْه. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : فَلمْ يَأْتِ عَلَى البَاغي إِلَّا نَحْوُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ حَتَّى تُوُفِّيَ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَلا حَدَثٍ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : جَلَسَ لِلوُضُوءِ عَلَى الكُرْسِيِّ فَوَقَعَ عَنْهُ، فَرُفِعَ مَيِّتاً. عَفَا اللهُ عَنْهُ.

وَلِلفَقيهِ أَبِي الرَّبِيعِ إِجاباتٌ فِي الدُّعَاءِ، ومَقَاماتٌ فِي الوَرَعِ لا يَكادُ يُشَارِكُهُ فِيها إِلَّا آحادُ الرِّجالِ. نَفَعهُ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ. ونَفَعَ بِهِ وَبِخَاطِرِه.

454- من المعلوم أن وجود جالية مغربية هامة بمدن السودان الغربي قد حتم عليها تنظيم نفسها واختيار من يمثلها أمام السلطات السودانية، وتشير المصادر إلى «شيخ المغاربة» بالسودان الغربي، ولعله كان يقوم بوظيفة مشابهة لوظيفة قنصل المدن الإيطالية بموانىء بلاد المغرب من حيث تمثيل بلاده أمام السلطات المحلية والدفاع عن مصالح أفراد الجالية المغربية واستقبال المغاربة الجدد القادمين إلى السودان الغربي وتوفير سبل إقامتهم... ومن المرجع أنه كان مسؤولاً عن تركة المغربي المتوفى هناك، كما يستشف من نص المستفاد. حول «شيخ المغاربة» بالسودان الغربي ، انظر دراستنا : « الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي (ق 8 هـ / 14 م) ضمن أعمال ندوة : «التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الافريقية على جانبي الصحراء»، كلية الدعوة الإسلامية- ليبيا، 1999، ص433-452، وخاصة 441-442 ؛ (أو ضمن كتاب : الغرب الإسلامي،نصوص جديدة ودراسات م. س. ص 132 -133)

75= أَبُو سَعِيدٍ الحَبَشِيّ

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو سَعِيدٍ الحَبَشِيُّ. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. أَدْرَكْتُهُ مُقِيماً بِفاسَ فِي الرَّابِطَةِ الَّتِي بِخارِجِ بابِ الجِيسةِ [455]. ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعِ الشَّيْخِ أَبِي يَعْزَى مِنْ إِرْجَّان [456]، وَسَأَلَ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي يَعْزَى أَنْ يُوَلِّيَهُ احْتِطابَ الحَطَبِ يَطْبَخُ بِهِ طَعَامَ مَنْ يأْتِي لِلشَّيْخِ /139/ أَبِي يَعْزَى مِنَ الزُّوَّارِ، فَأَسْعَفَهُ بِذَلِكَ. وَاجْتَمَعْتُ بِهِ أَيضاً بِذَلِكَ المَوْضِعِ عِنْدَ وُرُودِي عَلَى الشَّيْخِ زَائِراً، وكَانَ أَبُو سَعِيدٍ صَاحِبَ زُهْدٍ وكَرامات.

أَخْبَرَنِي أَبُو عَلِيٍّ، الحُسَيْنُ ابْنُ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيِّ الحَسَنِ، عَنْ ابْنِ الحَاجِّ أَبِي عَبْدِ اللهِ الوَحْشِيِّ، قَالَ : كُنْتُ يَوْماً عِنْدَ خَالِي أَبِي مُحَمَّدٍ، عَبْدِ الحَقِّ ابْنِ لَبونَةَ، إِذْ وَصَلَ أَبُو سَعِيدٍ الأَسْوَدُ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَى خَالِي، فَأَذِنَ لَهُ. فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَتَحدَّثَ مَعَهُ قَلِيلاً، ثُمَّ أَخْرَجَ لَهُ تُمَيْراتٍ يَسِيرَةً مِنْ جَيْبِهِ؛ وَذَلِكَ مِنَ التَّمْرِ المَجْلوبِ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ لَهُ : إِذَا وَضَعَتْ أَهْلُكَ حَمْلَها -وإِنَّهَا تَضَعُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَراً-،

455- كانت تسمى في أصلها باب عجيسة نسبة إلى الأمير عجيسة ابن دوناس بن حمامة بن عطية بن زيري المغراوي، أحد ملوك زناتة في القرن الخامس الهجري (وليس الرابع كما يقول عبد الوهاب بن منصور، **جنى زهرة الآس**، م.س. ص 105)، بناها عندما حصّن عدوة القرويين وبنى بها قصبة لسكناه بعقبة الصعتر وفتح هناك باباً سماه باسمه (عجيسة). ولم يزل باب عجيسة على حاله بقية أيام زناتة وطيلة أيام لمتونة إلى أيام الخليفة الموحدي الناصر (ت 610 هـ /1213م) الذي أمر ببناء سور فاس الذي كان جده الخليفة عبد المؤمن بن علي قد هدمه حينما استولى على فاس سنة 540 هـ (**البيان المغرب**، 23-24، **القرطاس**، 189) وفتح في هذا السور باباً كبيراً فوق باب عجيسة القديم وبالقرب منه ترك باب عجيسة على حاله، ثم أمر تغيير اسم الباب الذي بناه وترك إضافته إلى عجيسة، فأسقط الناس حرف العين من عجيسة وجعلوا الألف واللام عوضاً عنها فقالوا : باب الجيسة كما ينطقُ بها اليوم. وقيل إن الذي أمر بتغيير الإسم هو الأمير فتوح لما ظفر بأخيه عجيسة وقتله. ولم يزل هذا الباب على حالته إلى أن دبَّ إليه الخراب في أول الدولة المرينية ولم يتم تجديده إلا في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 684 هـ. انظر: **روض القرطاس**، ص 42؛ الجزنائي، **جنى زهرة الآس**، م. س. ص 41، 106

456- في **التشوف**، (ص 213 ، 231:): إيروجّان وقد سبق التعريف بها في ترجمة أبي يعزى.

فَأَطعِمْهُ مِنَ التَّمْرِ. فَلَمَّا وَضَعَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَضَعَتْ غُلاماً ذَكَراً، وَأَطْعَمَهُ مِنَ ذَلِكَ التَّمْرِ.

وَأَخْبَرَنِي أَبُو عَلِيٍّ، الحُسَيْنُ المذكورُ، عَنْ خالِهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الحَقِّ، أَنَّهُ قَالَ لَهُ : إِنَّهُ باتَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيالي فِي الرَّابِطَةِ الكَبِيرةِ الَّتِي عَلَى أَعْلَى الجَبَلِ خَارِجَ بابِ إِيصْلِيتَن، وَمَعَهُ جَماعَةٌ مِنْ إِخْوانِهِ. قَالَ : فَخَرجْنا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ نَمْشِي عَلَى الجَبَلِ ونَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذا بِوَحْشٍ مِنَ الوُحوشِ قَدْ آنَسَ إِلَيْنَا. فَأَخَذَه بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعِي مِنَ الأَصْحَابِ، وَجَعَلَهُ فِي وِعاءٍ. فَلَمَّا أَصْبَحَ، وَنَزَلْنَا إِلى /140/ المَدِينَةِ، أَخَذَ[ا]هُ الرَّجُلُ الَّذِي أَخَذَه [457] وَذَبَحَهُ وَأَكلَهُ، وَأَعْلَمَنِي بِذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أيامٍ، اجْتَمَعْتُ بِالشَّيْخِ أَبِي سَعِيدٍ، فَقَالَ لِي : يا فُلانُ ! ما هَذَا الَّذِي صَنعْتُمْ ؟ آنَسَ إِلَيْكُمْ بَعْضُ الوُحُوشِ، فَأَخَذَهُ بَعْضُ أَصْحَابِكَ وذَبَحَهُ وَأَكلَهُ، وَلَوْ تَركْتُمُوهُ لآنَسَ بِكُمْ مِنَ الوُحوشِ مَنْ لا تَقْدِرُ عَلَى رُؤْيَتِهِ، فَكَيْفَ بِالأُسُودِ ! قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الحَقِّ : فَسَأَلتُ آخذَ الوَحْشِ هَلْ ذَكَرَ تِلْكَ القِصَّةَ لأَحَدٍ، فَقَالَ لِي : ما ذَكَرْتُها لأَحَدٍ. وَمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ إِلَّا فِراسَةً وَمُكاشَفَةً.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَفِي نَحْوِ هَذَا المعْنَى، مَا حَدَّثَنا بِهِ الشَّيْخُ أَبُو سعيدٍ الخُراسَانِيُّ، بِسَنَدٍ يَبْلُغُ بِهِ مُحَمَّدَ بْنَ حَبِيبٍ[458] أَنَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ بَغْدادَ قَاصِداً إِلى الحَجِّ، وَفي رَأْسِي نَخْوَةُ الصُّوفِيَّةِ[459]، وَلَمْ آكُلِ الخُبْزَ أَرْبَعِينَ يَوْماً، وَلَمْ أَدْخُلْ عَلَى الجُنَيْدِ، وَخَرجْتُ وَلَمْ أَشْرَبِ

457- كلام أقرب إلى العامية المغربية الحالية

458- كذا في الأصل. وتسند الحكاية إلى محمد بن خفيف (أبو عبد الله الشيرازي)

459- زاد اليافعي في روض الرياحين...م.س.، ص 118 : «يعني جدة الإرادة وشدة المجاهدة، واطراح ما سوى الله تعالى»

الماءَ إلى رِبانَة[460]، وكُنْتُ عَلى طَهارَتي، فَرَأَيْتُ ظَبْياً [في البَرِيَّة] [461] عَلى رَأْسِ بِئْرٍ وَهُوَ يَشْرَبُ، وكُنْتُ عَطْشاناً، فَلَمَّا دَنَوْتُ إلى البِئْرِ، وَلّى الظَّبْيُ، وَإذَا الماءُ في أَسْفَلِها، فَمَشَيْتُ وقُلْتُ : يا سَيِّدي ! مَالي [عِنْدك] [462] مَحَلُّ [هذا] الظَّبْي؟!، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفي هاتِفاً : جَرَّبْناكَ ما صَبَرْتَ. ارْجِعْ وَخُذِ الماءَ، فَرَجَعْتُ فَإذا البِئْرُ مُلِئَ مَاءً، فَمَلأْتُ رَكْوَتي -وكُنْتُ أَشْرَبُ مِنْهَا وَأَتَطَهَّرُ- إلى القَرْيَةِ[463]، /141/ وَلَمْ ينْفَذْ. وَلَمَّا اسْتَقَيْتُ، سَمِعْتُ هاتِفاً يَقولُ : إنَّ الظَّبْيَ جَاءَ بِلا رَكْوَةٍ ولا حَبْلٍ، وَأَنْتَ جِئْتَ مَعَ الحَبْلِ وَالرَّكْوَةِ. فَلَمَّا رَجَعْتُ مِنَ الحَجِّ دَخَلْتُ الجَامِعَ، فَلَمَّا وَقَعَ بَصَرُ الجُنَيْدِ عَلَيَّ، قَالَ لِي : لَوْ صَبَرْتَ لَنَبَعَ الماءُ مِنْ تَحْتِ رِجْلِكَ. لَوْ صَبَرْتَ صَبْرَ سَاعةٍ[464]. قَالَ مُحَمَّد : وكَذَلِكَ الآخِذُ لِلْوَحْشِ، لَوْ صَبَرَ عَلَى أَخْذِه، لرَأَى عَجَباً مِنْ ذَلِكَ[465].

460- لعلها زبالة إحدى قرى المدينة حسب الروض المعطار، (ص 284)، أو إنها تقع قرب الكوفة حسب معجم البلدان لياقوت الحموي، ج3/129 ويقول المقدسي أن بها «آبار عجيبة في الصخر وعدة آبار صغار» أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار التراث العربي، بيروت، 1987، ص 207

461- زيادة من روض الرياحين.م.س.

462- زيادة من روض الرياحين..م.س.

463- في روض الرياحين : إلى المدينة

464- في روض الرياحين : لو صبرت ساعة لنبع الماء من تحت قدميك. وتكررت الحكاية باختلاف في اللفظ على الصفحة 137

465- انظر هذه الحكاية في : روض الرياحين في حكاية الصالحين ....م.س.، ص 118

76= ابْنُ الرَّمَّامَة [466]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ جعفر؛ يُعْرَفُ بِابنِ الرَّمَّامَةِ. كَانَ منَ الفُقَهاءِ البَارِعينَ [467]، مَعَ عَقْلٍ رَزِينٍ، وَوَرَعٍ مَتِينٍ. وكَانَ منْ كِبارِ الشُّيُوخِ، وكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِاللهِ تَعَالَى، وَمَعْرِفَةٌ ويَقِينٌ. انْتَفَعَ بِصُحْبَتِهِ جَمَاعةٌ منَ النَّاسِ. وَأَوْصَافُهُ كُلُّها حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ، مُهاباً فِي نَفْسِهِ؛ لا يَكادُ أحَدٌ يَنْطِقُ فِي مَجْلِسِهِ بِغَيْرِ الصَّوابِ. وكَانَ [يَغْلِبُ] عَلَيْهِ الحَدِيثُ، وَيَتَكَلَّمُ عَلَى فِقْهِهِ، نَزِيهَ النَّفْسِ، مُنْقَبِضاً عَنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيا؛ لا يُرى إِلَّا فِي مَسْجِدِهِ الَّذِي عِنْدَ دارِهِ، جَالِساً لإِقْراءِ الحَدِيثِ وَالإِفَادَةِ. فَإِذا انْقَضى المجْلِسُ عَادَ إِلى مَنْزِلِهِ، فلا يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ، وَيَرْكَعَ فِي مَنْزِلِهِ /142/ مَا قُدِّرَ لَهُ. وَيَخْرُجُ عَلَى طَهَارَةٍ، ويَجْلِسُ فِي مَجْلِسِهِ. وكَانَ كَثِيرَ الحَياءِ، وَقُورَ المجْلِسِ. وَرُبَّما طالَ المجْلِسُ إِلى قُرْبِ الزَّوالِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، والشَّيْخُ عَلَى حالِهِ، وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى الثَّمانِينَ. وكَانَ فِي وَقْتٍ يُقْرَأُ عَلَيْهِ كِتابُ «الإِحْيَاءِ» لأَبِي حامِدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ يَظْهَرُ عَلَيْهِ عِنْدَ

466- أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي، المعروف بابن الرمامة، ولد بقلعة بني حماد سنة 478 هـ أو 479هـ/1085-1086م وتوفي بفاس سنة 567 هـ./1171م ودخل الأندلس تاجراً وطالباً للعلم وعاد إلى فاس فتولى قضاءها سنة 533 هـ وتلقي ترجمة ابن عبد الملك المراكشي له ضوء على مسار حياته العملية والمهنية. انظر : **الذيل والتكملة**، 8/325-328/؛ ابن الأبار، **التكملة**، ط .الهراس، ج 2، ص 158؛ **التشوف**، 96-97؛ ابن الزبير، **صلة الصلة**، تراجم الغرباء، ص502 - 503 ضمن الجزء الثامن من **الذيل والتكملة**.أو ط. الهراس، ج3، ص 21-22؛ **سلوة الأنفاس**، 120/2(يقول الكتاني أنه «كان غير صالح للخطة [القضاء] لضعفه فلم تحمد سيرته»؛ لكن الأمر الأكثر احتمالاً في نظرنا أن عزله سنة 535 هـ جاء في إطار سياسة المرابطين القاضية بفصل الموظفين الذين لا يتقاسمون مع السلطة العداء للمتصوفة.

467- يقول ابن عبد الملك المراكشي بعد ذكر شيوخ ابن الرمامة وتلاميذه «كان حافظاً للفقه نظاراً فيه بارعاً في معرفة أصوله ماهراً في استنباط معانيه، شافعي المذهب..». **الذيل والتكملة**، 8/326-327

سَماعِهِ إيَّاهُ حالَةُ تَخشُّعٍ وبُكاءٍ، وَيَمْشِي عَلَى الكِتابِ[468].

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَسَمِعْتُهُ فِي بَعْضِ مَجَالِسِهِ يَقولُ، إمَّا عَنْ نَفْسِهِ أوْ عَنْ مَنْ حَدَّثَهُ، الشَّكُّ مَعي[469]، أنَّهُ دَخَل عَلَى الفَقيهِ ابْنِ النَّحْوِيِّ[470] يَوْماً فِي مَنْزِلِهِ، فَوَجَدَ فِي بَيتِ كُتُبِهِ وَجَوانِبُ البَيْتِ مِنْ جِهاتِهِ كُلِّها مَمْدُودَةٌ ألْواحاً مُرْتَفِعَةً بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ، وَعَلَيْها الكُتُبُ، وبَيْنَ يَدَيْهِ كُرْسِيٌّ عَلَيْهِ أسْفارٌ جَديدةُ التَّسْفيرِ. قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : ما هَذِهِ الأسْفارُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَقَالَ لِي : هَذَا كِتابُ "الإحْياءِ" لأبي حَامِدٍ. ولوْ اقْتَنَيْتُهُ قَبْلَ هَذِهِ الكُتُبِ

468- ذكر ابن الزبير أن ابن الرمامة «اختصر كتاب الاحياء لأبي حامد»، **صلة الصلة**، قسم الغرباء، ص 502، أو **صلة الصلة**، ط. الهراس، ج 3، ص 22

469- كذا في الأصل. ولعلها : مني

470- هو أبو الفضل يوسف بن محمد ابن يوسف القيرواني المعروف بابن النحوي، من قلعة حماد وأصله من توزر، دخل سجلماسة وفاساً ثم عاد إلى القلعة وبها مات سنة 513 هـ/1119م. كان من أكبر المدافعين عن كتاب «إحياء علوم الدين» «ولما أفتى فقهاء أهل المغرب بإحراق كتب الغزالي وأمر السلطان باحراقها انتصر لأبي حامد، رحمه الله، وكتب إلى السلطان في ذلك» : **التشوف**، عدد 9 ص 95-101؛ **الذيل والتكملة** 8/ 434 **جذوة الاقتباس**، عدد 643، ص 552-553؛ ابن مريم ، **البستان**، 299-304؛ **القرطاس**، 33-34؛ **جنى زهرة الآس**، 96؛ **نيل الابتهاج**، 329؛ **شجرة النور الزكية**، ص 126؛ ابن الأبار، **التكملة**، ط. الهراس، ج4، ص 225-226؛ **تحفة القادم**، 8؛ **خريدة القصر**، ق 1، ص 325؛ وقد ألف ابن النحوي تآليف وصلنا منها قصيدة «**المنفرجة**» الشهيرة المشتملة على كثير من الدقائق والتي مطلعها :

اشتدي أزمة تنفرجي # قد آذن ليلك بالبلج

وقد حظيت «المنفرجة» بعناية العلماء والأدباء فخمسوها وشرحوها، (انظر : **سلك المقال**.. م.س. ص 90، هامش 2) ومن أهم شروحها «الأضواء البهجة في دقائق المنفرجة» لأبي يحيى زكريا الأنصاري المعروف بشيخ الإسلام والمتوفى سنة 926 هـ. والتي توجد نسخة مخطوطة منها في مكتبة برلين بألمانيا، وبآخرها وثيقة عبارة عن وصية على لسان أبي الفضل يوسف ابن النحوي. وقد قدم لها ونشرها الدكتور ابراهيم القادري بوتشيش («وثيقة في التصوف بالغرب الإسلامي : وصيــة أبي الفضل يوسف بن محمد النحوي التوزري»، **مجلة المناهل**، عدد 53، 1996، ص 298-301(وقد ورد خطأ أن وفاة ابن النحوي كانت سنة 413 هـ)

لمْ أكْسَبْ كِتاباً مِنْهَا [471]. قَالَ مُحَمَّدٌ : وكَانَ الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ كَثِيراً ما سَمِعْتُهُ يُنْشِدُ فِي مَجْلِسِهِ :

[البسيط]

الحَمْـدُ لِلَّـهِ ثُـمَّ الحَمْـدُ كَـمْ ذاعَـن # المَـوْتُ مِـنْ سَـاهٍ ومِـنْ لاهِ

مَاذا يُعايِنُ ذُو العَيْـلَين [472] مِنْ عَجَبٍ # عِنْدَ الخُروجِ مِنَ الدُّنْيَا إلى اللَّهِ.

/143/ أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ، قاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّرِيفُ، صَاحِبُنا وَصَدِيقُنَا، أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ الفَقِيهَ ابْنَ الرَّمَّامَةِ يَقولُ : كَانَ الفَقِيهُ ابنُ النَّحْوِي، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَدِ انْتَسَخَ كِتابَ «الإحْياءِ» فِي ثَلاثِينَ جُزْءاً [473].

وكَانَ الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، عَدِيمَ القَرِينِ فِي وَقْتِهِ صِيانَةً وَعِفَّةً، وانْقِطاعاً عَنْ أَسْبابِ الدُّنْيا، وَغِنى النَّاسِ فِيهِ مِنْ شَأْنِها [474]. وَتُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، يَوْمَ الخَمِيسِ، الحَادِي وَالعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ الفَرْدِ، عامَ سَبْعَةٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمائَةٍ [475]. وَأَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ مَوْلِدَهُ فِي شَهْرِ رَجَبٍ، عامَ ثَمانِيَةٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعمائَةٍ [476]. وَقَالَ إنَّهُ أَخْبَرَهُ الفَقِيهُ بِذَلِكَ.

471- يقول ابن مريم كان «له اعتناء تام بإحياء الغزالي» وكان ابن النحوي يقول عن الإحياء: «وددت أني لم أنظر في عمري سواها» (التشوف، ص 96) وكذلك البستان، 301

472- كذا في الأصل، ولعلها : «العينين»، أو«العيبَين»

473- ويضيف ابن الزيات قائلاً : «فإذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزءا» (التشوف 96) وكذلك ابن مريم، البستان، 301

474- ومع ذلك فإنه «دخل الأندلس تاجراً، وطالباً للعلم، وربما كان ذلك في أيام شبابه.

475- في الذيل والتكملة /8، ص 327: توفي يوم الإثنين لتسع بقين من رجب سبع وستين وخمسمائة، وصلى عليه القاضي بها حينئذ أبو حفص بن عمر بوصية منه بذلك إليه، ودفن بمقربة باب الجازيين. وكان الحفل في جنازته عظيماً والثناء عليه جميلاً والأسف لفقده كثيراً طويلاً، ورأى محمد بن جعفر الكتاني في «بعض المقيدات أن ضريحه بباب الحمراء» سلوة الأنفاس، ج121/2

476- في الأصل : خمسمائة، وهو خطأ. أما ابن عبد الملك المراكشي فيقول «ولد في رجب أو شعبان – وهو كان الغالب على ظنه – سنة تسع وسبعين وأربعمائة» الذيل والتكملة 8/ ص 327

77= أَبُو عِمْران، مُوسَى الطَّرَّاز

وَمِنْهُمْ الحَاجُّ أَبُو عِمْرانَ مُوسَى، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، الطَّرَّازُ [477]. كَانَ عَابِداً مُتَبَتِّلاً صَوَّاماً قَوَّاماً قَليلَ الكَلامِ، مُتَصَوِّناً فِي خِدْمَتِهِ فِي نَهارِهِ، قائِماً لَيْلَهُ، وكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّيْخ أَبِي مَدْيَنَ. عَرَفْتُهُ، وكَانَ لَهُ صَوْتٌ حَسنٌ بِالأذانِ، لا يَكَادُ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا بَكَى لِطيبِ صَوتِهِ، وَلا سِيَّما إِذَا قَامَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَدْعُو وَيَصيحُ، ثُمَّ يُؤَذِّنُ. نَفَعَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ.

أَخْبَرَنِي صَدِيقُنَا أَبُو القاسِمِ، عَبْدُ الرَّحْمَانِ، ابْنُ الشَّيْخِ [...] [478]، وَفَّقَهُ اللَّهُ، /144/ عَنْ مَنْ حَدَّثَهُ مِنَ الثِّقاتِ أَنَّ الشَّيْخَ الطَّرَّازَ كَانَ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَوَقَعَ عِنْدَ نَصْرانِيٌّ طَبيبٍ، وَأَقامَ عِنْدَهُ أَعْواماً يُصَرِّفُهُ فِي حَوائِجِهِ، فَنَامَ النَّصْرانِيُّ فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيالِي، فَرأى النَّبِيَّ، (ﷺ)، فِي نَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُ : أَطْلِقْ فُلاناً. قَالَ : فَانْتَبَهَ النَّصرانِيُّ وارْتاعَ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ رَجَعَ إِلى نَوْمِهِ فَرَأى شَخْصاً بِيَدِهِ حَرْبَةٌ، وَقَالَ لَهُ : كُلِّمْتَ فِي أَنْ تُطْلِقَ فُلاناً فَلَمْ تَفْعلْ. لَئِنْ لَمْ تُطلِقْهُ لأَقْتُلَنَّكَ بِهَذِهِ الحَرْبَةِ، قَالَ : فَانْتَبهَ النَّصْرانِي مَذْعوراً، وَدَعى لَهُ وَزَوَّدَهُ، وَأَطْلَقَهُ إِلى بِلادِهِ، فَوَصَلَ سَالماً، وَالحَمْدُ لِلَّهِ. نَفَعَ اللَّهُ بِهِ وَغَفَر لَهُ. وَلَمَّا وَصَلَ إِلى مَدينَةِ فاس، أَخَذَ فِي الجِدِّ وَالعِبَادَةِ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَ. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

477- قرأها د. محمد بنشريفة : الطرار، بينما أثبتها المرحوم محمد المنوني (لقطات دفينة من كتابين في المناقب، ضمن كتاب التاريخ وأدب المناقب، ...م.س.، ص، ص 12) : الطراز

478- فراغ في الأصل. ومن بين الذين أسند التميمي أخباره لهم هناك : أبو القاسم عبد الرحمان بن عمر، وأبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله القضاعي، وأبو القاسم عبد الرحمان بن أبي بكر، وأبو القاسم عبد الرحمان بن الفقيه عيسى بن يوسف الأزدي

78= أَبُو الْحَسَنِ الزَّرْهونِيّ

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الزَّرْهُونِيّ. رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. كَانَ مِنْ جِلَّةِ العُبَّادِ، وَمِنْ عِلْيَةِ الزُّهَّادِ. زَهِدَ عَنْ وُجُودٍ، وانْقَطَعَ إلى اللهِ فَآواهُ اللهُ، وَتَوكَّلَ عَلَيْهِ فَكَفَاهُ. وكَانَ كَثِيرَ البُكاءِ وَالتِّلاوَةِ، حَزِيناً لا تَراهُ إلاَّ كأنَّهُ حَديثُ عَهْدٍ بِمُصيبَةٍ. قَالَ مُحَمَّدٌ : وَهَذا إِنَّما يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِالطَّريقِ إِلى اللهِ تَعَالَى.

قَالَ أَبُو عَلِيّ الدَّقَّاق[479]، /145/ رَحِمهُ اللهُ : «صَاحِبُ الحُزْنِ يَقْطَعُ مِنْ طَرِيقِ اللهِ تَعَالَى فِي شَهْرٍ مَا لا يَقْطَعُهُ مَنْ قَدْ فَقَدَ حُزْنَهُ فِي سِنِينَ»[480]. وفي الخَبرِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ.

أَنْشَدَنِي شَيْخُنا الفَقِيهُ أَبُو حَفْصٍ [ ][481] [بِالحَرمِ] الشَّرِيفِ مِنْ مَكَّةَ، زَادَها اللهُ شَرَفاً :

[الطويل]

سَأَلْتُ طَبِيبِي عَنْ دَوائِي فَقَالَ لِي # تَمُوتُ فَتَنْجُو أَوْ تَعِيشُ فَتَحْزَنَا

فَإِنْ مِتَّ مِنْ وَجْدِي ظَفِرْتَ بِجَنَّتِي# وإنْ عِشْتَ مَحْزوناً كَتَبْتُكَ مُحْسِنَا

قَالَ مُحَمَّدٌ : فَكَذلِكَ المُريدُ. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَحْزُوناً طُولَ أَيَّامِ الدُّنْيا، وَلا يَسْكُنْ لَهُ حَزَنٌ حَتَّى يُشاهِدَ حَضْرَةَ الجَلالِ فِي دارِ الفَرْدانِيَّةِ بِعَيْنِ الأَبَدِيَّةِ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ)»[482].

479-هو الشيخ أبو علي الحسن بن علي النيسابوري المعروف بالدقاق، كان إمام وقته؛ أستاذ عبد الكريم القشيري، انظر الرسالة القشيرية ، في مواضع عدة.

480- ورد هذا القول في الرسالة القشيرية، م. س. ص 138

481- فراغ في الأصل مقدار كلمتين، ولعله ابن عبد المجيد الميالجي (أبو حفص) الوارد ذكره ضمن شيوخ التميمي الذين لقيهم بمكة المكرمة. انظر : الذيل والتكملة، 353/8

482- سورة فاطر، 34

79= أبُو الرَّبيعِ سُلَيْمَان

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو الرَّبيعِ سُلَيْمَانُ، رَحِمَهُ اللَّه. كَانَ مُتَقَلِّلاً مِنَ الدُّنْيا، زَاهداً فِيها. وكَانَ يَسْكُنُ فِي خَيْمَةٍ صَغيرَةٍ مِنْ قَصَبٍ ابْتَنَاهَا فِي رَحْبَةِ الحُوتِ تَحْتَ سَقْفٍ مِنَ البُروزِ [483] الخارجَةِ هُنَاكَ. وكَانَ لا يَخْرُجُ مِنْهَا إلاَّ لحَاجَةِ الإنْسانِ وَلِلصَّلاةِ، ولا يُخالِطُ أَحَداً /146/ ولا يُجالِسُهُ، مُشْتَغِلاً بِوَقْتِهِ؛ لا يَدْري ما النَّاسُ فِيهِ مِنَ الدُّنْيا. وكَانَ يَتَقَوَّتُ بِحِرْفَتِهِ؛ كَانَ يَعْمَلُ المَرَاوِحَ منَ العَزَفِ وَيتَقَوَّتُ مِنْ ثَمَنِها عَلَى قِلَّتِهِ. ولَقَدْ كَانَ يُذَكِّرُني بِحالِهِ قَوْلُ القائِلِ :

[الطويل]

أَلاَ رُبَّ مَنْ تَلْقاهُ مَلْبَسُهُ خَيْشٌ [484] # أُغَيْبِرُ مَأْوَاهُ المَساجِدُ والفَحْشُ [485]
تَغَرَّبَ [486] كَيْ يَخْفَى وَيَخْمُلَ ذِكْرُهُ # صَبُورٌ عَلَى حَمْلِ الأَذَى مَا لَهُ طَيْشُ
تَنَعُّمُهُ ذِكْرُ العَظِيمِ وأُنْسُهُ # بِهِ وَحْدَهُ عَنْ ذِكْرِهِ الدَّهْرَ لا يَعْشُو
إِذَا مَا رَآهُ النَّاسُ تَخَافَى عَلَيْهِمُ # وَلَوْ عَرَفُوا مِقْدارَهُ فِي السَّمَا هَشُّوا
كَرِيماً عَلَى مَوْلاهُ عِلْماً بِأَنَّهُ # مُحِبٌّ [لأهل الأرض] [487] لَيْسَ لَهُ غِشٌّ.
فَكَمْ فِي جِنَانِ الخُلْدِ مِنْ غُرْفَةٍ لَهُ # مُفَتَّحَةٍ فِيها الأَسِرَّةُ والفَرْشُ.
وَحُورٌ وَوِلْدانٌ إِذَا بُشِّرُوا بِهِ # وَقِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ لِهَذا الوَلِي بَشُّوا.
وَقَالُوا لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً # قَرَرْتَ بِنَا عَيْناً وَطَابَ لَكَ العَيْشُ.

483- في لسان العرب : البراز = المتسع من الأرض

484- الخيش : ثياب رِقاقُ النسج غِلاظُ الخيوط، تُتّخذ من مُشاقة الكتان ومن أردائه، وربما اتخذت من العَصْبِ، والجمع أخياش ؛ انظر لسان العرب، 301/6

485- كذا في الأصل. ولعلها والحُشُّ، أي النخل المجتمع، أو البستان أو المتوضّأ (موضع قضاء الحاجة) والجمع حشوش. انظر لسان العرب، 286/6

486- في الأصل : (تغرّبَ) ولا يستقيم بها الوزن

487- فراغ في الأصل، ولعله ما أثبتناه

80= أَبُو الحَسَنِ رُشَيْد

وَمِنْهُمْ أَبُو الحَسَنِ رُشَيْدٌ[488]. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. مِنْ أَصْحَابِ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ، وكَانَ يُصَلِّي بِهِ إِذَا اجْتَمعَ عِنْدَهُ الأَصْحَابُ. وكَانَ طَيِّبَ النَّغْمَةِ بِالقُرآنِ، /147/ خَاشِعاً حَاضِرَ القَلْبِ، لا يَكَادُ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ خَشَعَ وَبَكَى. وكَانَ مُجْتَهِداً قَوَّاماً. صَوَّاماً. ظَهَرَتْ لَهُ بَرَاهِينُ مِنْ نورٍ يُضِيءُ عَلَيْهِ إِذَا صَلَّى. وَمُروءَتُهُ وَدِينُهُ كَثِيرٌ. نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.

81= أَبُو عِمْرَان، مُوسَى ابْنُ إِبْرَاهِيم

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الفَقِيهُ الخَطِيبُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَبُو عِمْرَانَ، مُوسَى ابْنُ إِبْرَاهِيمَ[489]. أَصْلُهُ مِنْ بَرِّ الأَنْدَلُسِ، ونَشَأَ بِفاسَ، وَقَرَأَ بِها، وَصَحِبَ الشَّيْخَ أَبا مَدْيَنَ. وكَانَ مِنْ جِلَّةِ أَصْحَابِهِ، وَمِمَّنْ يُقَدِّمُهُ الشَّيْخُ لِلصَّلاةِ بِهِ. وكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ بالقُرآنِ؛ إِذَا سَمِعْتَهُ عَلِمْتَ أَنَّهُ مِمَّنْ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى. وفي مِثْلِهِ قَالَ رَسولُ اللَّهِ، (ﷺ) : «إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتاً بِالقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ، حَسِبْتَهُ يَخْشى اللَّهَ عزَّ وجلَّ»[490]. وَفي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْهُ، عَلَيْهِ السَّلامُ، أَنَّهُ قَالَ : «مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتاً بِالقُرْآنِ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ، أُرَيْتَه

488- لا ندري هل كانت تربطة علاقة أسرية أو عائلية بالشيخ أبي العباس أحمد بن رشيد الذي سبقت ترجمته (رقم40)

489- لعله «الفقيه الصالح الورع موسى المعلم» الذي عين خطيباً لجامع القرويين باستخلاف أبي محمد يسكر، ويوصف بأنه «كان له صوت شجيّ حسن يُبكي كل من سمعه يقرأ القرآن». زهرة الآس، 59؛ جذوة الاقتباس، 58

490- أخرجه ابن ماجة بسند ضعيف (الغزالي، إحياء علوم الدين، ج. 1 ص 286) ؛الزهد ويليه كتاب الرقائق، ج 1، ص 38؛ الحال أعلام السادة المتقين..م.س.، ج 4، ص 521؛ المغنى في حمل الأسفار للعراقي، تحقيق عيسى الحلبي، ج 1، ص 287

أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ» [491]

قَالَ مُحَمَّدٌ : /148/ وَلَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ أَبُو عِمْرَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، يَسْتَعْمِلُ [ ] [492] مِنْ تَقْوى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فِي السِّرِّ والعَلانيةِ، والوَرَعِ فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ، حَافِظاً لِلِسَانِهِ، مُمَيِّزاً لِكَلامِهِ. إِنْ تَكلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ إِذَا رَأَى الكَلامَ صَوَاباً. وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِعِلْمٍ إِذَا رَأَى السُّكُوتَ صَوَاباً؛ قَلِيلَ الخَوْضِ فِيما لا يَعْنِيه، يَخَافُ مِنْ لِسانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ مِنْ عَدُوِّهِ؛ يَحْبِسُ لِسَانَهُ كَحَبْسِهِ لِعَدُوِّهِ لِيَأْمَنَ مِنْ شَرِّهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ فِيما يَضْحَكُ فِيهِ النَّاسُ. وَإِنْ أَمَرَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُوافِقُ الحَقَّ تَبَسَّمَ. لا يَغْتَابُ أَحَداً، وَلا يَحْقِرُ أَحَداً، وَلا يُسِيءُ الظَّنَّ بِأَحَدٍ. قَدْ جَعَلَ القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ دَلِيلَهُ إِلى كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ، حَافِظاً لِجَميعِ جَوَارِحِهِ. إِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلِمَ، وَلا يَظْلِمُ، وإِنْ ظُلِمَ عَفَا، وَلا يَبْغِي، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ. مُتَواضِعٌ فِي نَفْسِهِ؛ إِذَا قِيلَ الحَقُّ قَبِلَهُ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ مِنْ كَبِيرٍ. يَطْلُبُ الرِّفْعَةَ مِنَ اللهِ عَزَّ، وجَلَّ لا مِنَ المخْلوقِينَ. فَهَذِهِ كَانَتْ أَخْلاقَهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، ونَفَعَنا بِصُحْبَتِهِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَكلَّمُ مَعَهُ فِي كَثْرَةِ لِينِهِ، فَكَانَ يَقولُ لِي : عَلَى هَذَا طُبِعْتُ. وَلَقَدْ كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالى، وَفَّاءً لِلْقُرآنِ حَقَّهُ. فَكَانَ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «يَنْبَغِي لِحَامِلِ القُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرونَ، وَبِوَرَعِهِ[493] إِذَا النَّاسُ يَخْلِطُونَ، وَبِتَواضُعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالونَ، وبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرحُونَ، وَبِبُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخُوضونَ» [494]؛ نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.

491- حلية الأولياء، 64/3

492- فراغ في الأصل لعلها «زاد»

493- في حلية الأولياء : وبصمته

494- حلية الأولياء، ج 1/ ص130؛ مع بعض الاختلافات الطفيفة؛ وكذلك شعب الإيمان، ج 2/ ص290؛ الهم والحزن، ج1/ ص86

/149/ [قال : كـ] ـان بَعْضُ الجيرانِ لأبِي عِمْرانَ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالى، جَفَا عَلَى أبِي [عِمْران]، وَشَتَمَهُ وَقَالَ لَهُ فِي بَعْضِ كَلامِهِ لَهُ : ما هُو إلّا يَهودِيّ. فَأعْرَضَ عَنْهُ الشَّيْخُ أبُو عِمْرانَ ولَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ جَواباً، بَلْ حَلُمَ عَنْهُ تَخَلُّقاً وتَأسِّياً بِمَنْ سَلَفَ مِنَ الصَّالِحينَ. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أيّامٍ، أخِذَ وَلَدُ الشّاتِمِ فِي تُهْمَةٍ اتُّهِمَ بِها، وَجَعَلَهُ الحَاكِمُ فِي السِّجْنِ. فَجاءَ الشّاتِمُ لِلشَّيخِ أبِي عِمْرانَ مُسْتَغيثاً بِهِ وَمُسْتَشْفِعاً بِهِ فِي وَلَدِه، وَأخَذَ يُثْني عَلَيْهِ وَيُحْسِنُ جِوارَهُ. فَمَشى الشَّيْخُ، وَوَقَفَ لِلحاكِمِ، وكَلَّمَهُ فِي وَلَدِ ذلِكَ الرَّجُل، وَأطْلَقَهُ. وهَذه كَانَتْ خُلُقَهُ، نَفَعَهُ اللّهُ تَعَالَى بِذلِكَ، وَنَفَعَ بِهِ.

تمَّ الكتابُ بحَمْدِ اللهِ تَعَالى وعَونِه. وَصَلّى اللّهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِه. وكَانَ الفَراغُ مِنْ نَسْخِهِ فِي يَوْمِ الأرْبِعاءِ، العاشِرِ مِنْ شَهْرِ جُمادى الأولى، عَام ثَلاثَةَ عَشَرَ وَثَمانِمائَةٍ [1410م]. عَرَّفَنا اللّهُ تَعَالى خَيْرَهُ وبَرَكَتَهُ؛ بِرَسْمِ خِزانَةِ القائِدِ المُعَظَّم، أبِي النَّجاة، سالِمِ ابْنِ القائِدِ المُفَدّى المرْحوم، أبِي النَّجْمَةِ، بْنِ حَسّانَ بْنِ مَسْعودٍ المَغْراوِيّ.، لَطَفَ اللّهُ تَعَالى بِه، اغْتِناماً لِبَرَكَتِهِ وَالتِماساً لِفَضْلِه. نَفَعَهُ اللّهُ بِقَصْدِه".

/150/ الحَمْدُ لِلّهِ وَحْدَهُ، وَصَلّى اللّهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْليماً.

هَذا الكِتابُ وَرِثَهُ مُحَمَّدُ ابْنُ أبِي حاجٍ مِنْ أبيهِ الشَّيْخِ المرْحومِ، قاسِمِ ابْنِ أبِي حاج. وَتَخَلَّفَهُ لِبَيْتِهِ أحْمَدُ ابْن أبِي حاجٍ الفاسِيّ. وكَتَبَهُ بِخَطِّهِ وَشَهِدَ، انْتَهى.

الملحق

1) - تراجم مستخرجة من كتاب «الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط (ت. 1109 هـ/1697م)

82= أبو مَيْمونَة، دَرّاس بْنُ إِسْماعيل

وَمِنْهُم[1] الشَّيْخُ أَبُو مَيْمُونَة، سِيدي دَرّاس بْن إِسْمَاعِيل، دَفِين خَارِجَ بَاب الفُتوحِ. كانَ، رَحِمَه الله، مِمَّنْ تَقَدَّمَ عَصْرَهُ، وَشُهِر فَضْلُهُ. [وَمَسْجِدُهُ الذي بِمَصْمُودَةَ مِنْ عُدْوَةِ الأَنْدَلُسِ بِمَدِينَةِ فَاسَ، حَرَسَها الله، وَبِه يُعْرَفُ المَسْجدُ إِلى الآن. لَهُ رِحْلَةٌ إِلى المَشْرِق، لَقِيَ جُمْلَةً[2] مِنَ العُلَماءِ وَرَوَى الحَديثَ، وَقَرأَ الفِقْهَ. وَلما رَجَعَ مِنَ المَشْرِقِ، كان يُدَرِّسُ الفِقْهَ بِمَسْجِدِهِ المَذْكور].

قالَ الشيخُ أَبو عَبْدُ اللهِ التَّميميُّ : أَخْبَرَني الفَقِيه الحاجُّ أَبو عبْد الله، مُحَمد بْن إِبْراهيم الفارسيِّ، جارُنا، عَنِ الشَّيخ الفَقيهِ أَبي الحَسَنِ، عَلي بْنِ مُحَمَّد بْن قاسِمٍ، رَحِمَهُ اللّهُ، قال : بَلَغَنا عَنْ أَشْياخِ مَدينَةِ فاسَ أَنَّ أَبا مَيمونَةَ، دَرّاس بْن إِسْماعيلَ، كانَ

1- هكذا في نسخة الفقيه المنوني المخطوطة من الروض العطر الأنفاس، وهو ما يتمشى مع طريقة تقديم تراجم التميمي في القطعة. أما الكتاب المطبوع فيبدأ ترجمة دراس بكلمة : «وهو».

2- في الكتاب المطبوع (ص50) : جلة

يَتَجَمَّعُ[3] عَلَيْهِ طَلَبَةُ العِلْمِ لِقِراءَةِ الفِقْهِ بِمَسْجِدِهِ المَذْكُورِ، وكانَ يُلْقي عَلَيهِم الدَّرْسَ بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ. وكانَ بِالمَسْجِدِ مُؤَذِّنٌ يَقومُ بِهِ، ويَغْلِقُهُ، ويُؤَذِّنُ فيهِ لأوْقاتِ الصَّلَواتِ. فَذَكَرَ المُؤَذِّنُ أَنَّهُ كانَ بَعْدَ صَلاةِ العِشاءِ الأخيرَةِ يَغْلِقُ بابَ المَسْجِدِ، فَإِنْ جاءَ في السَّحَرِ، وَجَدَهُ عَلى خِلافِ ما تَرَكَهُ، ويَجِدِ الفَقيهَ دَرّاس بْن إِسْماعيل يُصَلّي.

قالَ المُؤَذِّنُ : فَلَما كانَتْ لَيْلَة، اخْتَبَأْتُ لَهُ في المَسْجِد، وَأَغْلَقْتُهُ عَلَيَّ، كَما كُنتُ أَفْعَلُ. فَلَمّا كانَ في آخِرِ اللَّيلِ فَإِذا الفَقيهُ قَدْ أَقْبَلَ، وَدَفَعَ البابَ، فانْحَلَّ لَهُ مِنْ غَيْرِ واسِطَةٍ، وَدَخَلَ القِبْلَةَ، وَأَخَذَ يُصَلّي. فَبَيْنَما هُوَ يُصَلّي وَأَنا في مَوْضِعٍ لا يَعْرِفُ بي، إِذْ جاءَ رَجُلٌ آخَر، فَدَفَعَ البابَ، فَانْحَلَّ لَهُ. وَدَخَلَ حَتّى وَقَفَ عَلى الشَّيْخِ وَهُو يُصَلّي، فَأَوْجَزَ الشَّيْخُ في صَلاتِهِ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ وَأَسَرَّ في أُذُنِهِ، وَانْصَرَفَ. فَلَمّا قَرُبَ الصَّباحُ، خَرَجْتُ مِنَ المَسْجِدِ، وَأَشْعَرْتُ[4] بِنَفْسي أَنّي كَما وَصَلْتُ، وَأَذَّنْتُ. فَلَمّا طَلَعَ الفَجْرُ، أَقَمْتُ الصَّلاةَ، وَصَلّى الشَّيْخُ، وَانْصَرَفَ. وَلَمْ تَكُنْ عادَتُهُ، وَحَضَرَ جَماعَةُ [مِنَ][5] الطَّلَبَةِ الَّذينَ كانوا يَحْضُرونَ إِلَيْهِ، وَانْتَظَروهُ، فَلَمْ يَصِل. فَلَمّا طَلَعَ النَّهارُ، قَدَّموا واحِدا مِنْهُم، أَلْقى عَلَيْهِم الدَّرْسَ. فَلَمّا أَكْمَلوا ذَلِك، وَأَضْحى النَّهارُ، أَقْبَلَ الشَّيْخُ وَالعَرَقُ عَلى جَبينِهِ، وَالغُبارُ عَلى وَجْهِهِ، فَأَخْبَروهُ بِما صَنَعوا؛ فَحَسنَ لَهم ذَلِكَ، وَأَخَذَ الكُتُبَ، وَعَيَّنَ لَهُم الدَّرْسَ الَّذى يُلْقى عَلَيْهِم بَعْدَ ذَلِكَ، وَانْصَرَفَ.

قالَ المُؤَذِّنُ : فَتَبِعْتُهُ إِلى دارِهِ، وَأَرادَ الدُّخولَ، فَقُلْتُ لَهُ : لي إِلَيْكَ كَلامٌ. قالَ : فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّني كُنْتُ أَغْلِقُ بابَ المَسْجِدِ كُلَّ لَيْلَةٍ، وَأَنْصَرِفُ، فَإِذا جِئْتُ في السَّحَرِ، وَجَدْتُها عَلى خِلافِ ما تَرَكْتُها، فَلَمّا كانَ البارِحَة، اخْتَبَأْتُ في المَسْجِدِ بَعْد أَنْ أَغْلَقْتُهُ، فَلَمّا كانَ

3- في مخطوط المنوني : يجتمع

4- في مخطوط المنوني : واستغربت

5- زيادة من مخطوط المنوني

السَّحَرُ، أَقْبَلْتَ وانْحلَّ لكَ البابُ مِنْ غَيرِ واسِطةٍ، وَرَأَيْتُ الرَّجُلَ الَّذي جاءَكَ وَأَسَرَّ إِلَيْكَ. فَلَمَّا صَلَّيْتَ، انْصَرَفْتَ، ولَمْ تَكُنْ مِنْ عادَتِكَ، وَجِئْتَ بَعْدَ أَنْ تَعالى النَّهارُ. قالَ : فَقالَ لي : ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذي جاءَني وَأَسَرَّ إِلَيَّ، أَعْلَمَني أَنَّ بَعْضَ أَصْحابِنا بِالشَّامِ تُوفِّيَ، فَلَمَّا صَلَّيْتُ، مَشيتُ لأَحْضُرَ جَنازَتَهُ، وَانْصَرَفْتُ. لا تُخْبِرْ بِذَلِكَ عَنّي، ما دُمْتُ حَيّاً. قالَ المُؤَذِّنُ : فَما أَخْبَرْتُ ذَلِكَ حَتَّى تُوفِّي، رحمه الله.

أَخْبَرَني الشَّيْخُ الفَقيهُ، القاضي أبو موسى، عيسى بْن يوسُف الأزدِيّ، أنَّه بَلَغهُ عَنِ الثِّقةِ مِنْ أَشْياخِ البَلَدِ، أَنَّ بَعْضَ أَصْحابِ الفَقيهِ دَرّاس بنِ إسماعيلَ، كانَ يَسْكُنُ البادِيَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِحَمْلٍ مِنْ زَرْعٍ، وَقالَ لَهُ في وَصِيَّتِهِ مَعَ مَنْ حَمَلَ ذَلكَ الطعام : تَقولُ لِلفَقيهِ يَطْحِنُ لَنا في رَحى الماءِ ذَلكَ الحَملَ، لأنَّ المَرأةَ شَقَّ عَلَيها الطَّحْنُ. فَعَمَدَ أبو مَيمونَةَ، وَزَوْجَتُهُ وَخادِمَهُ، وَطَحَنوا ذَلكَ الحَملَ بِأَيْديهِم، وَبَعَثَ بِهِ إِلى صاحِبِه المَذْكورِ، فَلَمَّا كانَ بَعْدَ مُدَّةٍ، بَعَثَ إِلَيْهِ صاحِبُهُ المَذكورُ بِحَملٍ آخَرَ، وَقالَ لَهُ مَعَ الرَّسولِ : جاءَنا ذَلِكَ الحَملُ مِنْ أَطْيَبِ ما يَكونُ؛ فَلَعَلَّ يَطْحنُ لَنا هَذا الثّاني، فَفَعَلَ لَهُ الفَقيهُ مِثْلَ ما فَعلَ في الحَملَ الأوَّلَ. وَبَعَثَهُ إِلَيْهِ، وَقالَ لَهُ : إِنما طَحَنْتُ الحَملَ الأوَّلَ أنا وَأَهْلي وَخادِمي، وكَذَلكَ [الحَمل] [6] الثّاني. وَإِنما فَعَلَ ذَلكَ، رَحِمَهُ اللهُ، لما رَأى في رَحى الماءِ ما يَجِبُ التَّنَزُّهُ عَنْه. وكان عَلى غايَةٍ مِنَ الوَرَعِ.

وَأَخْبَرَني بَعْضُ أَشْياخي، مِنْ أَهْلِ البَلَدِ، أنَّهُ اسْتَعارَ حِماراً لِيَنْقلَ عَلَيْه حَملاً مِنَ الطَّعامِ [مِن البادِيةِ] [7] إِلى المَدينَةِ، وَبَعَثَ بِالحِمارِ مَعَ رَسولِه. فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسولُ إِلى البَلَدِ، حَمَلَ الطَّعامَ عَلى الحِمارِ، وَمَرَّ بِمَوْضِعٍ حَلال فيهِ مِنْ هَذا البَقْلِ الخُبَّيزِ. فَقَطَعَ مِنْهُ شَيْئاً، وَحَمَلَهُ عَلى حَملِ الطَّعامِ الَّذي عَلى الدابَةِ، حَتّى وَصَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ لمنْزلِ الفَقيهِ أبي

6- زيادة من مخطوط المنوني

7- زيادة من مخطوط المنوني

مَيْمونَةَ. فَلَما جاءَ وَقْتُ إفطارِه، قدَّمَ إلَيْهِ خُبْزاً وَشَيْئاً مِنْ ذَلِكَ البَقْل. فَقالَ : مِنْ أيْنَ لَكُمْ هذا؟ فَقالَتْ لَهُ عِيالُه : فُلانٌ جاءَ بِذَلِكَ عَلى حَملِ الطَّعامِ مِنْ مَوْضِعٍ حَلالٍ. فَقالَ : إنما اسْتَعَرْتُ الحِمارَ لأحْمِلَ عَلَيْه حَملَ الطَّعامِ، لا لأحْمِلَ عَلَيْهِ غَيْر ذَلِكَ. وَأبى أنْ يَأكُلَهُ، رَحِمَهُ اللّهُ. وَفَضائِلُهُ وكَراماتُهُ كَثيرةٌ، وَشُهْرَتُهُ أغْنَتْ عَنِ اسْتيفاءِ أخْبارِهِ [8].

هَكذا ذَكَرَ تَرْجَمَتَهُ الشَّيْخُ الفاضِلُ، المحَدِّثُ الحافِظُ، الروايَةُ المُؤَرِّخُ، أبو عَبْدِ ألله، التَّميمِيُّ، [وَصَدَّرَ بِهِ] [9] كِتابَ «المُسْتَفادِ».

[...] وَقالَ التَّميمِيُّ لما ابْتَدأَ بِهِ كِتابَهُ المَذْكورُ : فَمِمَّنْ كانَ عالماً في زَمانِه، وَإماماً في وَقْتِهِ وأوانِهِ، وَأبْتَدِىءُ بِهِ قَبْلَ غَيْرِه مِمَّنْ كانَ أقْدَم مِنْه لِعِلْمِهِ وَشُهْرَتِهِ بِالعِلْم وَالمعْرِفَةِ، والزُّهْدِ والعِبادَةِ» [10].

=83 أبو مُحَمَّدٍ، صالِحُ بْنُ مُحَمد بْنِ عَبْدِ اللّهِ ابن حِرزِهِمْ

[...] قالَ الشَّيْخُ أبو عَبد ألله التَّميمِيّ : «وكانَ خَيِّراً فاضِلاً وَرِعاً، مُسْتَجابَ الدَّعْوَةِ. رَحَلَ إلى المَشْرِقِ، وَحَجَّ وَانْقَطَعَ بِالشّامِ أعْواماً، وَاجْتَمَعَ بِالإمامِ أبي حامِدٍ الغَزاليّ، رَحِمَهُ اللهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ.

أخْبَرَني الشَّيْخُ أبو مُحَمَّدٍ، قاسِمُ بْن الشَّيْخِ إسْحاق إبْراهيم النَّفْزاويّ، رَحِمَهُ اللهُ، وَغَيْرُهُ مِنْ أهلِ فاسَ، عَنِ الفَقيهِ أبي الحَسنِ، عَلي بْنِ إسْماعيل بْن حِرزِهِم، أنَّ عَمَّهُ صالحاً، رَحِمَهُ اللّهُ، لما حَجَّ، زارَ بَيْتَ المَقْدِسِ، وَالتَقى بِالأبْدالِ السَّبْعَةِ، وَأقامَ مَعَهُم

8- في الكتاب المطبوع : خيره

9- ما بين المعقوفتين زيادة من مخطوط المنوني

10- الروض العطر الأنفاس، ص. 49-52 [ترجمته كذلك في: ترتيب المدارك، ج6، ؛ روض القرطاس، 37؛ سلوة الأنفاس، ج2، 175، ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 116؛ كفاية المحتاج، 1/ 205؛ جنى زهرة الآس، 20-22

[أيّاما] [11]، وكانَ منْ عادَتِهم أنْ يَتَقَدَّمَ لِلصَّلاةِ بِهِمْ واحِدٌ مِنْهُم في كلِّ يَوْمٍ؛ فَإذا صَلَّى بِهِم المَغْرب، بَعُدَ عَنِ المَوْضِعِ قَليلاً، ثُمَّ يَجيءُ بِما تُفْطِرُ عَلَيْهِ الجَماعَةُ، ولَيْسَ بِقُرْبِهِم بَلَدٌ وَلا قَرْيَةٌ وَلا عِمارَةٌ، ولَما فَرَغَ القَوْمُ، وَصَلَتْهُ النَّوْبَةُ، قَدَّمُوهُ لِلصَّلاةِ بِهِم، وَأمَروهُ بِالأَذانِ. فَصَلّى بِهِمْ. فَلَمّا صَلّى صَلاةَ المَغْرِب، قالوا لَهُ : العَادَةَ، فَخَرَجَ عَنْهُم، وَتَوَسَّلَ إلى اللهِ بِهِمْ وَتَضَرَّعَ إلَيْه، فَإذا بَيْنَ يَدَيْهِ الطَّعام الّذي كانَ يَأْتي بِهِ كُلَّ يَوْمٍ واحِدٌ مِنْهُم، فَأخَذَهُ وَقَدمَ بِهِ إلَيْهِم. فَقالَ أحَدُهُمْ : هُوَ مِنْهُم، ثُمَّ حُجِبوا عَنْهُ.

وَأَخْبَرَني غَيْرُ واحِدٍ عَنِ الفَقيهِ أبي الحَسنِ، عَنْ عَمِّهِ صالح المَذْكور، أنَّهُ لما زارَ بَيْتَ المَقْدِسِ، أقامَ في بَعْضِ القُرى القَريبَةِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَقَدَّمَهُ أهْلُ تِلْكَ القَرْيَةِ لِلإمامَةِ بِهِمْ في مَسْجِدِ القَرْيَةِ. فَبَيْنَما هُوَ في بَعْضِ الأيّامِ في المَسْجِدِ، إذْ أقْبَلَ الإمامُ أبو حامِدٍ الغَزاليّ في جَماعَةٍ مِنْ تَلامِذَتِهِ، فَنَزَلوا في المَسْجِدِ، وكانَ في المَسْجِدِ دالِيَةٌ وَفيها حَصْرَمٌ، فَقالَ التَّلامِذَةُ لِلإمامِ أبي حامِدٍ الغَزاليّ، رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ : اشْتَهَيْنا حصْرَمَة. فَقالَ لَهُم : اِسْألوا إمامَ المَسْجِدِ، يَعْني أبي مُحَمّد صالحاً، عَنِ الدّالِيَةِ هَلْ هِي حُبُسٌ عَلى المَسْجِدِ؟ أوْ عَلى الإمامِ؟ أوْ عَلى المُؤَذِّنِ؟ أوْ غَيْرِ ذَلِكَ؟ فَسُئِلَ. فَقالَ لَهُم : لي كَذا وَكَذا عاماً، وَأَنا في هَذا المَسْجِدِ إمامٌ، لا أعْلَمُ عَلى مَنْ حُبِّسَتْ، وَلا اشْتَغَلْتُ بِها، وَلا نَأكُل شَيْئاً مِنْها. فَأُخْبِروا بِمَقالَتِهِ الإمام أبا حامد الغَزاليّ، رَضِي اللّهُ عَنْهُ، فَقالَ : هَذا مَغْرِبِيٌّ لَهُ أعْوامٌ فِي هَذا المَسْجِدِ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِهَذِهِ الدّالِيَة وَلا يَعْرِفُ خَبَرها، وَأنْتُمْ مِنْ ساعَةٍ واحِدَةٍ لَمْ تَمْلِكوا أنْفُسَكُمْ. هَذا كَلامُ أبي عَبْد اللهِ، التَّميمِيّ رَحِمَهُ اللّهُ، في سيدي أبي مُحَمد صالِح بْنِ حِرْزِهِم، رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ» [12].

11- زيادة من مخطوط المنوني

12- الروض العطر، 57-56 [ترجمته كذلك في : التشوف، ص 94؛ جلوة الاقتباس، 377؛(نقلاً عن المستفاد)؛ بغية السالك م.س.، ورقة 132؛ سلوة الأنفاس، 3/ 69]

84= أبو عَبْدِ اللّهِ الخَيّاط

قالَ في المُسْتَفادِ : كانَ عالماً فاضِلاً، صَواماً قَواماً، كَثيرَ البُكاءِ. أخْبَرَني الفَقيهُ أبو مُحَمّد، قاسِمِ بْن عَليّ الشّريفُ، صَديقُنا، عَنِ الفَقيهِ أبي الفَضْلِ جَعْفَر بْن هارون، أنَّ والِدَتَهُ أخْبَرَتْهُ أنَّها كانَتْ تَرى الفَقيهَ ابْن الخَيّاط حينَ يَمْشي إلى الجامِعِ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وكانَتْ طَريقُهُ عَلى بابِ دارِها، فَتَرى عَلى خَدَّيْهِ مِنْ أثَرِ الدُّموعِ طَريقٌ[13].

أخْبَرَني بَعْضُ مَنْ أثِقُ بِهِ مِنْ أصْحابِنا، عَنِ الفَقيهِ أبي الحَسَن، بْن حرازم، قالَ : بَعَثَني والِدي لِلشَّيْخِ أبي عَبْدِ الله الخَيّاط، لِلتَّبَرُّكِ بِدُعائِه، وكُنْتُ إذْ ذاكَ صَغيراً. قالَ : فَمَشيتُ إلَيْهِ في آخِرِ النَّهارِ، فَوَجَدْتُهُ في المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ صَلاةَ المَغْرِبِ، فَأعْلَمْتُهُ بِسَلامِ والِدي عَلَيْهِ، وَدعا لي. وَحانَتِ الصَّلاةُ. فَلَمّا وَقَفَ لِتَكْبيرَةِ الإحْرامِ، سَمِعْتُ لأعْضائِهِ خَشْخَشَةً كالثَّوْبِ الجَديدِ المَكْمودِ إذْ تَفَرْقَعَ[14].

13- في الأصل : طريقاً

14- الروض العطر، ص 231-232 [ووردت ترجمته في سلوة الأنفاس، ج1/ ص 269؛ في وفيات سليمان بن أحمد القشعالي، مخ. خ. ع. بالرباط (رقم د 283) ورقة 81/ أ ما نصه : «وقد ذكره الشيخ أبو عبد الله الكتاني المتوفي سنة [...] في كتاب المستفاد قال إنه كان صواماً قواماً كثير البكاء يذكر أنه كان يرى بخذيه من أثر الدموع طريق. قال الشيخ ابن حرزهم : ارسلني والدي لزيارته وأنا صغير فمشيت فوجدته ينتظر صلاة المغرب فاعلمته بسلام والدي عليه ودعا لي وحانت الصلاة فلما وقف لتكبيرة الإحرام سمعت لأعضائه خشخشة كالثوب الجديد المكمود إذا تفرقع» . وفي «تحفة أهل الصديقة» (ورقة 146) مانصه: «وأخذ سيدي علي يعني ابن حرزهم تبركا أيضا عن الشيخ الفقيه العالم الولي الصالح سيدي أبي عبد الله الخياط. ويشير الشيخ المدرع في منظومته في صلحاء فاس (ورقة 15)بعد ذكر سيدي عبد الله الخياط الذي بالدوح الفوقي وبعض من معه بقوله :

يقربهم ذو السر والأنــــوار # محمد الخياط ذو الفخـــار

وعابد الرحمن أعني السوسي # شمس المعارف وتاج الروس

85= أبو عَبْد اللّهِ مُحَمّد الدقّاق السِّجِلْماسيّ[15]

[...] وذَكَرَ تَرْجَمَةَ الشَّيْخِ أبي عَبْدِ اللّهِ الدَّقّاقِ أيْضاً الشَّيْخُ أبو عَبْد اللّهِ التَّميميّ في «المُسْتَفادِ». فَقالَ : كانَ، رَحِمَهُ اللّهُ، مِنْ أهْلِ الوَرَعِ وَالتَّواضُعِ. لَهُ طَريقٌ يَخْتَصُّ بِها في التَّصَوُّفِ، مِنَ الصِّدْقِ وَتَرْكِ التَّصَنُّعِ.

أخْبَرَني مَنْ أثِقُ بِهِ مِنْ إخْواني، عَنْ أبي مُحَمّدٍ، عَبْدِ اللّهِ التِّلِمْسانيّ، أنّهُ جاءَهُ يَوْماً، فَرَأى ثَوْبَهُ مُدَنّساً. قالَ : فَقُلْتُ لَهُ : أعْطِني ثَوْبَكَ أغْسِلْهُ. فَقالَ لي : هُوَ طاهِرٌ كَما غَسَلْتُهُ. ثُمّ قالَ : كُلُّ مَنْ يَغْسِلُ ثَوْبَهُ مِنْ غَيْرِ نَجاسَةٍ، فَهُوَ مَريضُ القَلْبِ، يَحْتاجُ أنْ يُداوى.

أخْبَرَني بَعْضُ أصْحابِنا، أنّ بَعْضَ مَشيخَةِ البَلَدِ لَقِيَ أبا عَبْدِ اللّهِ الدَّقّاق في بَعْضِ طُرُقِ فاسَ قَدْ حَمَلَ تَحْتَهُ شَيْئاً، فَسَلّمَ عَلَيْهِ، ثُمّ قالَ الرَّجُلُ لأبي عَبْدِ اللّهِ : مِنْ أيْنَ جِئْتَ ؟ فَقالَ لَهُ : مِنْ مَوْضِعٍ. فَلَمّا جاوَزَهُ، رَجَعَ أبو عَبْد اللّه إلَيْهِ، وَناداهُ. فَرَجَعَ إلَيْهِ، وَقالَ لَهُ : سَألْتَني مِنْ أيْنَ جِئْتُ، فَقُلْتُ لَكَ : مِنْ مَوْضِعٍ. ثُمّ أخْرَجَ لَهُ مِنْ تَحْتِهِ إناءً فيهِ لَحْمٌ مَطْبوخٌ، وَقالَ لَهُ : اِشْتَهَتِ المَرْأةُ هَذا، فَاشْتَرَيْتُهُ لَها، ثُمّ انْصَرَفَ.

أخْبَرَني الشَّيْخُ أبو مُحَمّدٍ، قاسِمُ بْن شَريفَةَ، رَحِمَهُ اللّهُ، أنّ جَماعَةً مِنَ المُريدينَ أتَوْا أبا عَبْدِ اللّه الدقاق لَيْلَةً بَعْدَ العِشاءِ الآخِرَةِ، فَقالَ لَهُمْ : ما جاءَ بِكُمْ ؟ قالوا : لِنَكونَ عِنْدَكَ هَذِهِ اللّيْلَةَ. قالَ : عَلَى أنْ لا تَتَصَرَّفوا في مَراحِض الدارِ، فَإنْ رَضيتُمْ بِالدُّخول عَلى

15- يقول محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية (السفر الرابع، تحقيق وتقديم د. عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ط 2، 1992، ص 71) : «وكان أبو عبد الله الدقاق سيد وقته في هذا الباب، خرّج مناقبه شيخنا أبو عبد الله بن عبد الكريم المذكور آنفاً في كتاب «المستفاد في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد»

هَذا، فَادْخلوا. فَدَخلوا. فَلَمَّا أَصْبَحَ، صَنَعَ لَهُمْ ما أَكَلُوا، ثُمَّ انْصَرَفوا.

أَخْبَرَني أبو مُحَمَّد، قاسِم المَذْكورُ، أَنَّ الشَّيْخَ أَبا عَبْد الله الدقّاق سَكَنَ في دارٍ مِرْحاضُها مُطَمَّرٌ، فَكانَ إذا جاءَ مَنْ يَبيتُ عِنْدَهُ مِنَ الأَصْحابِ، يَقولُ لَهُ : هَذِهِ الدّارُ مِرْحاضُها مُطَمَّرٌ، ولَمْ أَكْرِها مِنْ صاحِبِها إِلاَّ أَنْ أَسْكُنَها أَنا وَالمَرْأَة، وَلَمْ أَشْتَرِطْ عَلَيْهِ غَيْرَنا، فَإِنْ كانَ تَتَصَرَّفُ خارِجَ الدّارِ فَادْخُلْ. قالَ : فَرَغْبَةُ النّاسِ في الشَّيْخِ عَلى هَذا كانَ يُسَهِّلُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَيَرْضَونَ بِهِ. وكانَ، رَحِمَهُ اللهُ، يُطْلِقُ إِطْلاقات، وَيَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ يُنكَرُ عَلَيْهِ، حَتَّى سافَرَ جَماعَةٌ مِنْ أَصْحابِهِ مِنْ مَدينَةِ فاسَ إِلى بِلادِ الأَنْدَلُس، فَاجْتَمَعوا بِالشَّيْخِ أَبي الحَكَمِ ابْن بَرَّجان، وَأَبي العَبّاس بْن العَريف، فَذَكَروا لَهُما أَمْرَهُ وَأَحْوالَهُ، فَقالا لَهُمْ : دَعوهُ وَلا تُنْكِروا عَلَيْهِ شَيْئاً. وكانَ، رَحِمَهُ اللهُ، قَدْ قالَ لَهُمْ عِنْدَ سَفَرِهِمْ : تُبَلِّغوا سَلامي لِلشَّيْخِ أَبي الحَكَم، وَتَقولوا لَهُ : أَنْتَ عُثْمان الوَقْت. فَكانَ مِنَ القَدَرِ السّابِقِ أَنْ صادَفَ بَعْض النّاس بِمَرْكَزٍ وَضَعَ في صَدْرِهِ، فَكانَ مِنْها وَفاتهُ، رَحِمَهُ اللهُ.

أَخْبَرَني قاسِمُ بْنُ مُحَمَّد، عَنْ أَبي عَبْدِ الله الدقّاق، أَنَّهُ سافَرَ إِلى سِجِلْماسَة، فَتَغَيَّظَ الوالي عَلى أَهْلِ سِجِلْماسَةَ لِشَيْءٍ رُفِعَ عَلَيْهِمْ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ جَماعَةً، وَضَرَبَ أَعْناقَهُمْ. وَأَخَذَ مَعَ القَوْمِ أَبا عَبْد الله الدقّاق فيمَنْ أَخَذَ، وكُتِّفَ وَحُمِلَ لِمَوْضِعِ القَتْلِ. فَقالَ لِمَنْ حَضَرَ: أَسْتِروا ظَهْري. فَقيلَ لَهُ : أَنْتَ تُحْمَلُ لِلْقَتْلِ وَتَقولُ : أَسْتِروا ظَهْري، فَقالَ : لاَ أُقْتَل، وَما جَعَلَ اللهُ لَهُمْ عَلَيَّ سَبيلاً. فَلَما وَصَلَ لِلمَوْضِعِ الّذي قُتِلَ فيهِ القَوْمُ، تَكَلَّمَ فيهِ رَجُلٌ مِنْ مَشيخَةِ قَبائِل فاسَ، حَرَسَها اللهُ، فَاسْتَعْفَى فيهِ، فَأَخَذَ مَعَهُ حتى وَصَلَ إِلى مَدينَةِ فاسَ سالماً، وَالحَمْدُ لِلّه.

أَخْبَرَني الشَّيْخُ الصّالِحُ، أَبو مُحَمَّد، قاسِمُ بْن مُحَمَّد القَيْسِيِّ، عَنْ أَبي عَبْدِ اللهِ الدقّاقِ، أَنَّهُ قَعَدَ يَوْماً مَعَ أَصْحابِهِ، فَكانَتْ مِنْهُ غَفْلَة حَتّى شَكى ضَيْقَ حالِهِ. فَلَمّا تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحابُهُ، نامَ بَعْضُهُمْ، فَهَتَفَ بِهِ هاتِفٌ، وَقالَ : بِالله بَلِّغْ لأَبي عَبْدِ الله ما أَقولُ

لكَ، ثُمَّ أنْشدَ : [كامل]

قُـلْ للرُّوَيْـجـلِ مِـنْ ذَوِي الأقْـدار # الفَـقْـرُ أفْـضَلُ شيـمَـةِ الأحْـرارِ

يَا مَـنْ شَـكا للنّـاسِ فِعْلَـةَ رَبِّـهِ # هَـلا شَـكَـوْتَ تحَـمُّـلَ الأوْزارِ[16]

إنَّ الّـذي ألْبـسْـتَ مِـنْ حللِ التُّـقى # لَـوْ شـاءَ رَبُّـكَ كُنْتَ عَنْها عَـارِي

فَأتاهُ، فَأخْبَرَهُ بِذلِكَ، فَصاحَ أبو عَبْد اللهِ، وَقالَ : يا قَوْم، هَكذا أسْكِرُ، وَأخَذَ في البُكاءِ.

وَأخْبَرَني الشَّيْخُ الواصِلُ الصَّالِحُ، أبو مُحَمَّد، قاسِم بْن مُحَمَّد، وَغَيْرُهُ، قالوا : كانَ بمدينَةِ فاسَ، حَرَسَها اللّهُ، رَجُلٌ منَ الصَّالحينَ، فَرأى في المَنامِ النَّبيَّ، (ﷺ)، وكَأنَّهُ في دارٍ كَثيرَةِ البُيوتِ، فَقالَ لَهُ : يا رَسولَ اللهِ، نُحِبُّ أنْ تَدُلَّني عَلى رَجُلٍ جَيِّدٍ، كذا قالَ لي أبو مُحَمَّد قاسِم، وَقالَ غَيْرُهُ : نُحِبُّ أنْ تَدُلَّني عَلى وَلِيٍّ مِنْ أوْلِياءِ اللهِ تَعالى. فَدَفَعَ لَهُ النَّبيُّ، (ﷺ)، مَفاتيح، وَقالَ لَهُ : افْتحْ بَعْض تِلْكَ البُيوت، قالَ : فَفَتَحْتُ بَيْتاً، فَوَجَدْتُ فيهِ أبا عَبْد اللهِ الدقّاقِ، فَكَأنَّهُ لَمْ يَعُدْ بِقَلْبي، لأنَّهُ كانَ مَعي في البَلَدِ، وَأعْرِفُهُ. قالَ الرَّجُلُ : فَفَتَحْتُ بَيْتاً ثانِياً، فَوَجَدْتُهُ فيهِ؛ ثُمَّ فَتَحْتُ الثّالِثَ، فَوَجَدْتُهُ فيهِ. فَلَمّا أصْبَحَ وَأخْبَرَ أبا عَبْدَ اللهِ بِالخَبَرِ، فَقالَ لَهُ : لَوْ فَتَحْتَ جَميعَ البُيوتِ لَوَجَدْتَني في جَميعِها.

وكانَ أبو عَبْد اللهِ الدقّاق يَتَحَدّى بِالوِلايَةِ، وَيَدَّعيها لِنَفْسِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِذَلِكَ. وكانَ خَليقاً بِها لأوْصافِهِ الجَميلَةِ الحَسَنَةِ. أخْبَرَني بِذَلِكَ عَنْهُ، الشَّيْخُ الصَّالِحُ، أبو عَبْد اللهِ، مُحمَّد بْن مُحَمَّد القَيْسيّ، رَحِمَهُ اللّهُ.

أخْبَرَني الفَقيهُ أبو مُحَمد، عَبْد اللهِ بْن مُحَمَّد بْن حَجّاج، صاحِبُنا، وَفَّقَهُ اللّهُ، بمَدينَةِ تُونُس، حَرَسَها اللّهُ، أخْبَرَني أبو عَمْرو عُثْمان بْن خَلوف، أنَّهُ رَأى في المَنامِ أنَّهُ في يَدَيْهِ

16- أوردت الأبيات الثلاثة في هذا الموضع لأن ابن عيشون لم يثبتها حين نقله عن المستفاد، وإنما أوردها حين نقله عن كتاب **التشوف**، واكتفى بعد إيراده صدر البيت الأول بعبارة : «والأبيات الثلاثة المتقدمة» ، **الروض** ص 269

عُصفُور أخْضَر، فَحَمَلَهُ إلى دارِهِ، وَأَدْخَلَهُ في بَيْتٍ، وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَهْلُ المَنْزِلِ بِدُخولِهِ في ذَلِكَ البَيْت، وكانَ لَهُ امْرَأَتانِ في تِلْكَ الدارِ، فَاشْتَهَتْ إِحْداهُما تُريدَ لَبَنٍ، فَصَنَعَتْهُ، وَاشْتَهَتِ الأُخْرى مُجَبَّنَةً، فَبَعَثَتْ كُلّ واحِدَةٍ مِنْهُما مَن اشْتَرى لَها ما احْتاجَتْ مِنْ حَليب لَبَنٍ، وَصَنَعَت تَرْكَمَةً. فَلَمّا وَضَعَتْ كُل واحِدَة مِنْهُما بَيْنَ يَدَيْها ما اشْتَهَتْ، فَإِذا بِأَبي عَبْدِ اللّهِ السَّلاوِيّ قَدْ دَخَلَ، فَأَخَذَتْ صاحِبَةُ المجَبَّنَة الإِناءَ الّذي فيهِ المجَبَّنَة، فَأَدْخَلَتْهُ في البَيْتِ الّذي فيهِ أبو عَبْد اللّه الدَقّاق مِنْ تحْتِ الباب، وَالبَيْتُ مُغْلَقٌ، لِتَخْفي ذَلِكَ عَنْ أبي عَبْدِ اللّه، بَعْلها. وكَذَلِكَ صَنَعَتْ صاحِبَةُ التُّرْكَمَة. فَأَكَلَ أَبو عَبْد اللّه الدقّاق مِنْ هَذِه وَمِنْ هَذِهِ. فَلَمّا جَلَسَ السَّلاوِيُّ مَعَ عِيالِهِ، فَكَّرَ في أَبي عَبْدِ اللّه الدَّقّاق، وَقالَ لأَهْلِهِ : إِنَّ فُلاناً نَسيتُهُ اليَوْمَ بِلا غِذاءٍ. ثُمَّ جاءَ وَفَتَحَ عَلَيْهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ حالِهِ، فَقالَ لَهُ : أَكَلْتُ ما اشْتَهَيْتُ. فَقالَ لَهُ : فَكَيْفَ السَّبَبُ؟ فَأَعْلَمَهُ بِالقِصَّة، فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ.

هَذا آخِرُ كَلامِهِ، رَحِمَهُ اللّهُ في سيدي أَبي عَبْدِ اللّهِ الدَقّاق، رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ»[17]

86= الشَّيْخُ أبو جَبَل يَعْلى

[1][...] عَرَّفَ بِهِ التَّميميُّ في "المُسْتَفادِ" وَأَبو يَعْقوب التّادِليّ في "التَّشَوُّفِ"، قالا : وَاسْمُهُ يَعْلى.

وَقالَ أَبو عَبْدِ اللّه التَّميميُّ : كانَ أَبو جَبَل ذا أَوْصافٍ جَميلَةٍ. أَخْبَرَني جَماعَةٌ مِنْ أَهْلِ فاسَ، أَنَّهُ كانَ جَزّاراً، وَأَنَّهُ لمّا تابَ، اعْتَقَدَ أَنْ لا يَسْأَلَ، وَلا يَتَعَرَّضَ، وَلا يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ الكَفاف. فَلَمّا خَرَجَ مِنْ مَدينَةِ فاسَ إِلى وادي سَبُو، وَجَدَ قافِلَةً تَسيرُ إِلى المَشْرِق،

17- الروض العطر، 266- 268 [1]انظر كذلك : (مؤلف مجهول (لعله من القرن التاسع الهجري)، كتاب في تراجم الأولياء، مخ. خ. ع. بالرباط، رقم ج 1271،ص 272-273، الفتوحات المكية ،ج 11/ ص 312-313)؛ التشوف، ص 156-157؛ جذوة الاقتباس، 259؛ سلوة الأنفاس، 3/ ص 102]

فَمَشى مَعَهُمْ، وكانَ يَلْطفُ اللهُ لهُ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ، ولَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يَلْطفُ اللهُ لَهُ إلى أنْ وَصَلَ مِصْر. فَلَمَّا دَخَلَها، قالَ في نَفْسِهِ : قَدْ كانَ فيما مَضى يَلْطفُ اللّهُ بي لأجْلِ مَعْرِفَةِ النّاس إيايَ، والآنَ وَصَلْتُ حَيْثُ لا أعْرَفُ. فَجَدَّدَ وُضوءَهُ في نيلِ مِصْر، وَدَخَلَ جامِعَها، فَوَجَدَ ابْنَ الجَوْهَرِيِّ الواعِظَ عَلى المِنْبَرِ يَعِظُ النّاسَ، والحَلْقَةُ دائِرَةٌ عَلَيْهِ؛ فَوَقَفَ في الحَلْقَةِ مَعَ النّاس، فَقالَ ابْنُ الجَوْهَرِيُّ : يا أَبا جَبَل، قالَ : لَبَّيْكَ. قالَ : فَهَلْ ضَيَّعَكَ فيما مَضى؟ قالَ : لا. قالَ لَهُ : وكَذَلِكَ لا يُضَيِّعُكَ فيما بَقِيَ. فَكُوشِفَ الجَوْهَرِيُّ، رَحِمَهُ اللّهُ، بما خَطَرَ بِبالِهِ.

قالَ أبو جَبَل : وبَقيتُ في طَريقِ الصَّحْراءِ أيّاماً لَمْ آكُل، ولَمْ أشْرب. فَبَيْنَما أنا أمْشي وَحْدي، فَإذا بِرَجُلٍ وَقَفَ لي، فَدَفَعَ لي رَغيفَ خُبْزٍ وَقَدَح ماءٍ، فَشَكَرْتُهُ عَلى ذَلِكَ. قالَ : فَلَمّا وَصَلْتُ مَكَّةَ، زادَها اللّهُ شَرَفاً، بَيْنَما أنا أطوفُ بِالبَيْتِ إذْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ الذي لَقيتُ بِالصَّحْراءِ، وَأَعْطاني الرَّغيفَ والماءَ، وَمَعَهُ سَبْعَة أنْفُس، وَهمْ يَطوفونَ بِالبَيت. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَجاءَني أَحَدُ السَّبْعَةِ، فَقالَ لي : مِنْ أيْنَ تَعْرِفُ هَذا الرَّجُل؟ فَقُلْتُ : لَهُ عَلَيَّ فَضْلٌ، وَذَلِكَ أنّي لَقيتُهُ بِالصَّحْراءِ وَأنا جائِعٌ، فَأعْطاني رَغيفاً وَماءً، فَقالَ لي : هُوَ الخَضِرُ، رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ.

أَخْبَرَني الفَقيهُ أبو مُحَمَّد، قاسِمُ بْن عَليّ الشَّريف، عَنِ الشَّيْخِ الفَقيهِ أبي جَعْفَر بْنِ هارون، قالَ : أَخْبَرَني الفَقيهُ أبو العَبّاسِ، أَحْمَد بْن وَعْدون، قالَ : دَخَلْتُ عَلى أبي جَبَل عائِداً لَهُ في بَيْتِ سُكْناهُ، فَقالَ : يا سيدي فُلان، بِدُخولِكَ عَلَيَّ، خَرَجَتْ عَنّي المَلائِكَةُ، لأنَّكَ جَنبٌ. قالَ : وكُنْتُ عَلى تِلْكَ الحالَةِ الّتي ذَكَرَ الشَّيْخُ.

وَأَخْبَرَني الفَقيهُ أبو مُحَمَّد، قاسِم بْن عَلِيّ، عنِ الشَّيْخِ الفَقيهِ أبي الفَضْلِ، جَعْفَر بْن هارون، أنَّ والِدَتَهُ أخْبَرَتْهُ أنَّ أخاها أبا مُحَمَّد قاسِماً، رَحِمَهُ اللّهُ، إذْ كانَ صَغيراً، كانَتْ في رَأْسِهِ قُرْحَةٌ أعْيَتِ الأطِبّاءَ، وَلَمْ يَنْجَحْ فيها عِلاجٌ. فَجاءَ أبو جَبَل يَوْماً لِدارِنا، فَقَدَّمَ لَهُ أبي

ما أَكَلَ، ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِ قاسِمِ المذكور، فَرأى تِلْكَ القُرْحَةَ في رَأْسِهِ، فَعُوفِيَ مِنْها، وكَأَنَّها لَمْ تَكُنْ.

«اِنْتَهى الغَرَضُ مِنَ الكِتابِ المَذْكورِ في سيدي أَبي جَبَل»[18].

87= أَبو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ بنُ محْسودٍ الهَوَّارِيّ

[وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الفَقيهُ، عَبْدُ اللهِ بنُ محْسودٍ الهَوَّارِيُّ ... مِنْ أَهْلِ مَدينَةِ فاس. وكان قاضِياً بِها عَلى سُنَنِ قُضاةِ العَدْلِ وَالفَضْلِ، زاهِداً في الدُّنْيا، مُقْبِلاً عَلى اللهِ تَعالى.] [19]

... حُكيَ عَنْهُ أَنَّهُ نَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ، فَرَهَنَ غَزْلَ امْرَأَتِهِ في سَمْنٍ يَأْتَدِمُ بِهِ الضَّيْف، فَإذا ذَلِكَ السَّمْنُ مُراً لاَ يُطاقُ أَكْلُهُ. فَبَيْنَما ابْن مَحْسود يَوْماً في مَجْلِسِهِ، إِذْ أَبْصَرَ السَّمّانَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ مَعَ خَصْمِهِ، فَقامَ ابْنُ مَحْسود، وَأَمَرَ مَنْ حَضَرَ أَنْ يَحْكُمَ بَينَهُما. فَلَمّا عادَ إِلى مَجْلِسِهِ، أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ السَّمّانُ كانَ باعَ مِنْهُ سَمْناً مُراً، وَقالَ: خَشيتُ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَنْ

18- الروض المعطار، 293-294]ترجمته كذلك في : العشرف، 101-105 القرطاس، 170؛ جلوة الاقتباس، 560؛ سلوة الأنفاس، 3/162] زهر الآس، 1/270 يقول : «ضريحه جبل زعفران بقرب القلة، خارج باب عجيسة» و زاد في جلوة الاقتباس نقلاً عن المستفاد كما يبدو «والدعاء عند قبر أبي جبل مستجاب، قال ابن حرزهم كنت وأنا صغير أمشي مع أبي إلى خولان لأملاك لأبي كانت هنالك، وكنت أبيت مع أبي في المسجد الذي بخولان، وكان معنا فيه طالب من الطلبة كنت أتوسم فيه الخير، فقمت في ليلة من الليالي وطلبته في المسجد فلم أجده، فخرجت لموضع الماء فلم أجده، فلما كان صلاة الصبح حضر وصلى معنا، فلما انقضت الصلاة قلت له طلبتك البارحة فلم أجدك، أين كنت؟ قال : مشيت لمسجد عقبة، فقلت له متى وصلت؟ قال وجدت الناس كما انفصلوا من صلاة العشاء، ثم قال لي الطالب هكذا كنا نفعل مع سيدي أبي جبل. توفي عام ثلاثة وخمسمائة رحمة الله تعالى عليه» جلوة الاقتباس، 560

19- ما بين المعقوفتين من سلوة الأنفاس،3/ 160

لا أَسْمَعَ مِنْهُ كَما أَسْمَعُ مِنْ خَصْمِهِ، فَكَرِهْتُ الحُكْمَ بَيْنَهُما [20].

88= أبو جِيدَةَ بْن أَحْمَد اليَزغيتنيُّ

وَمِنْهُمْ أبو جِيدَةَ بْن أَحْمَد اليَزْغيتني، دَفين خارِجَ بَني مسافِر.

ذَكَرَهُ أبو عَبْد الله التَّميمِيُّ في المُسْتَفادِ، وَقالَ إِنَّهُ دَفين خارِج بَني مسافِر، مِنْ عُدْوَةِ الأَنْدَلُسِ، وَهُوَ هُناكَ مَعْروفٌ، وَالدُّعاءُ عِنْدَهُ مُسْتَجابٌ. عَرَفَ ذَلِكَ النّاسُ، وتَحَدَّثوا بِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ كَرامَةً لَهُ وَقَعَتْ لِبَعْضِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِ : وَهِيَ أَنَّهُ كانَتْ لَهُ إِبْنَة أصابَها مَرَضٌ أَعْوَزَهُ عِلاجُهُ. فَأَتاهُ إِلى قَبْرِهِ، وَطَلَبَ اللّهَ أَنْ يَريحَهُ مِنْها في عافِيَةٍ. فَاسْتَجابَ اللّهُ دُعاءَهُ بِبَرَكَتِهِ. فَما أَتَتْ عَشِيَّةُ ذَلِكَ اليَوْمِ، حَتّى ماتَت. هَذا حاصِلُ ما ذَكَرَهُ في سيدي أبي جيدَة، رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، ولَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ، وَلا زَمَنَهُ [21].

20- (الروض العطر، 294- 296) أورد ابن عيشون لابن محسود الهواري كرامتين نقلاً عن التادلي. قبل أن يقول «وذكره التميمي أيضاً واقتصر في التعريف على القضية الأولى» ص 295

[ترجمته كذلك في : العشوف: 116-117، جلوة الاقتباس ،ص 420، : القرطاس 117؛ سلوة الأنفاس، 3/ 160؛ جنى زهرة الآس، 95-96]

21- الروض العطر، 320-322 [ترجمته كذلك في جلوة الاقتباس، 107؛ ونعته بـ«» الفقيه الحافظ الولي الصالح العالم العامل] سلوة الأنفاس، 3/ 92؛ زهر الآس، 271/2؛ دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 1/ 221، وورد فيه أن بعضهم ألف في مناقبه تأليفاً سماه «مناقب الشيخ الجليل أبي جيدة بن أحمد اليزغيتني».

2)- تراجم المستفاد مستخرجة من جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لأحمد ابن القاضي (ت. 1025هـ/1616م)

89= ابْنُ لَنْجوا [22]

الشَّيْخُ المُؤَذِّبُ [23]، قالَ صاحِبُ (المُسْتَفادِ) : أَخْبَرَني الشَّيْخُ الصَّالِحُ [أبو مُحَمَّد] قاسِم، بْن مُحَمَّد القَيْسِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالى، قالَ : سَمِعْتُ ابْن لَنْجوا يَقولُ : كُنْتُ أَمْشي في سَفَري في بَعْضِ طُرُقِ الأَنْدَلُس، فَغَلَطْتُ في الطَّريقِ، فَوَجَدْتُ خَيْمَةً في ساحِلِ البَحْرِ، وَفيها رَجُلٌ يُصَلّي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ إِلى قُرْبِ المَغْرِبِ، فَلَمّا كانَ ذَلِكَ الوَقْتُ، أَخْرَجَ خَيْطاً وَفيهِ سَنّارَة، فَأَلْقى الخَيْط في البَحْرِ، وَرَفَعَ حُوتاً واحِداً، فَشَواهُ وَقَرَّبَهُ، فَأَكَلْتُ أَنا وَهُوَ، وَكَفى عَنِ القوتِ. وكانَ عَلى البَحْرِ صَخْرَة بِقُرْبِ الخَيْمَةِ، فَكانَ يَصْعُدُ عَلَيْها يُؤَذِّنُ في أَوْقاتِ الصَّلَواتِ. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيّاماً عَلى ذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْماً مِنَ الأَيّامِ : هَذا القُوتُ قَدْ عَرَفْتُ مِنْ أَيْنَ يَأْتيكَ، فَهَذِهِ الجُبَّةُ الَّتي عَلَيْكَ، إِذا انْقَطَعَتْ، مِنْ أَيْنَ تَأْتيكَ أُخْرى؟ فَقالَ لي : امْضِ عِنْدَ تِلْكَ الصَّخْرَة تَعْرِفْ ذَلِكَ، قالَ : فَقُمْتُ إِلى الصَّخْرَةِ، فَلَمّا وَصَلْتُ إِلَيْها، نَظَرْتُ إِلى الخَيْمَةِ، فَلَمْ أَرَها وَلَمْ أَرَ الرَّجُلَ؛ إِذْ حُجِبَ عَنّي. فَبَقيتُ حائِراً، وَصِرْتُ أَقولُ : أَلَيْسَ هُنا كانَ يُؤَذِّنُ؟ وَأَخَذَني مِنْ ذَلِكَ شِبْه الوَلَه. فَلَمّا لَمْ أَقْدِرْ عَلى الرَّجُلِ وَلا عَلى الخَيْمَة، انْصَرَفْتُ عَنْ ذَلِكَ المَوْضِعِ حَتّى وَقَعْتُ عَلى الطَّريقِ. وَلَمّا رَآني النّاس، قالوا : هَذا جاءَ مِنْ عِنْدِ العابِدِ، فَأَكْرَموني وَجلوني.

ذَكَرَهُ الكَتّانِيُّ فيمَنْ حَلَّ مَدينَةَ فاسَ، وَلَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ [24].

22- في الطبعة الحجرية (ص 127) : بنجوا

23- كذا في **الجذوة**، ص 101 : ولعله : المؤذن

24- **جذوة الاقتباس**، ج1 رقم 22 ص 101

90= ابْنُ شَبَّة

الرَّجُلُ الصَّالِحُ. كانَ ذا أوْصافٍ جَميلَةٍ، بَلَغَ مِنَ العِبادَةِ مَبْلَغاً عَظيماً حَتَّى صارَ كَالشَّنِّ البالي، وكانَ يَتَحَرَّفُ بِصِناعَةِ الخِرازَةِ وَيَتَقَوَّتُ مِنْها.

قالَ صاحِبُ (المُسْتَفادِ) : أَخْبَرَني مَنْ أَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ فاسَ -وَسَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ- أَنَّ النّاسَ بِها قَحِطوا في وَقْتِهِ قَحْطاً شَديداً، فَأَرادوا الاسْتِسْقاءَ، فَأَجْمَعوا عَلى أَنْ يَسْتَسْقى بِهِمْ ابْن شَبَّة. فَوَصَلَ القاضي وَجَماعَةُ أَهْلِ البَلَدِ لِمَنْزِلِهِ، وكانَ بِحَوْمَةِ جِرْواوَةَ مِنْ عُدْوَةِ الأَنْدَلُسِ، فَوَقَفوا عَلى بابِ مَنْزِلِهِ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِم إِمْرَأَةٌ، فَقالوا : نُريدُ الشَّيْخَ، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ وَقالَتْ لَهُ : إِنَّ الأَشْياخَ أَرادوا الاجْتِماعَ بِكَ، وكانَ جالِساً يَخْرِزُ. فَخَرَجَ إِلَيْهِم عَلى تِلْكَ الحالَةِ، وَقالَ لَهُمْ : ما جاءَ بِكُمْ؟ فَقالوا لَهُ : أَما تَرى ما نَحْنُ فيهِ مِنَ الشِّدَّةِ وَالقَحْطِ؟ وَجِئْنا لِتَخْرُجَ مَعَنا نَسْتَسْقي بِكَ. فَرَجَعَ إِلى مَنْزِلِهِ وَهُوَ يَقولُ : ابْنُ شَبَّة يُسْتَسْقى بِهِ ! ثُمَّ طَلَعَ عَلى سَطْحِ دارِهِ وَفَرَّ مِنْ ذَلِكَ المَوْضِعِ، وَلَمْ يَجْتَمِع بِهِمْ، وَما رَأَوْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَنَفَعَ اللَّهُ بِسَبَبِهِ أَهْلَ البَلَدِ.

وَلَمْ يَذْكُر الكَتّانِيُّ وَفاتَهُ، وَهُوَ مِنْ أَقْرانِ دَرّاس بْن إِسْماعيل وَالغازِيِّ بْن الفُتوح وَأَبي جيدَةَ بْن أَحْمَد [25].

25- جذوة الاقتباس، ج1 رقم 23 ص 102 [ترجمته كذلك في السلوة، ج2/111-112]

91= أبو عَلِيّ الصّابونيّ

أبو عَلي الصّابونيُّ، الرَّجُلُ الصّالحُ. اشْتَهَرَ بِكُنْيَتِهِ. كانَ عابِداً مُجْتَهِداً، صاحِب ليْلٍ، حبّبَ إِلَيْـهِ الخَلْـوَةَ وَالانْفِراد عَنِ الخَلْقِ، وَالاقْبالِ عَلى الحَقِّ، نَفَعَهُ اللّهُ بِذلكَ. [كانَ بمدينة فاس] [26]. ذَكَرَهُ صاحِبُ (المستَفاد) وَلَمْ يَذْكُرْ وَفاتَهُ [27].

92 = أبو العَبّاس أَحْمَد الْمَعافِرِيّ القُرْطُبِيّ

أَحْمَد الْمَعافِرِيُّ، الفَقيهُ الشَّيْخُ الصّالِحُ. قُرْطُبِيّ الأَصْلِ، وَنَزَلَ مَدينَةَ فاس، كانَ كَثيرَ البُكاءِ والنُّوحِ عَلى نَفْسِهِ. قالَ الكَتّانيُّ : أَخْبَرَني الفَقيهُ مُحَمَّد بْن عَبْد اللّه، بْن مُحَمَّد، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ في مَرَضِهِ الّذي تُوفيَ مِنْهُ عائِداً لَهُ، فَقالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ أَنَّ لَهُ سِتَّة أَيّامٍ لمْ يَأْكُل طَعاماً، فَكَلَّمَتْهُ في ذَلكَ، فَقالَ لي : ابْنُ آدَم كَالفَتيلَة، إِذا جَفَّ عَنْها الزَّيْتُ، تَغَذَّتْ منَ الرُّطوبَةِ، فَإِذا تَمَّتِ الرُّطوبَةُ، طفيَت، فَإِنْ تَداركْتَها بِالزَّيْتِ حَيِيت، فَإِنْ تَدارَكَ اللّهُ بِالصِّحةِ حيي العَبْدُ، قالَ : فخَرَجْتُ منْ عِنْدِهِ، وكانَ بَعْضُ الطَّلَبَةِ يَأوى إلى المَسْجِدِ الذي كانَ أبو العَبّاس يَؤُمُّ فيه، قالَ الفَقيهُ مُحَمَّد : فَبَكَّرْتُ يَوْماً إِلى المَسْجِدِ المَذْكورِ للصَّلاةِ فيه -أَعْني صَلاةَ الصُّبْحِ- فَقالَ لي ذَلكَ الطّالِبُ : ماتَ أَبو العَبّاسِ. فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَخْبَرَكَ بِمَوْتِهِ؟ فَقالَ لي : رَأَيْتُ البارِحَةَ في النَّوْمِ جَبَلَ العَرْضِ الّذي عَلى مَدينَةِ فَاسَ، حَضَرَ النّاسُ فيهِ حَتى امْتَلأَ الجَبَلُ مِنْهُم، فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ : ما لَكُمْ؟ فَقالَ لي : جِئْنا لِنَحْضُرَ جَنازَةَ الشَّيْخِ أَبي العَبّاسِ المَعافِرِيّ. فَخَرَجْتُ لِمَنْزِلِهِ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ ماتَ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعالى. ولَمْ يَذْكُر صاحِب (المُسْتَفاد) وَفاتَهُ [28].

26- زيادة من الطبعة الحجرية، ص 276

27- **جذوة الاقتباس**، ج1 رقم 31 ص 108

28- **جذوة الاقتباس**، ج1 رقم 102 ص 154 [وانظر كذلك : **سلوة الأنفاس**، ج243/3 نقلاً عن الجذوة]

93= تِصالى الفَقيهُ

تِصالى الفَقيهُ. الشَّيْخُ الصَّالِحُ. كانَ بِمَدينَةِ فاسَ مِنَ المُنْقَطعينَ إلى اللهِ تَعالى. حُكِيَ أَنَّهُ كانَ جالِساً مَعَ صاحِبِهِ أَبي الحَسَنِ الصِّنْهاجِيِّ في العَرْصَةِ التي لابْنِ خَرْباش بِخارِجِ بابِ إصْليتَنَ، إذْ جاءَ صَبِيٌّ فَوَقَفَ فَوْقَ الجَرْفِ، وَجَعَلَ يَرْميهِما بِالحِجارَةِ، وكانَ ذَلِكَ مِنْ عادَتِهِ بِهِما، فَقالَ لَهُ أَبو الحَسَن : سِرْ عَنّا يا صَبِيُّ! أَوْ فَيَبْتَليكَ اللهُ بِوَقْعَةٍ مِنْ ذَلِكَ الجَرْفِ[29]. فَقالَ لَهُ الفَقيهُ الشَّيْخُ تِصالى : لاَ تَفْعَل، أَللهُ يُنَجِّيه. فَما تَمَّ كَلامُهُما حَتى سَقَطَ الصَّبِيُّ، فَلَمّا وَصَلَ نِصْفَ الحافَةِ، احْتُبِسَ بِثَوْبِهِ في غُصْنِ شَجَرَةٍ كانَت هُنالِكَ في الحافَةِ، وَنَجّاهُ اللهُ مِنَ السُّقوطِ بِدُعاءِ تِصالى، وَأُجيبت الدَّعْوَتانِ.

ذَكَرَهُ في (المسْتَفادِ)، وَلَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ[30].

94= الحَسَنُ ابْن سِتِّ الآفاقِ

الحَسَنُ ابْنُ سِتِّ الآفاقِ. الفَقيهُ الصَّالِحُ. كانَ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ والعِبادَةِ والاجْتِهادِ، كَثيرَ الصَّدَقَةِ. وكانَ لَهُ مالٌ أَنْفَقَهُ عَلى أَهْلِ الفَضْلِ والدِّينِ في بِناءِ القَناطِرِ وَعِمارَةِ المَساجِدِ. وكانَ صاحِبَ وَرَعٍ. أَصْلُهُ مِنْ بِسْكرَةَ، واسْتَوْطَنَ مَدينَةَ فاس، حَتّى تُوفي بِها، رَحْمَةُ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ.

ذَكَرَهُ الكَتّانِيُّ في (المسْتَفادِ)، وَلَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ[31].

29- في الطبعة الحجرية (ص 109) الموضع

30- جذوة الاقتباس، ج1 رقم 131 ص 174

31- جذوة الاقتباس، ج1 رقم 141 ص 180؛ سلوة الأنفاس،ج 3ص 259 (نقلاً عن الجذوة)

95= أبو عَلِيّ حَسَن ابْن عيّاشَة

أبو عَلِيّ حَسَن ابْن عيّاشَة. الشَّيْخُ الفَقيهُ الصّالِحُ. كانَ مِنْ أَهْلِ مَدينَةِ فاسَ، وَمِنْ أَهْلِ الجِدِّ وَالاجْتِهاد، مُشْتَغلاً بِحالِهِ، لا يَدْري ما فيهِ النّاسُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا. ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً كانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ جُزْءاً مِنَ (الإِحْياءِ)، وكانَ القارِئُ يَلْحَنُ، وَلا يَرُدُّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ. وكانَ في الحاضِرينَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الأَدَبِ وَالنَّحْوِ. فَقالَ : ما هَذا بِشَيْءٍ. فَنامَ المُنْكِرُ في المجْلِسِ، فَهَتَفَ بِهِ هاتِفٌ : حَسَّنْتُم ظَواهِرَكُم وَتَرَكْتُم بَواطِنَكُم.

ذَكَرَهُ الكَتّانِيُّ في (المُسْتَفادِ)، وَلَمْ يَذْكُرْ وَفاتَهُ [32].

96= أَبو عَلِيّ، حَسَن بْن عَلي بْن وَرْدوش

حَسَن بْن عَلي بْن وَرْدوش. الشَّيْخُ الفَقيهُ الصّالِحُ. [يُكَنى أَبا عَلي] [33]. كانَ مِنْ أَهْلِ الفِقْهِ وَالفَضْلِ وَالعِبادَةِ.

قالَ الكَتّانِيُّ : أَخْبَرَني عَمّي، أبو العَبّاس أَحْمَد، رَحِمَهُ اللّهُ تَعالى، قالَ : بِتُّ مَعَهُ لَيْلَةً في المَسْجِدِ الّذي بِإِزاءِ دارِهِ، فَأَحْيى تِلْكَ اللّيْلَةَ صَلاة، وكانَ هُوَ المُصَلّي بِمَنْ حَضَرَ. فَلَمّا وَصَلَ إِلى قَوْلِهِ، عَزَّ وَجَلَّ : «يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقينَ إِلى الرَّحْمانِ وَفْداً وَنَسوقُ المجْرِمينَ

32- جذوة الاقتباس، ج1 رقم 144 ص182

33- زيادة من الطبعة الحجرية، ص 113

إلى جهنّم ورْداً »[34]، أخَذَهُ حالٌ ورِقّةٌ وبُكاءٌ. ثُمّ لَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُ الآيَةَ ويَبْكي، حتّى إلى الفَجْرِ، فَرَدَّدَها كُلُّ مَنْ كانَ خَلْفَهُ، فَلا تَسْمَعُ إلاّ دُعاءً وبُكاءً.

قالَ الكَتّانيُّ : أخْبَرَني الشّيْخُ أبو القاسمِ، عَبْد الرَّحْمانِ بْن عُمَر، قالَ : أخْبَرَني أبو مُحَمَّد قاسم بْن الفَقيه [أبو قاسم بْن الفَقيه][35] أبي عَليّ المذْكور أنّهُ كانَ في مَرَضِهِ الّذي تُوفي فيه، فَقالَ لَهُ لَيْلَةً : يا وَلَدي ! إقْرأ القُرْآنَ وَأَسْمِعْني، قالَ : فَابْتَدأْتُ بِسورَةِ (البَقَرَة)، وَأَخَذَ أبي في القِراءَةِ مَعي، وكانَتْ قِراءَتُهُ ضَعيفَة حَتّى أكْمَلْنا السُّورَةَ، فَقالَ لي : أيْنَ وَصَلْتَ بِالقِراءَةِ؟ فَقُلْتُ لَهُ : خَتَمْتُ سورَةَ (البَقَرَة)، فَقالَ لي : يا بُنَي ! ما هَكَذا تَكونُ القِراءَةُ، إنما القِراءَةَ بِالتَّدبُّرِ. فَلما سَمِعْنا المُؤَذِّنَ الّذي يُؤَذِّنُ عَلى الفَجْرِ بِالمسْجِدِ، قالَ لي : يا بُنَي ! قُمْ فَضُم جَميعَ ما في البَيْتِ، وَثَقِّف جَميعَ أسْبابِكِ،مْ فَإنَّهُ جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ. فَقُلْتُ : يا أبَتِ ! ما أنْتَ إلاّ بِخَيْرٍ. فَقالَ : جاءَ الحَقُّ لاَ شَكَّ فيه. ثُمّ قالَ : ناوِلْني تُرابَ التَيَمُّمِ. فَناوَلْتُهُ، فَتَيَمَّمَ وَصَلّى الصُّبْحَ وَتَمَدَّدَ.

وَتُوفي في آخرِ شَعْبان عامَ تِسْعَة وَخَمْسمِائَة[36].

97= طَلْحَةُ بْن مالِك الحَلَبيّ

طَلْحَةُ بْن مالِك الحَلَبي، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالى. الشّيْخُ الفَقيهُ الصّالِحُ. كانَ مِمّنْ عَلِمَ وَعَمِلَ.

قالَ الكَتّانيُّ : أخْبَرَني أبو زَكَرِياء، يَحْيى بْن عُمَر التَّسوليّ، وكانَ مِمّنْ صاحَبَهُ وَلازَمَهُ كَثيراً، أنّهُ قالَ : سَمِعْتُهُ يَقولُ : كُنْتُ لَيْلَةً نائِماً، فَإذا بِهاتِفٍ يَقولُ لي : امْشِ إلى

34- [سورة مريم، 85،86]
35- زيادة من الطبعة الحجرية، ص 113
36- **جذوة الاقتباس**، ج1 رقم 145 ص 183؛ **سلوة الأنفاس**، ج 3 ص 260- 261

مَدينَةِ فاسَ إلى المَسْجِدِ الجامعِ المعْروفِ بِالقَرَوِيِّينَ، تجْتَمِعُ بِرَجُلٍ مِنَ الأبْدالِ، فَانْتَبَهْتُ مِنْ نَوْمي، وَرَكِبْتُ دابَّةً، وَمَشيتُ إلى فاس، وَذلِكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ. فَوَصَلْتُ إلى بابِ الجامِعِ، وَنَزَلْتُ عَنِ الدابَّةِ، وَنَظَرْتُ أيْنَ أضَعُها، أوْ مَنْ يُمسِكُها لي حَتّى أصَلّي، فَإذا بِرَجُلٍ قالَ لي : أتْرُكِ الدابَّةَ، أنا أحْفَظُها لَكَ حَتّى تُصَلّي. فَدَخَلْتُ المسْجِدَ الجامِعَ، وكانَ ذلِكَ ضُحى قَبْلَ الزَّوالِ، وَالنّاسُ قَليلٌ في الجامِعِ، فَنَظَرْتُ، فَإذا بِرَجُلَيْنِ رَأْساهُما في مُرَقَّعاتِهِما، فَرَفَعَ أحَدُهُما رَأْسَهُ، وَنَظَرَ إلي، فَقالَ لِصاحِبِهِ : هَذا هُوَ الرَّجُلِ. فَرَفَعَ الثّانيّ أيْضاً رَأْسَهُ، وَقالَ : هُو هَذا. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِما، وَدَعَوا لي، وَدَعوْتُ لَهُما، وَصَلَّيْنا صَلاةَ الجُمُعَةِ. فَلَمّا قُضيَتِ الصَّلاةُ لَمْ أرَهُما بِجَنْبِي، وَحُجِبا عَنّي. فَلَمّا رَأيْتُ ذلِكَ، خَرَجْتُ مِنَ الجامِعِ، فَوَجَدْتُ الدابَّةَ عِنْدَ الرَّجُلِ الذي أمْسَكَها لي قَبْلَ دُخولي الجامِعَ، فَرَكِبْتُها وَرَجَعْتُ إلى المَوْضِعِ الَّذي وَصَلْتُ مِنْهُ، وَلَمْ أقِمْ بِفاسَ.

وَلَمْ يَذْكُرِ الكَتّانيُّ وَفاتَهِ في (المسْتَفادِ) [37].

98= أبو عَبْدِ الَّلهِ، مُحَمَّدُ بْنُ حامِدِ الفاسِيّ

أبو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّدُ بْنُ حامِدٍ. مِنْ أهْلِ مَدينَةِ فاس. الشَّيْخُ الفَقيهُ الصّالِحُ. كانَ مُتَحَبِّباً في زِيارَةِ الصّالحينَ في مَواطِنِهِمْ.

قالَ الكَتّانيُّ : أخْبَرَني الشَّيْخُ المذكورُ، قالَ : أخْبَرَني الشَّيْخُ أبو عَبْدِ اللهِ السّائِحِ، قالَ : كُنْتُ يَوْماً مِنَ الأيّامِ عَلى ساحِلِ البَحْرِ بِقُرْبِ الشَّعْراءِ، إذْ خَرَجَ مِنَ الشَّعْراءِ رَجُلٌ قَدْ بَلِيَ، وَالدُّموعُ قَدْ أثَّرَتْ في خَدَّيْهِ. فَلَمّا رَآني أرادَ الرُّجوعَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ مَرَّةً وَثانيَةً، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، ثُمَّ الْتَفَتَ إليَّ وَقالَ :

37- جلوة الاقتباس، ج1 رقم 163 ص 201-202

[كامل]

مُنِـعَ اللِّسـانُ مِـنَ الـكَـلامِ لأنَّـهُ # كَـهْـفُ الجَــفـاءِ وَطالِـبُ الآفـاتِ
فَـإذا نَـطَـقْـتَ فَـكُـنْ لِـرَبِّـكَ ذاكِـراً # لا تَـنْـسَـهُ واحْـمَـدْهُ فـي الخَلْـواتِ

ثُـمَّ قـالَ لـي : اسْتَـوْدِعِ اللّه دينَكَ وَأَمانَتَكَ، ثُمَّ دَخَلَ الشَّعْراءَ، فَغـابَ عَـنِّي.

قالَ الكَتّانِيُّ : وَقَريبٌ مِنْ هَذا ما رُوِيَ عَنْ حَماد بْن سَلَمَةَ، قالَ : كانَ لي جارٌ مِنْ خِيارِ المسْلِمينَ، فَقالَ لي يَوْماً : يا حَماد ! رَأَيْتُ في طَريقٍ عَجَباً. قُلْتُ : وَما الذي رَأَيْتَ، رَحِمَكَ اللّهُ؟ قالَ لي : تَوَسَّطْتُ جَبَلَ لُبْنان، فَبَيْنَما أنا أسيرُ عَلَيْهِ وَقَدْ اشْتَدَّ الحَرُّ وَالعَطَشُ، فَمِلْتُ إلى جَرْيِ الماءِ في الوادي لأشْرَبَ، فَإذا أنا بِشَيْخٍ قَدْ بَرَزَ إليَّ مِنْ خِلالِ الشَّجَرِ، عَلَيْهِ خِرْقَتانِ وَقَدْ بَلي كُلَّ البَلا، فَلَما نَظَرَ إليَّ أرادَ الرُّجوعَ، فَقُلْتُ لَه : رَحِمَكَ اللّهُ، لِمَ تَتَوَحَّشُ مِني، وَأنا عَبْدُ اللّه مِثْلُكَ؟ قالَ : فَبَكى حَتّى عَلى بُكاؤُهُ، وَبَكيتُ مَعَهُ، فَلَما سَكَنَ ما بِهِ قالَ : يا هذَا ! الشَّوْقُ وَالهيامُ تَركاني كَما تَرى، فَقُلْتُ لَهُ : يَرْحَمكَ اللّهُ، عِظْني، ثُمَّ قالَ :

[سريع]

ما قَـرَّ لـي جَنْـبٌ عَلـى مَضْـجـعٍ # كَـمْ يَـلْبَـثُ الجَـنبُ عَلـى الجَمْـرِ
سَــأَلْـتُهُ الإنْـصافَ فــي حُبِّــهِ # فَــأخَّـرَ الأمْــرَ إلــى الحَــشْـرِ
وَاللّـهِ لاَ زِلْـتُ لَـهُ عـاشِـقـاً # أذْكُــرُهُ مَـا عِـشْـتُ فِـي الدَّهْـرِ

ثُمَّ هامَ بَينَ الشَّجَرِ، فَلا أدْري، وَاللهِ، أيْنَ ذَهَبَ.

ذَكَرَهُ في (المسْتَفادِ)، وَلَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ[38].

38- جذوة الاقتباس، ج1 رقم 180 ص 215-214

99= أبو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ الأَشْقَر

أَبو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ الأَشْقَر. الشَّيْخُ الأُسْتاذُ المُقْرِئُ المجَوِّدُ. كانَ مِنْ أَهْلِ القِراءَةِ، وَمِنْ أَطْيَبِ النّاسِ صَوْتاً، وَأَحْسَنِهِمْ نغْمَةً.

قالَ الكَتّانِيُّ : أَخْبَرَني [الفَقيهُ أَبو عبْدِ اللَّهِ] [39] مُحَمَّد بْن حامِد عَنِ الأُسْتاذِ [أَبي عَبْدِ اللَّهِ] مُحَمَّد الأَشْقَر، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأى النَّبِيَّ (ص) في المنامِ، قالَ [أَبو عَبْد اللَّه] مُحَمَّد الأَشْقَر : وكُنْتُ إِذْ ذاكَ في ابْتِداءِ الكُهولَةِ، فَقالَ لي النَّبِيّ (ﷺ): إِقْرَأْ، فَارْتَجَّ عَلَيَّ، قالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يا سيدي ! ارْتَجَّ عَلَيَّ، فَقالَ لي : اقْرَأْ (وَمِنْ آيَاتِهِ الجَوَارِي فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ) [40]، فَقَرَأْتُ، فَلَمّا قَرَأْتُ (فَلْيَظْلَلْنَ) قالَ لي النبي (ﷺ) : فَخِّمِ الظّاءَ، وَأَظْهِرِ اللامَ مِنَ اللامِ، قالَ : فَرَفَعْتُ بِها صَوْتي، وَجَوَّدْتُ. فَلَمّا أَكْمَلْتُ العُشُرَ، قُلْتُ : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلى النَّبِيِّ، يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّموا تَسْليماً) [41]، فَقالَ لي النَّبِيُّ (ﷺ) : مَتَّعَكَ اللَّهُ بِصَوْتِكَ يا مُحَمَّد، فَقُلْتُ : يا رَسولَ اللَّهِ، إِنّي فَقيرٌ، فَقالَ لي : اخْرُجْ مِنْ سَبْتَةَ وَتَوَجَّهْ لِلمَغْرِبِ. قالَ : فَخَرَجْتُ مِنْ سَبْتَةَ إِلى القَصْرِ، ثُمَّ انْتَقَلْتُ إِلى مَدينَةِ فاسَ، ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْها، وَاسْتَقْرَرْتُ بِأَغْماتَ، فَأَقَمْتُ بِها أُقْرِئُ كِتابَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، نَحْوَ الثَّلاثَةِ أَعْوامٍ، فَخَرَجْتُ مِنْها بِسَبْعِمائَةِ دينارٍ، وَرَجَعْتُ إِلى سَبْتَةَ. فَقالَ الفَقيهُ [أَبو عَبْدِ اللَّهِ] مُحَمَّد الأَشْقَر : بَقِيَ نَحْواً مِنْ خَمْسَةٍ وَتِسْعينَ عاماً وَصَوْتُهُ لَمْ يَتَغَيَّر، بِدُعاءِ سَيِّدِ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ، نَفَعَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ.

ذَكَرَهُ في (المسْتَفاد)، وَلَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ [42].

39- زيادة من الطبعة الحجرية لجذوة الاقتباس، ص 134

40- [الشورى، 29]

41- سورة الأحزاب، 56

42- جذوة الاقتباس، ج1 رقم 182 ص 216

100= أبو عَبْد اللّه مُحَمّد الجَزولِيّ

مُحَمَّد المعْروفُ بالجَزولِيّ. مِنْ أَهْلِ مَدينَةِ فاس. وكانَ مِنْ مُقَدِّميهِمْ، وَمِمَّنْ لَهُ [الإقْدامُ والفَتْكُ] [43]؛ فَتابَ، وَخَرَجَ لِلحَجِّ، وَأَقامَ بِالمشْرِقِ مُدَّةً مِنْ أَرْبَعينَ عاماً يَخْتَلِفُ مِنْ مَكَّةَ إلى المدينَةِ وَإلى بَيْتِ المقْدِسِ، ثُمَّ رَجَعَ إلى مَدينَةِ فاسَ، وَتُوُفِّي بها.

ذَكَرَهُ القَنْدَلاويُّ في (المسْتَفاد)، وَقالَ: أَخْبَرَني الفَقيهُ [أبو الحَسَن] عَلِيّ، عَنْ [أبي مُحَمَّد] عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَلّى، أَنَّهُ قالَ: نِمْتُ لَيْلَةً مِنَ اللّيالي، وكانَتْ مِنَ اللّيالي المعْروفِ فَضْلُها، فَقيلَ لي في المَنامِ: في هَذِهِ اللّيْلَةِ تابَ اللّهُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الرّومِ، نَقَلَهُ مِنَ النَّصْرانيةِ إلى الإسْلامِ، وَأَلْحَقَهُ بِالأَبْدالِ؛ وَسَتَجْتَمِعُ بِهِ عِنْدَ قَبْرِ الجَزولِيِّ بِمَدينَةِ فاسَ. قالَ [أبو مُحَمَّد] عَبْدُ اللهِ بْنُ المعَلّى [هكذا] فَأَقَمْتُ أَعْواماً كَثيرَةً، ثُمَّ سِرْتُ يَوْماً إلى قَبْرِ الجَزولِيِّ، فَإِذا بِرَجُلٍ جالِسٍ حذاءَ القَبْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَوَقَعَ في نَفْسي أَنَّهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الّذي قيلَ لي في المَنامِ، فَقُلْتُ لَهُ: سَلامٌ عَلَيْكَ يا عَبْدَ اللهِ الرّوميّ، فَقالَ لي: وَعَلَيْكَ السَّلامُ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مُعَلّى، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ عَرَّفَكَ أَنّي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُعَلّى؟ فَقالَ لي: الّذي عَرَّفَكَ أَنّي عَبْدُ اللهِ الرّوميّ، فَقُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْني كَيْفَ إِسْلامُكَ؟ فَقالَ لي: أَنا مِنْ أَهْلِ صِقِلِّيَةَ، وكانَ أَبي مِنْ شُناقِرَةِ الرّومِ، نِمْتُ لَيْلَةً، وَرَأَيْتُ دابَّةً عَظيمَةً شِبْهَ البَغْلِ، فَرَكِبْتُها، فَطارَتِ في الهَواءِ حَتّى وَصَلَتِ السَّماءَ، وَرَأَيْتُ أَنَّها تُريدُ أَنْ تَطْرَحَني، فَخِفْتُ خَوْفاً شَديداً، فَسَمِعْتُ قائِلاً يَقولُ لي: أَسْلِمْ تَسْلَمْ، قالَ: فَتَلَفَّظْتُ بِالشَّهادَةِ، وَأَنا أَقولُ (أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللهِ)، ثُمَّ خَرَجْتُ إلى مَكَّةَ، وَقَرَأْتُ القُرْآنَ

43- في الطبعة الحجرية: أمر (ص 134)

حَتّى حَفَظْتُهُ، وَالتَقَيْتُ بِالبُدَلاءِ.

حُكِيَ أَنَّ [أبا عَبْدِ اللَّهِ] مُحَمَّد الجَزولِيّ كانَ جالِساً عِنْدَ بابِ المَسْجِدِ، وَرَأْسُهُ في جُبَّتِهِ، وَإِذا بِرَجُلٍ في طَرَفِهِ زَبيبٌ لامّاً ثَوْبَهُ عَلَيْهِ، فَقالَ لَهُ: ما تُريدُ؟ فَقالَ لَهُ: ذَلِكَ الزَّبيبُ، وكانَ الجَزولِيُّ المذكور يَقولُ: ما اشْتَهَيْتُ شَهْوَةً قَطُّ إِلاّ جاءَتْني، وَأَخْشى أَنْ يَكونَ ذَلِكَ اسْتِدْراجاً.

ذَكَرَهُ في (المسْتفادِ)، وَلَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ[44].

101= أَبو عَبْدِ اللَّهِ مُحمَّد بْن أَحْمَد البِيرانِيّ

[...] وَقالَ ابْنُ فُرتونُ: ذَكَرَهُ شَيْخُنا، الحاجُّ مُحَمَّدُ بْنُ قاسِمِ بْن عَبْدِ الرَّحْمانِ بْن عَبْدِ الكَريمِ التَّميمِيّ في كِتابِهِ المسَمّى بـ (المسْتَفادِ، في مَناقِبِ العُبّادِ، مِنْ أَهْلِ فاسَ وَما يَليها مِنَ البِلادِ). وكانَ لَهُ فَضْلٌ وَتُقى، وَصَلابَةٌ في دينِهِ وانْقِباضٌ، وَعَقْلٌ وَسِمَةٌ وَوَرَعٌ، وكانَ تَلّاءً لِكِتابِ اللَّهِ تَعالى، مُتَبَحِّراً بِهِ، وَذَكَرَ لَهُ فَضائِلَ وكَراماتٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[45]

44- **جلوة الاقتباس**، ج1 رقم 183 ص 216-217 [وقد ردت ترجمة عبد الله الرومي في **سلوة الأنفاس**، ج2. ص 42

45- **جلوة الاقتباس**، ترجمة 264 ج 1/ ص 258؛ وفي **سلوة الأنفاس**، ج3. ص 266 «كان عالما فاضلا، نقيا صلبا في الدين، منقبضا عن الناس، ذا عقل وسمت وورع، تاليا لكتاب الله، متهجداً به وكان مقيداً ضابطاً له كتب نفيسة اقتناها بالأندلس وقيدها و[فضائل] وكرامات]، خرج من بلده البيرة خوفا من العدو واستوطن مدينة فاس. إلى أن توفي بها بعد الأربعين وخمسمائة ذكره «ابن الزبير و«ابن الأبار» وصاحب «المستفاد» وترجمه أيضا في «الجذوة».

102= أَبو القاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمانِ ابْنِ العَجوز

[أَبُو القاسِمِ] عَبْدُ الرَّحْمانِ ابْن عَاش بِاللهِ، المعْروفُ بِابْنِ العَجوزِ. يُكَنّى أبا القاسِمِ، مِنْ أَهْلِ مَدينَةِ فاسَ.كانَ خَيِّراً فاضِلاً، صَوّاماً مُتَقَنِّتاً، كَثيرَ الصَّدَقَةِ. حُكِيَ عَنْ غَيْرِ واحِدٍ مِمَّنْ صَحِبَهُ في السَّفَرِ، قالَ : كانَ إِذا نَزَلَتِ القافِلَةُ، وَجاءَ اللَّيْلُ وَنامَ النّاسُ، اضْطَجَعَ كَما يَفْعَلُ أَهْلُ القافِلَةِ، فَإِذا سَكَنَ النّاسُ وَنامَ أَهْلُ القافِلَةِ، قامَ يُصَلّي، فَإِذا قَرُبَ الصَّباحُ، اضْطَجَعَ، فَإِذا قامَ النّاسُ لِصلاةِ الصُّبْحِ، قامَ كَأَنَّهُ نائِمُ اللَّيْلَ كُلَّهُ.

قالَ صاحِبُ (المسْتَفادِ) : أَخْبَرَني غَيْرُ واحِدٍ مِنْ أَهْلِ البَلَدِ أَنَّهُ وَرِثَ فُنْدُقاً، فَباعَهُ مِنْ بَعْضِ قَرابَتِهِ وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهِ، فَماتَ المُشْتَري، فَوَرِثَهُ الشَّيْخُ عَنْهُ، فَباعَهُ ثانِياً، وَتَصَدَّقَ بِثَمنِهِ.

حُكِيَ أَنَّهُ لَمّا سافَرَ لِلْحَجِّ، وَرَكِبَ البَحْرَ، هالَ عَلَيْهِمْ، وَخافَ أَهْلُ المَرْكَبِ الَّذي كانوا فيهِ عَلى أَنْفُسِهِمْ، فَسَمِعوا في البَحْرِ مُنادِياً يُنادي : أَتَخافونَ الغَرَقَ وَفيكُمْ عَبْدُ الرَّحْمانِ ابْنُ العَجوزِ؟ ثُمَّ سَكَنَ البَحْرُ، وَسَلِمَ المَرْكَبُ وَمَنْ فيهِ، بِبَرَكَتِهِ.

وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ زَرَعَ فَدّاناً بِبابِ الجيسَةِ، وَحَصَدَهُ وَدَرَسَهُ، وكانَ العامُ شَديداً، فَجاءَهُ النّاظِرُ عَلَيْهِ، فَقالَ لَهُ : تَخْرُجُ إِلى زَرْعِكَ حَتّى تَكْتالَهُ، فَقالَ : غَداً الجُمُعَةَ لا أَقْدِرُ عَلى الخُروجِ، فَقالَ لَهُ : إِنْ تَرَكْتَهُ نُهِبَ، لأَنَّ النّاس في حاجَةٍ، وَالمَوْضِعُ قَريبٌ تُدْرِكُ مِنْهُ الجُمُعَةَ، فَخَرَجَ غَدْوَةَ الجُمُعَةِ، وَاشْتَغَلَ في كَيْلِهِ وَنَقْلِهِ، وَأَتى إِلى المدينَةِ، فَوَجَدَ النّاس قَدِ انْصَرَفوا مِنَ الصَّلاةِ، فَتَصَدَّقَ بِالطَّعامِ الَّذي وُجِدَ في ذَلِكَ الفَدّانِ، وَحَبَّسَ الفَدّانَ عَلى المساكينِ.

تُوُفِّيَ يَوْمَ الأَرْبِعاءِ عِنْدَ الزَّوالِ الحادي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبيعِ الثّاني، عامَ سَبْعَةٍ وَأَرْبَعينَ وَخَمْسِمائَةٍ. ذَكَرَهُ صاحِبُ (المسْتَفادِ) [46].

46- جذوة الاقتباس، ج2 رقم 394 ص 391-392[سلوة الأنفاس، ج 3/ 207]

103= أبو القاسمِ، عَبْدُ الرَّحْمانِ ابْنِ أبي حاج

عَبْدُ الرَّحْمانِ ابْن أبي حاج. مِنْ أهْلِ مَدينَةِ فاسَ، الشَّيْخُ الفَقيهُ، أبو القاسِمِ. كانَ خَيِّراً فاضِلاً، وَرِعاً عابِداً. يُحْكى أنَّهُ كانَ مُجابَ الدَّعْوَةِ.

ذَكَرَهُ الكَتَّانِيُّ في (المسْتَفادِ)، قالَ : أخْبَرَني الشَّيْخُ الفَقيهُ [أبو العَبَّاس] أحْمَد ابْنُ الشَّيْخِ الفَقيهِ أبي عَليّ مَنْصور ابْن أحْمَد، عَنْ أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعالى، عَنْ أبي جَبَل يَعْلى، أنَّهُ قالَ : كُنْتُ بِمِصْرَ عِنْدَ ابْنِ الجَوْهَرِيِّ الواعِظِ، فَقالَ : قُمْ بِنا نُصَلّي عَلى جَنازَةِ عَبْدِ الرَّحْمان ابْنِ أبي حاج المُتَوَفّى بمدينَةِ فاس. قَالَ : فَخَرَجْتُ مَعَهُ، وكَبَّرَ وَصَلّى، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلكَ فَقالَ : ما صَلَّيْتُ إلاَّ مُعايَنَةً لَهُ، وكَأنّي أنْظُرُ إلى النّاسِ وَهُمْ خَلْفَ الجَنازَةِ خُروجاً مِنَ المسْجِدِ الجامِعِ. وَلَمْ يَذْكُرْ وَفاتَهُ[47].

104= عَبْدُ الرَّحْمان ابْن خَنوسَة

[أبو القاسِمِ]، عَبْد الرَّحْمان ابْن خَنوسَة. الشَّيْخُ الإمامُ الفاضِلُ. كانَ خَيِّراً وَرِعاً، زاهِداً دَيِّناً، ذا أوْصافٍ جَميلَةٍ.

ذَكَرَهُ الكَتّانِيُّ، قالَ : بَلَغَني عَنْهُ أنَّهُ كانَ لَهُ جِنانٌ، وَأنَّهُ أعْطِيَ في فاكِهَتِهِ سومٌ، فَأجابَ لِبَيْعِه، وَأخَذَ مِنَ المُشْتَري عَرْبوناً عَلى ذَلِكَ، وَقالَ لَهُ : اتْرُكْني هَذِهِ اللَّيْلَةَ حَتّى أرى رَأْيي، إمّا أنْ أنْفَذ لَكَ البَيْع أوْ أرُدَّهُ. فَلَمّا كانَ مِنَ الغَدِ، جاءَ مَنْ أعْطاهُ في الجِنانِ زِيادَةَ سِتِّينَ ديناراً أوْ أكْثَرَ عَلى القيمَةِ الأولى. فَبَعَثَ الشَّيْخُ أبو القاسِمِ لِلْمُشْتَري الأوَّلِ،

47- جذوة الاقتباس، ج2 رقم 395 ص 392–393؛ سلوة الأنفاس، ج 3/295.

وَقالَ لَهُ : أَعْطيتُ في الجِنانِ زِيادَة، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تمسِكَ جِنانَكَ بِالثَّمَنِ الأَوَّلِ فَافْعَلْ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ الزِّيادَةَ فَهيَ لَكَ، لأنّي البارِحَةَ أَنْفَذْتُ لَكَ البَيْعَ بِقَلْبي بِالسَّومِ الَّذي أَعْطَيْتَني. فَأَخَذَ المُشْتَري الأَوَّلُ الزِّيادَةَ الَّتي زادَها المُشْتَري الثّاني، وَلَمْ يَأْخُذِ الشَّيْخُ إِلاَّ الثَّمَنَ الأَوَّل.

وَلَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ في (المسْتَفادِ) [48].

105= أَبو القاسِمِ، عَبْدُ الرَّحْمانِ الأُصوليّ

عَبْدُ الرَّحْمان المعْروفِ بِالأُصوليّ. مِنْ أَهْلِ مَدينَة فاس. يُكَنّى أَبا القاسِم. كانَ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ وَالعِلْمِ وَالفِقْهِ. شَريفُ النَّفْسِ، صَوّاماً مَعَ أَدَبٍ بارِعٍ، وَعَقْلٍ رَزينٍ. وكانَ مِنْ أَهْلِ الاجْتِهادِ في العِبادَةِ.

قالَ صاحِبُ (المسْتَفادِ) : كُنْتُ إِذا لَقيتُهُ في الطَّريقِ وَأَنا في حَدِّ الصِّبا، فَيَقولُ لي : يا مُحَمَّد ! تَذكُرْ قَولَ اللهِ تَعالى (تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتي أُورِثْتُموها) [49] فَأَقولُ لَهُ : (بِما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ) [50]، فَيَقولُ لي : وَأَيْنَ العَمَلُ؟ كانَ مُرادُهُ أَنْ يُنَبِّهَني بِذَلِكَ لِلعَمَلِ، وَأَنْ لا يَرى مِنّي إِلا فَرْضاً أَقْضيهِ، أَوْ نَفْلاً أُمْضيهِ، وَهُو أَوَّلُ مَنْ نَظَرْتُ عَلَيْهِ في الفِقْهِ. وكانَ مِنْ أَهْلِ المُكاشَفاتِ وَالإِخْبار عَنِ المُغيباتِ، قالَ : أَخْبَرَني ابْنُ الطَّويل، أَبو مُحَمَّد قاسِم عَنْهُ، رَحِمَهُ اللهُ تَعالى، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ عائِداً، فَقالَ لَهُ : كَيْفَ تجِدُكَ؟ فَقالَ لَهُ : ما تَراني في المسْجِدِ أَبَداً، وَلا أَموتُ إِلاَّ مِنْ هَذِهِ العِلَّة فَقالَ لَهُ : لا بَأْسَ عَلَيْكَ، فَقالَ لَهُ : قَدْ قُلْتُ لَكَ. ثُمَّ

48- جذوة الاقتباس، ج2 رقم 396 ص 393؛ ويذكر صاحب زهر الآس (400/2) أن بيتهم قديم بفاس وهم من البربر المصامدة، وهم بيت علم من عهد دولة مغراوة. تولى ابنه أبو محمد عبد الخالق بن عبد الرحمان بن خنوسة قضاء مدينة فاس أيام السلطان يوسف بت عبد المؤمن بن علي»

49- [الزخرف، 72]

50- [نفس الآية]

وَابْن عَمِّكَ مُحَمَّد ما يَقومُ مِنْ مَرَضِهِ أَبَداً وَلا يموتُ إِلاَّ مِنْ تِلْكَ العِلَّةِ الّتي بِهِ. وكانَ ابْنُ عَمِّهِ مَريضاً، وَهُو أَيْضاً في حَدِّ الشَّبابِ، فَماتَ الفَقيهُ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعالى، يَوْمَ الخَميس، وَتُوفِّي مُحَمَّد يَوْمَ الخَميسِ الثّاني. قالَ الفَقيهُ أَبو مُحَمَّد قاسِم : وَلَما تُوفّي ابْنُ عَمّي تَرَكَ زَوْجَتَهُ، وكُنْتُ أَنا وَأَخي عاصِبَيْهِ، فَادَّعَتْ زَوْجَتُهُ أَنَّها حامِلٌ، وَأَقامَتْ أَشْهُراً، وَمَنَعَتْنا مِنَ الميراثِ، وَتَبَدَّدَ أَكْثَرُ التَّرِكَةِ. فَرَأَيْتُ الفَقيهَ المذكور في المنامِ، فَقالَ لي : لاَ تَخَفْ، يَنْفُشُ الحَمْلُ، وَتَأْخُذ حَظَّكَ مِنَ التَّرِكَةِ. فَكانَ كَما قالَ. ذَكَرَهُ في (المسْتَفادِ)، وَلَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ[51].

106= أَبو مُحَمَّد، عَبْدُ اللّهِ بْن أَحْمَد ابْن وَشّون

[أبو مُحَمَّد] عَبْدُ اللّهِ بْن أَحْمَد بْن عَبْدِ اللّه ابْن وَشُّون الهُذَلِيّ. الفَقيهُ القاضيُّ بمدنَيةِ فاس. مِنْ بَيْتِ بَني وَشّون[52]. الخَطيبُ الصالِحُ. كانَ مَشْهوراً بِالخَيْرِ وَالعَفافِ، وكانَ خَطيباً بِجامِعِ الأَنْدَلُس. خَرَجَ إِلى الحَجِّ، وَجاهَدَ في سَبيلِ اللّهِ.

قالَ الكَتّانيُّ : أَخْبَرَني بَعْضُ أَصْحابِنا أَنَّ [أَبا مُحمَّد بْن أَحْمَد] ابْن وَشون، وَجَّهَ الواليُّ في وَقْتِه إِلَيْهِ أَنْ يَتَوَلّى قَضاءَ مَدينَةِ فاس مِنْ عُدْوَةِ الأَنْدَلُسِ. فَامْتَنَعَ كُلَّ الامْتِناعِ مِنْ ذَلكَ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ فيما طَلَبَ مِنْهُ. فَأَمَرَ بِسِجْنِهِ وَتَكْبيلِهِ، وَأَنْ يَكونَ سِجْنُهُ في دارِهِ، فَبَقِيَ عَلى تِلْكَ الحالِ مُدَّةً، فَلَما كانَ في يَوْمِ جُمُعَةٍ، أَمَرَ مملوكاً لَهُ أَنْ يُقَرِّبَ لَهُ ماءً يَتَوَضَّأُ بِهِ لِلصَّلاةِ، فَلَمّا أَخَذَ في الوُضوءِ انْحَلَّ قَيْدُهُ وكَبْلُهُ مِنْ غَيْرِ واسِطَةٍ.

تُوُفّيَ عامَ تِسْعَةٍ وَعِشْرينَ وَخَمْسمِائَة، وَلَمْ يَذْكُرْ وَفاتَهُ في (المسْتَفادِ)[53]

51- جلوة الاقتباس، ج2 رقم 397 ص 393-394 [سلوة الأنفاس، ج 3/ص 295]

52- .[بيوتات فاس الكبرى، م.س.، ص 69]

53- جلوة الاقتباس، ج2 رقم 436 ص 419 [سلوة الأنفاس، ج3 ص299؛ بيوتات فاس الكبرى، 41]

107= أبو مُحَمَّد عَبْدُ الَّلهِ بْن حَسَن القَرَوِيّ

[أبو مُحَمَّد] عَبْد الَّله بْن حَسَن القَرَوِيّ. الشَّيْخُ الفاضِلُ. كانَ مَشْهورَ الخَيْر، ذا أَوْصافٍ جَميلَةٍ، وكانَ مُسْتَجابَ الدَّعْوَة. كانَ إماماً بِجامِعِ الأَنْدَلُسِ مِنْ مَدينَة فاسَ، ذَكَرَهُ الكَتّانِيُّ في (المسْتَفاد) وَقالَ: أَخْبَرَني [أبو عَلِي] حَسَن، حَفيدُهُ، عَنْ أَبيهِ عَبْد الرَّحْمان، عَنْ أبيهِ عَبْد الَّله، أَنَّهُ كانَ في صائِفَةٍ وَالزَّرْعُ في أَنادِرِه، فَبالَتْ دابَّةٌ في الزَّرْعِ، فَتَصَدَّقَ بِجَميعِهِ تَحَرِّياً وَوَرَعاً. وَلَمْ يَذْكُرْ وَفاتَهُ[54].

108= أَبو مُحَمَّد، عَبْدُ الَّله بْن دَبّوس

[أَبو مُحَمَّد] عبْد الَّله بْن دَبّوس. الشَّيْخُ الصّالِحُ، إِمامُ المسْجِدِ الجامِعِ، جامِعِ القَرَوِيِّينَ مِنْ مَدينَةِ فاسَ المحْروسَةِ. كانَ مُجابَ الدَّعْوَة. تُوُفِّيَ بِفاس.

ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ كانَ لَهُ جِنانٌ بِداخِلِ مَدينَةِ فاسَ، فَدَخَلَهُ اللُّصوصُ لَيْلاً، وَقَطَعوا مِنْ رُمّانٍ كانَ فيهِ. فَلَمّا أَرادوا الخُروجَ مِنْهُ، لَمْ يَجِدوا مَنْفَذاً. فَلَمْ يَزالوا كَذلِكَ طولَ لَيْلِهِمْ حَتّى أَصْبَحَ. فَلَمّا أَصْبَحَ، تابوا مِنْ ذَلِكَ، وَتَرَكوا ما أَخَذوهُ، وَانْصَرَفوا.

وَحُكِيَ أَنَّهُ أَخِذَ لَهُ شاةٌ مِنْ غَنَمِهِ، فَذَبَحَها آخِذُها، وَأَلْقى مِنْ لَحْمِها في قِدْرٍ، فَلَمْ يَطْبَخِ اللَّحْمُ، فَأَتَوا إِلَيْهِ وَتابوا مِنْ ذَلِكَ، فَجَعَلَهُمْ في حِلٍّ مِنْهُ، فَرَجَعوا، فَأَوْقَدوا عَلَيْهِ ناراً، فَطُبِخَ مِنْ حينِهِ. وَلَهُ كَرَماتٌ كَثيرَةٌ، ذَكَرَها الكَتّانِيّ في (المسْتَفاد)[55].

54- جذوة الاقتباس، ج2 رقم 436 ص 420 ؛ سلوة الأنفاس الجزء الأول ص 375

55- في الطبعة الحجرية، ص 237 (ذكرها الكتاني في مستفاده)؛ جذوة الاقتباس، ج2 رقم 436 ص 422-423؛ [سلوة الأنفاس، ج3، ص 300]

109= عيسى السّائح

عِيسى السّائح. يُكنَى أبا موسَى. الشَّيْخُ الصَّالِحُ، الوَلِيُّ العابِدُ. كانَ يَسْكُنُ الجِبالَ، لا يَأوي إلى عِمارَةٍ إلاّ في شَهْرِ رَمَضانَ. كانَ يَصومُهُ بمدينَةِ فاس، وكانَ مِنْ أهْلِ الفَضْلِ وَالصَّلاحِ، مَشْهوراً بالكَرامات، نَفَعَنا اللّهُ بِهِ وَبِأمْثالِهِ.

ذَكَرَهُ الكَتّانِيّ في (المسْتَفادِ)، ولَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ[56].

110= الغازِيُّ بْن الفُتوح

الغازِيُّ بْن الفُتوح. الشَّيْخُ الصَّالِحُ. كانَ في زَمَنِ دَراس بْن إِسْماعيل، وَمُقارِناً لَهُ. وكانَ فَقيهاً عابِداً مُجْتَهِداً صَوّاماً.

حُكِيَ أنَّ جَوْهَراً لَمّا حَصَرَ مَدينَةَ فاس، أقامَ عَلَيْها مُدَّةً ولَمْ يُفْتَحْ لَهُ. فَساءَهُ ذَلِكَ، فَرَأى في المنامِ قائِلاً يَقولُ لَهُ :لَنْ تَقْدِرَ عَلى دُخولِ هَذِهِ المدينَةِ عُنْوَةً أبَداً، ولَوْ أقَمْتَ عَلَيْها أعْواماً، لأنَّ فيها أرْبَعَة مِنَ الأبْدالِ، أوْتادُ الأرْضِ : دَراس بْن إِسْماعيل، وَأبو جيدَة بْن أحْمد، وَالغازِيّ ابْن الفُتوح، وَابْن شَبَّة.

ذَكَرَهُ الكَتّانِيُّ في (المسْتَفادِ)، ولَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ، وَإنما عَيَّنَهُ بِوَقْتِ دَراس بْن إِسْماعيلَ فَقَطْ، [....][57]

56- جذوة الاقتباس، ج2 رقم 436 ص 501

57- جذوة الاقتباس، ج2 رقم 436 ص 506-507 [سلوة الأنفاس/ج2/ ص 4-5، ج3، ص 92؛ الروض العطر ، ص52، وفي ص 320-321 يسميه الغازي بن يعيش]

111= سُلَيْمانُ الزّاهِدُ

سُلَيْمانُ الزّاهِدُ. الشَّيْخُ الصّالِحُ. كانَ صاحِبُ كَرامات، عابِداً مُجْتَهِداً، خاشِعاً سَخِيَّ النَّفْسِ. قالَ الكَتّانِيُّ : أَخْبَرني الفَقيهُ أبو العَبّاس الصَّفْرِيويّ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعالى، وكانَ مِمَّنْ يَخْدمُ لأبي سُلَيْمان، [قالَ] [58] بَعَثَني أبو سُلَيْمان إلى رَجُلٍ في دَراهِم لِيَأْخُذَها مِنْهُ لأمْرٍ عَرَضَ لَه، قالَ : فَمَشيتُ إلى الرَّجُلِ، فَدَفَعَ إليَّ بَعْضَ ما طَلَبَ مِنْهُ أبو سُلَيْمان، وَقالَ لي ما عِنْدَه غَيْرها. فَذَكَرْتُ ذَلكَ لأبي سُليمان، فَقالَ لي : ارْجِعْ إلَيْهِ وَقُلْ لهُ : وَالدَّراهِمُ الّتي في المَوْضِعِ الفُلانِيِّ، وَذَكَرَ عَدَدَها. فَرَجَعْتُ إلى الرَّجُلِ وَأَعْلَمْتُهُ بما ذَكَرَ الشَّيْخُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الدَّراهِمَ كَما ذَكَرَ الشَّيْخُ.
تُوُفّي عامَ خَمْسَةٍ وَخَمْسينَ وَخَمْسِمائَةٍ، وَدُفِنَ خارِجَ بابِ الفُتوحِ [59].

112= أبو زكَرِياء يَحْيى التّادِلِيُّ

يَحْيى بْن مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمان التّادِلِيّ. مِنْ أهْلِ تادلَة. الصّالِحُ الوَرِعُ. كانَ مُجابَ الدَّعْوَة. قيلَ أنَّهُ كانَ لَهُ بِفاس عام إحْدى وَسَبْعينَ وَخَمْسِمائَةٍ، قَمْحٌ في غُرْفَتَيْنِ، فَقالَ لِبَعْضِ أصْحابِهِ : أُريدُ أنْ أُطْلِعَكَ عَلى سِرّي، فَلا تُخْبِرْ بِهِ أحَداً حَتّى أموت، فَقُلْتُ لَهُ : وَما ذاكَ؟ فَقالَ لي : نَذَرْتُ أنْ أتَصَدَّقَ بِجَميعِ القَمْحِ الّذي في الغُرْفَةِ الواحِدَة،

58- زيادة من الطبعة الحجرية ص 320 (وهي ساقطة من ط. دار المنصور)

59- **جذوة الاقتباس**، ج2 رقم 436 ص 514 [**سلوة الأنفاس**، ج 3/ ص 87]

فَفَرَّقَهُ عَلى المساكينِ، فَعاتَبْتُهُ عَلى ذَلِكَ، فَقالَ لي : افْعَلْ ما أَمَرْتُكَ بِهِ، فَفَعَلْتُ. ثُمَّ مَكَثَ يَسيراً فَرأى الحالَ قَد اشْتَدَّ بِالنّاسِ، فَقالَ لي : أَلحِق الغُرْفَةَ الثّانيةَ بِالأولى، وكانَ لَهُ وَلَدٌ أعْمى، فَقالَ لَهُ صاحِبُهُ : يا أَبا زَكَرِياء ! انْظُرْ مِنْ حالِ وَلَدِكَ، واتْرُكْ لَهُ شَيْئاً، فَقالَ لَهُ : مَنْ وَثِقَ بِما عِنْدَ رَبِّهِ لا يَضيعُ مَعَهُ. وكانَ ذاتَ يَوْمِ مَطَرٍ ماراً وَخَلْفَهُ أَرْبَعَة مِنَ المساكينِ، وَفي يَدِهِ أَوْراق كُرُنْبٍ، فَأَخْرَجَ قَدْراً مِنْ سَمْنٍ، لَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ، فَجعَلَ يُخْرِجُ السَّمْنَ وَيَجْعَلهُ على وَرَقَةٍ، وَيَدْفَعُها لمسْكينٍ حَتّى لَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْهُ شَيْء. وانْصَرَفَ إلى مَكَّةَ، وَحَجَّ وَرَجَعَ إلى مَدينَة فاس، وَتُوفي بِها عامَ سِتَّةٍ وَسَبْعينَ وَخَمْسمِائةٍ. دُفِنَ بِرَوْضَةِ الفَقيهِ أَبي إِسْحاقَ بْن قَرْقول.

ذَكَرَهُ في (التَّشَوُّف)، وَقالَ في (المسْتَفاد) : سَنَةَ ثَلاث عَشَر، وَرَبُّكَ أَعْلَم بِالصَّواب.[60]

113= أبو عَبْدِ اللّهِ، مُحَمَّد بْن عَتيقٍ الحَصّار

...الفَقيهُ الصّالحُ، أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بن عَتيق الحَصّار. وَقَدْ تَرْجَمَهُ في «الجَذْوَة»، في بَعْضِ نُسَخِها ، فَقالَ : مُحَمَّد بْن عَتيق الحَصّار، كانَ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ وَالإجْتِهادِ وَالإنْقِطاعِ إلى اللهِ، يُكَنّى أَبا عَبْد اللهِ، مِنْ أَهْلِ مَدينَة فاس، ثُمَّ قالَ : ذَكَرَهُ «المسْتَفاد»، ولَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ»[61]

60- جذوة الاقتباس، ج2 رقم 436 ص 542-543[1] التشوف، 245-248؛ سلوة الأنفاس، ج3/ ص 153]؛ زهر الآس، 211/1

61- سلوة الأنفاس، ج3، ص 331

ومن المعلوم أن «جذوة الاقتباس» قد طبعت طبعة حجرية سنة 1309 هـ/1891م، ولم تطبع «سلوة الأنفاس» إلا سنة 1316 /1898م، وعليه فهذه الترجمة غير واردة في الطبعة الحجرية للجذوة. كما لم نعثر عليها في النسخ الخمسة المخطوطة من جذوة الاقتباس الموجودة بالمكتبة الحسنية بالرباط (رقم 9751- 2626- 2032 -992- 3813)

114= إِسْماعيلُ بْن مُحَمّد ابْن حرزهم

وَمِنْهُمْ أخوهُ الشَّيْخُ الوَلِيُّ العارِفُ الجَلِيُّ، أبو الصِّدْق سيدي إسْماعيل بْن مُحَمَّد بْن عَبْد اللهِ بْن حِرْزِهِمْ الأنْدَلُسي الأمَوِيّ العُثْمانيّ الفاسِيّ، والِدُ الشَّيخِ أبي الحَسَنِ الآتي. كانَ، رَحِمَهُ اللهُ، مِنْ كِبارِ العارِفِينَ، وَعُظَماءِ الأوْلِياءِ والصّالحينَ. أَحَدُ أَهْلِ الفَضْلِ والدِّينِ، والصَّلاحِ والوَرَعِ واليَقينِ، مُجاب الدَّعْوَةِ، لَهُ كَراماتٌ ذَكَرَ بَعْضَها الكَتّانيُّ في المسْتَفادِ. وَانْتَفَعَ بِهِ وَلَدُهُ أبو الحَسَنِ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَخْذَ تَبَرُّكٍ وَاسْتِفادَةٍ، كَما انْتَفَعَ بِهِ غَيْرُهُ»[62]

115= أبو بَكْر، بْن عُثْمان ابْن مالِك

أبو بَكْر بْن عُثْمان ابْن مالك. الشَّيْخُ الفَقيهُ الصّالِحُ. مِنْ أَهْلِ مَدينَةِ فاسَ. كانَ خَيِّراً دَيِّناً، صَوّاماً عابِداً، مُتَبَتِّلاً زاهِداً مُتَواضِعاً، مُنْقَطِعَ القَرينِ في عَصْرِهِ، مُنْفَرِداً عَنِ النَّظيرِ في مِصْرِهِ، مُجابَ الدَّعْوَةِ.

حُكِيَ عَنْ أبي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بْن الفَقيهِ أبي القاسِمِ بْن عَبْد الرَّحْمان ابْن حِرْزِهِمْ، عَنْ أبيهِ القاسِمِ، أنَّهُ قالَ : أَرْسَلَني أبي مَعَ أخي، أبي الحَسَن [عَلَيّ] لِلْفَقيهِ أبي بَكْر، بْن عُثْمان بْن مالِك، لِيَدْعو لَنا. فَوَصَلْنا إِلَيْهِ في مَسْجِدِ زُقاقِ الماءِ مِنْ عُدْوَةِ القَرَوِيِّينَ، فَوَجَدْناهُ قاعِداً في مَجْلِسِهِ يُدَرِّسُ. فَقَعَدْنا حَتّى فَرَغَ مِنْ تَدْريسِهِ، ثُمَّ قُمْنا إِلَيْهِ وَقَبَّلْنا يَدَهُ، فَقالَ لَنا : مَنْ أَنْتُما ؟ فَقُلْنا : إِبْنا إِسْماعيل بْن حِرْزِهِمْ، وَجَّهَنا إِلَيْكَ والِدُنا لِبَرَكَةِ دُعائِكَ. فَقالَ : وَمِثْلُ إِسْماعيل ابْن حِرْزِهِمْ يَرْسِلُ إِلَيَّ في الدُّعاءِ؟ فَقُلْنا لَهُ : ادْعُ لَنا.

62- سلوة الأنفاس، ج71/3؛ ومن المؤكد أن الكتاني نقل هذه الترجمة عن إحدى نسخ الجذوة المخطوطة كالترجمة السابقة.

فَوَضَعَ يَدَهُ اليُمْنى عَلى رَأْسِ أخي، وَوَضَعَ اليُسْرى عَلى رَأْسي، وَدَعا، فَكانَ مِنْ دُعائِهِ أنْ قالَ : فَقَّهَكُما اللّهُ تَعالى في الدّينِ، وَعَلَّمَكُما التَّأْويلَ. قالَ : فَكُنْتُ أرى لأخي الفَضْلَ، لِبَرَكَةِ يَدِ الفَقيهِ اليُمْنى الّتي وَضَعَها عَلى رَأْسِ أخي. ذَكَرَهُ صاحِبُ المسْتَفادِ [63]، وَلَمْ يَذْكُر وَفاتَهُ [64].

63- في طبعة دار المنصور: ذكره صاحب **الاستبصار** (والتصحيح من الطبعة الحجرية، ص 103)

64- **الجذوة**، عدد 26، ص 105؛ الطبعة الحجرية ص 103

فهارس المستفاد

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس القوافي

فهرس الأمثال والأقوال المأثرة

فهرس الكتب

فهرس الأعلام البشرية [1]

1- تشير الأرقام بين قوسين إلى رقم الترجمة

فهرس الأمم والطوائف والجماعات ونحوها

فهرس البلدان والأمكنة[1]

1- اسقطنا فاس من الفهرس لورودها في أغلب الصفحات

فهرس المصطلحات الصوفية

فهرس الألفاظ الاصطلاحية [1]

1- تشير علامة * إلى أن المصطلح تم التعريف به أو شرحه في الهامش

فهرس رواة التميمي

أعلام من المرجح أن التميمي ترجم لهم

	ملاحظة
-إبراهيم ابن الصباغ المكناسي، أبو اسحاق	(مذكور في المستفاد)
-ابن الهزال	(مذكور في المستفاد)
-أبو إسحاق الأندلسي	(التشوف، ع : 154)
-أبو عمران الجنياري	(مذكور في المستفاد)
-أحمد ابن الحطيأة اللخمي	(جذوة الاقتباس، ع 45)
-أحمد الخضار	(مذكور في المستفاد)
-أيوب بن عبد الله الفهري، أبو الصبر	(جذوة الاقتباس، ع 121)
-عثمان السلالجي الأصولي، أبو عمرو	(التشوف، ع 69؛ جذوة الاقتباس، ع، 501)
-عبد الله المشهور بابن حيت، أبو محمد	(مذكور في المستفاد)
-سالم بن سلامة السوسي	(جذوة الاقتباس، 605؛ التشوف، 277)
-سليمان بن عبد الرحمان التلمساني	(جذوة الاقتباس، ع 597؛ التشوف، 273)
-عبد الله بن عبد المالك البياتي	(التشوف، ع 91؛ جذوة الاقتباس، ع 442)
-علي بن حمد الفاسي	(جذوة الاقتباس،ع 513)
-علي بن محمد ابن غالب	(جذوة الاقتباس، ع 512؛ التشوف،ع 81)
-علي بن موسى ابن النقرات	(جذوة الاقتباس، ع 542)
-عيسى بن عمران	(جذوة الاقتباس، ع 576)
-محمد ابن عمر الأصم، أبو عبد الله	(التشوف، ع 40)
-محمد الصباغ، أبو عبد الله	(التشوف، ع 122؛ جذوة الاقتباس، ع 184)
-محمد الفندلاوي، أبو عبد الله	(التشوف، ع 169)
-محمد بن حسن اليصلتي، أبو عبد الله	(التشوف، ع 177)

-محمد بن الحسن اليصلوتي (جذوة الاقتباس، ع 281)

-محمد بن شعيب الجذامي (جذوة الاقتباس، ع 285)

-محمد بن علي العمراني (جذوة الاقتباس، ع 286)

-مروان بن عبد الملك اللمتوني (جذوة الاقتباس، ع 351)

-موسى ابن أبي حاج، أبو عمران (التشوف، ترجمة 4؛ جذوة الاقتباس، ع 364)

-يحيى ابن الصائغ، أبو الحسين (التشوف، ع 198)

-يسكر الجراوي، أبو محمد (التشوف، ع 171؛ جذوة الاقتباس، ع 566؛ مذكور في المستفاد)

-يوسف بن محمد (ابن النحوي، أبو الفضل) (جذوة الاقتباس، ترجمة 643؛ التشوف، ترجمة 9)

فهرس المترجَمين أبجدياً

فهرس المستفاد

تراجم الملحق

مصادر التحقيق

لائحة الرموز والاختصارات المستعملة

- م.خ. مخطوط خاص.
- مخ. خ. ع. = مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط
- مخ. م. ع. م.= مخطوط المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان
- مخ. خ. د. = مخطوط الخزانة الداودية بتطوان
- د.د.ع. =دبلوم الدراسات العليا
- س =سفر
- ج = جزء

ت. = توفي سنة

=**القرآن الكريم**

=ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت. 658 هـ) **المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي**، نشره ف. كوديرا وزايدين، مدريد، 1885

: **التكملة لكتاب الصلة**، نشر عزت العطار الحسني، القاهرة، 1956= التكملة (ق)

: **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق كوديرا، مدريد، 1889-1888 = التكملة (م):

: **التكملة لكتاب الصلة**، د. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، مكتبة الرشاد، (أربعة أجزاء)= (التكملة ط. الهراس)

= ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله. (ت. حوالي 741 هـ) : **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1973= (القرطاس)

=ابن أبي المنصور، صفي الدين بن الحسين الأنصاري (ت. 682 هـ) : **رسالة صفي الدين بن أبي المنصور**، تحقيق وترجمة ديني جريل، المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1986 (النص العربي) [وقد أعيد نشرها تحت عنوان: **سير الأولياء في القرن السابع الهجري** بتحقيق مأمون محمود ياسين وعفت وصال حمزة دار العالم، بيروت، (د. ت.)]

= ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف (ت.809) (شارك في تأليفه) : **بيوتات فاس الكبرى**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1972

= ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت. 578 هـ) : **كتاب الصلة**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966

= ابن تيجلات، أبو محمد عبد الله (ق. 8 هـ) : **إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين**، تحقيق محمد رابطة الدين، د.د.ع. الرباط (نسخة مرقونة)

= ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني، (ت. 614 هـ) : **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، 1980

= ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي، (ت. 597 هـ) : **صفوة الصفوة**، تحقيق محمود فاخوري ود. محمد قلعجي، ط. 2، بيروت، دار المعرفة، 1979

: **غاية النهاية في طبقة القراء**، ط2، بيروت، 1980

= ابن حزم، أبو محمد علي (ت. 456 هـ) : **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط4

= ابن حيان، أبو مروان خلف (ت. 469 هـ) : **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، الجزء الذي حققه محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973

= ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد (ت 776 هـ) : **الإحاطة في أخبار غرناطة**، أربعة أجزاء، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، ط2، 1973

= ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد(ت. 808 هـ) : **العبر وديوان المبتدأ والخبر...(أو تاريخ ابن خلدون)**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992: **المقدمة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992

= ابن خلكان، أبو العباس أحمد، (ت. 781 هـ) : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1970-1972

= ابن دحية، ذي النسبين أبو الخطاب عمر بن حسن (ت. 633 هـ) :**أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب**، تحقيق محمد زهير الشاويش وتخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط. 1، بيروت دمشق عمان، 1998

= ابن رزين التجيبي : **فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين (فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان)**، تقديم وتحقيق د. محمد ابن شقرون، الرباط، 1981

= ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الثقفي العاصمي (ت. 708 هـ) : : **صلة الصلة**، القسم الأخير، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، 1937

: **صلة الصلة**، القسم الثالث والرابع والخامس، تحقيق د. عبد السلام الهراس والشيخ سعيد أعراب، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية-مطبعة فضالة- المحمدية، 1993- 1995

= ابن الزيات التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت.627 هـ) : التشوف الى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، 1984

= ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك بن محمد (ت. 594 هـ)، المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين، السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987

= ابن صعد، أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني،(ت. 901 هـ) : النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، (ج. الأول والرابع والثامن) مخ. خ. د. بتطوان رقم 53 ص ع ن، الجزء ; ج3 مخطوط بخزانة الفقيه محمد بخبزة- تطوان

= ابن الطواح، عبد الواحد بن محمد التونسي،(ت. بعد 718 هـ) : سبك المقال لفك العقال، تحقيق ودراسة محمد مسعود جبران، دار الغرب الإسلامي، 1995

= ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد الأنصاري الأوسي (ت.703 هـ) : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، تحقيق محمد بن شريفة، بيروت، (د.ت.)

: بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1964 : السفر الخامس، قسم1 ،2 تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1965،

:السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1973: السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة ،الرباط، 1984

= ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد (ت. 1224 هـ) : شرح على رائية أبي مدين في التصوف، مخ.خ. ع. الرباط، ضمن مجموع ، رقم 1736 د

: مصطلحات التصوف من واقع كتابه «مراجع التشوف إلى حقائق التصوف، اعداد وتقديم د.عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999

= ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (عاش بعد سنة 712 هـ) : البيان المغرب : قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، دار الغرب الإسلامي بيروت -الدار البيضاء دار الثقافة 1985 : الجزء الرابع، تحقيق ومراجعة د. إحسان عباس، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980

= ابن عربي، محي الدين أبي عبد الله محمد الحاتمي المرسي (ت. بعد 638) : الفتوحات المكية 14 جزءا، تحقيق وتقديم د. عثمان يحيى، تصدير ومراجعة د، ابراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط. 2، 1992: رسالة روح القدس، نشرها آسين بلاثيوس، مدريد-غرناطة، 1939 : محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، جزآن، دار صادر، بيروت، (د.ت.): محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، مخطوط الخزانة الوطنية بتونس، رقم 16643

= ابن العريف، أبو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي (ت. 536) :: **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة**، دراسة وتحقيق دة. عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993

= ابن عسكر، أبو عبد الله (ت 636 هـ) وابن خميس، أبو بكر (ت. بعد 638 هـ) : **أعلام مالقة**، تقديم وتخريج وتعليق د. عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي ودار الأمان للنشر والتوزيع، 1999،

= ابن عطاء الله السكندري : **لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن**، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998

= ابن غازي، أبو عبد الله محمد (ت. 914 هـ)، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط. 2، المطبعة الملكية- الرباط، 1988

= ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت 799 هـ) : **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، جزءان، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1972

= ابن القاضي، احمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي(910-1065) : **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 (جزءان) : **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** طبعة حجرية، فاس، 1309 هـ

= ابن قنفذ، أبو العباس أحمد الخطيب (740- 809) : **أنس الفقير وعز الحقير** تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1968

: **الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، 1968

: **شرف الطالب في أسنى المطالب**، ضمن كتاب : ألف سنة من الوفيات، تحقيق محمد حجي، الرباط، 1976

= ابن قيم الجوزية (ت. 751 هـ) : **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تحقيق سليم بن عبد الهلالي، دار ابن الجوزي، 1999

= ابن ليون التجيبي، أبو عثمان سعيد (ت.750 هـ) : **الإنالة العلمية من الرسالة العلمية في طريق الفقراء المتجردين من الصوفية**، مخ.خ، د. (ضمن مجموع) رقم إ.ن. ت

= ابن مرزوق التلمساني (ت. 781 هـ) : **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق دة ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981

= ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد التلمساني (ت. 1014) : **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، نشر بعناية عبد الرحمان طالب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986

= ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الافريقي (ت 711 هـ) : **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1990

= أبو مدين، شعيب (ت. 592 هـ) : **حكم أبي مدين**، مخ. خ. ع. الرباط، ضمن مجموع ، رقم 1019 د؛
: **نصيحة للمريد**، مخ. خ. ع. الرباط، ضمن مجموع ، رقم 306 ق
: **الرائية في التصوف**، مخ. خ. ع. الرباط، ضمن مجموع ، رقم. 183 أ
= أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، (ت 430 هـ) : **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، تحقيق محمود فاخوري ود. محمد قلعجي، بيروت، دار المعرفة، 1979
= الادريسي، الشريف أبو عبد الله محمد (ت. حوالي 560 هـ) : **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت.)
= الأزرقي، أبو الوليد محمد (ت. 224 هـ) : **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، بيروت- مكة، 1979
= الأزموري، ابن عبد العظيم، أبو عبد الله محمد (ت. بداية ق 9 هـ) **بهجة الناظرين وأنس العارفين** ، مخ. خ. ع. الرباط ، رقم د. 1343
= الأموي، أبو الحسن علي القرطبي (النصف الثاني من ق. 6 هـ)، **الدعاء والذكر**، مخ. م. ع. و. بتطوان، ضمن مجموع رقم 4/ 457
= الأنصاري، محمد بن القاسم (ت. بعد 825 هـ) : **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط. 2، الرباط، 1983
= الأوربي، أبو محمد عبد الله، (قاضي الجماعة بفاس ت. 782 هـ) : **كتاب مناقب أبي يعقوب الزهيلي البادسي** منشور ضمن كتاب، أحمد البوعياشي، **حرب الريف التحريرية ومراحل النضال**، الجزء الأول، طنجة، د.ت.ص 301-343
= البادسي، عبد الحق بن إسماعيل الغرناطي (كان حيا سنة 766) : **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق سعيد أحمد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1983
= البكري، عبيد الله بن عبد العزيز (ت. 487 هـ) : **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، وهو جزء من كتاب **المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت.)
= البيهقي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي (ت. 458) **شعب الإيمان**، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بيسوني زغلول، دار الكتب، بيروت، 1996
= التنبكتي، بابا أحمد بن أحمد بن عمر بن أقيت بن عمر السوداني (ت. 963) : **كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، اشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، 1989
: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، دراسة وتحقيق محمد مطيع (جزآن)، الرباط، 2000

= الجزنائي، أبو الحسن علي (عاش في القرن 8 هـ) : **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991

= الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد (ت. 540 هـ) : **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1943

= الجهني، الحسين بن نصر بن خميس، **مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار**، مخ. خ. ع. الرباط، رقم د 1027

= الحسن الوزان، بن محمد المعروف بليون الإفريقي (ت. حوالي 957 هـ) : **وصف افريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار العرب الإسلامي، ط 2. 1983

= الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت. 710) : **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1975

= الحوات (أبو الربيع سليمان ت. 1231 هـ/1816م) : **الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة**، دراسة وتحقيق عبد العزيز تيلاني، جزءان، فاس، 1994

= الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني (ت. 361 هـ) : **قضاة قرطبة**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966

= الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان (ت 696 هـ)، وابن ناجي : **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ط2، تحقيق شبوح، ماضور، أبو النور، تونس- القاهرة، المكتبة العتيقة ومكتبة الخانجي. (د.ت)

= الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التونسي (كان حيا سنة 894 هـ) : **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق الحسين اليعقوبي، المكتبة العتيقة، تونس، 1998

= زروق، أبو العباس أحمد (ت. 899 هـ) : **قواعد التصوف**، المطبعة العلمية، مصر، 1318 هـ

= الساحلي، محمد بن محمد الأنصاري المالقي، (ت. 754 هـ)، **بغية السالك في أشرف المسالك**، مخ. خ.ع. ، الرباط، رقم 1735 د (وقد استأنسنا -حين إعداد هذا الكتاب للطبع- بالتحقيق الجيد لكتاب بغية السالك الذي أنجزه د. عبد الرحيم علمي بدري لنيل دكتوراة الدولة بكلية الآداب ظهر المهراز- فاس، سنة 1999 - 2000 تحت إشراف د. محمد مفتاح)

= السلمي، أبو عبد الرحمان محمد بن الحسين (ت. 412 هـ) : **طبقات الصوفية**، القاهرة، 1953

= السهروردي، **عوارف المعارف**، دار الفكر، بيروت، ط. 3، 1991

= الشراط، أبو عبد الله محمد بن عيشون (ت 1109 هـ/ 1697) : **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، دراسة وتحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 35، الدار البيضاء، 1997

: **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، مصورة عن نسخة مخ. في مكتبة المرحوم المنوني

= الصدفي، طاهر بن محمد، (ت. بعد 572 هـ) : **السر المصون في ما أكرم به المخلصون**، تحقيق وتقديم حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

= العزفي، أبو العباس أحمد، (ت. 633 هـ) : **دعامة اليقين في زعامة المتقين**، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، 1989

: **إثبات ما ليس منه بدّ لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والمد**، تخريج ودراسة محمد الشريف، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، السلسلة الأندلسية، رقم 6، 1999

= العلمي (عبد السلام بن محمد الحسني)، **ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس**، مكتبة التراث، الرباط، 1986

= العمري (شهاب الدين بن فضل الله العمري) تـ 749 هـ : **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، السفر الثامن (طوائف الفقراء - الصوفية)، تحقيق بسام محمد بارود، إصدار المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، 2000

= الغبريني، أبو العباس أحمد (ت. 714 هـ) : **عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية**، تحقيق رابح بونار، الجزائر، 1971

= الغزالي، أبو حامد بن محمد (ت. 505 هـ) : **إحياء علوم الدين**، دار الفكر، ط. 1991

= الغساني، أبو القاسم بن محمد بن ابراهيم الغساني (ت. 1019 هـ/ 1611م) : **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985

= الفاسي، محمد المهدي بن أحمد الفهري، (ت. 1109هـ/ 1698م) : **تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية**، مخطوط خزانة الفقيه حمد بوخبزة، تطوان، رقم، ونسخة أخرى مخ. خ. ع. الرباط، رقم 2990 ك

= القاضي عياض، بن موسى بن عياض (ت. 544 هـ) : **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 8 أجزاء، المحمدية، (تحقيق سعيد أعراب وآخرون)، 1983

: **الغنية**، فهرس شيوخ القاضي عياض، تحقيق د. محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1978

= القشتالي (أحمد بن ابراهيم الأزدي) : **تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان** نشر وتحقيق فرناندو دي لا جرانخا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السابع عشر، مدريد، 1972-1973

= الفشتالي، سليمان بن أحمد (ق. 9 هـ؟) : **وفيات سليمان بن أحمد الفشتالي**، مخ. خ. ع. الرباط (رقم د 283)

= القشيري، عبد الكريم (ت. 465 هـ) : **الرسالة القشيرية**، تحقيق واعداد معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطه جي، دار الجيل، ط. 2 بيروت (د. ت)

= اللجائي (أبو القاسم عبد الرحمان بن يوسف) ت. 599 هـ : **قطب العارفين**، تحقيق د. محمد الديباجي، دار صادر، بيروت، 2001

=المدرع الفاسي، أبو عبد الله محمد (ت. 1734) : **منظومة في صلحاء فاس**، مخ.خ.ع. بالرباط، رقم 1726 د

=مؤلف مجهول، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، نشر أمبروزيو أويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان التاسع والعاشر، مدريد، 1961-1962

= مؤلف مجهول، (ينسب لابن عبد ربه الحفيد) : **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار** : وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تحقيق وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، ط. الدار البيضاء، 1985

=مؤلف مجهول : **تأليف في التوكل والصبر وفضائل الفقر والفقراء**، مخ. خ. د. بتطوان، ضمن مجموع رقمه ت.6/ 47

= مؤلف مجهول، : **مفاخر البربر**، ضمن كتاب : **ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي**، دراسة وتحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد- سلسلة المصادر الأندلسية، رقم 20، مدريد، 1996

= مؤلف مجهول : **تقييد في مشاهير أولياء فاس**، لجامع غير مذكور، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 2210د/ 1

= مؤلف مجهول : **مناقب أبي العباس السبتي**، مخ. خ. ع. بالرباط، ضمن مجموع رقمه 896 د

=مؤلف مجهول (لعله من القرن 7 الهجري): **كتاب في تراجم الأولياء**، مخ. خ. ع. بالرباط، رقم ج1271

= الماجري، أحمد بن ابراهيم بن أحمد (ت. منتصف ق 8 هـ) : **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات الشيخ أبي محمد صالح**، ط. مصر، 1933

=المالكي، أبو طالب (ت. 386 هـ) : **قوت القلوب**... ، تحقيق سعيد نسيب مكارم، دار صادر، بيروت، 1995

=المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 474 هـ) : **رياض النفوس** ...، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، 3 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983

=الماليني، أبو سعيد أحمد بن محمد (ت. 412 هـ) : **كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية**، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، سلسلة الأجزاء والكتب الحديثية، بيروت، 1997

=المحاسبي، أبو عبد الله الحارث : **الرعاية لحقوق الله**، تحقيق د. عبد الحليم محمود، القاهرة 1990

= المراكشي، عبد الواحد، (ت. 581 هـ) : **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ضبطه محمد سعيد العريان ومحمد العلمي، القاهرة، 1949

= المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(ت. 1041 هـ/ 1631م) : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق احسان عباس، بيروت، 1964: **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، 5 أجزاء، تحقيق مصطفى السقا وآخرون.

=**مناقب أبي يعزى آل النور**، جامعها غير معروف، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 2100 د/1

= المنذري، عبد العظيم،(ت. 656 هـ) : **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب

العلمية، بيروت، 1417 هـ

= النيسابوري، عبد الملك بن محمد الخركوشي (ت. 407 هـ/ 1016م) : **تهذيب الأسرار**، تحقيق بسام محمد بارود، أبو ظبي، المجمع الثقافي، المجمع الثقافي، 1999

= الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى(ت. بفاس سنة 914 هـ) : **المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب**، نشر بإشراف د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981

= اليافعي، عفيف الدين (ت. 768 هـ) : **روض الرياحين في حكايات الصالحين**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، 2000،

= ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي(ت. بحلب عام626) : **معجم البلدان**، ج 1، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1984

مصادر على الأقراص الضوئية

= **موسوعة طالب العلم الشرعي**، المستوى المتقدم (800 مجلد مع تخريج الأحاديث النبوية) قرص مدمج (CD-ROM) 2,0 برامج القمة، التراث، مركز لأبحاث الحاسب الآلي، الأردن، 2000

= **مكتبة الأخلاق والزهد والرقائق**، (850 مجلد) قرص مدمج (CD-ROM)، إصدار 0.1، برامج القمة، التراث، مركز لأبحاث الحاسب الآلي، الأردن، 2000